

بوزياني الدراجي

عبد الرحمان الأنصري

العالم الصوفي الذي تفوق في عصره

مدرسة سيدي بن عزوز





الكتاب والباحث الجزائري
بونزياني الدمراحي

عبد الرحمن الأخصري

العالم الصوفي الذي تفوق في عصره

الطبعة الثانية

2009م

حقوق الطبع محفوظة



© BLED EDITION

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهداء

- إلى أبي وأمي العزيزين؛ صاحبي الفضل فيما وصلت إليه.

- إلى زوجتي الفاضلة الوفية؛ التي تحملت الصعاب في سبيل تحقيق ما أتمناه في الحياة.

- إلى بناتي وأبنائي؛ فلذات كبدي، والزهرات التي استنشقت عبيرها وأعيش من أجلها.

مقدمة الطبعة الثانية

لقي كتاب العلامة عبد الرحمن الأخضرى -
والحمد لله - إقبالاً حميداً؛ فنفدت أعداد الطبعة
الأولى بعد مدة قصيرة. وكنت أتمنى إصدار طبعته
الثانية، وأنتظر الفرصة التي تسمح بها إمكانياتي
لإصدار ذلك العمل الهام.

ولم يطل الوقت؛ حتى تحقق ما تمنيته؛ وذلك
عندما اتصل بي صاحب مؤسسة بلاد للنشر (Bled
Edition) طالباً نشره بواسطة مؤسسته، وبدعم من وزارة
الثقافة الجزائرية.

وعلى هذا؛ سعيت جاداً لمراجعة الكتاب،
وتنقيحه، وإضافة معلومات ومواد وأعمال لم تتضمنها
الطبعة الأولى؛ مثل:

- كتاب السراج في علم الفلك.
 - والمنظومة المسماة أزهار المطالب في الإسطرلاب.
 - والقصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني.
 - والقصيدة اللامية في النبي خالد بن سنان.
- وبهذه المناسبة أقدم شكري وامتناني إلى حفيد
العلامة عبد الرحمن الأخضرى؛ الأستاذ علي
الأخضرى بن عباس البنيوسى؛ على ما قدمه إلي

من عون؛ بتمكيني من بعض أعمال الأخضري؛ التي
لم تنشر في الطبعة الأولى. كما أشكر الأستاذ سعد
السعود خشاب؛ الذي زودني بنسخة من مخطوط
الحسين الورثلاني؛ الذي شرح فيه قدسية الأخضري؛
مسجلة على قرص مضغوط؛ وأصلها محفوظ بالزاوية
العثمانية بطولقة.

وجملة القول؛ أرجو من الله أن يوفقني ويعينني؛
كي أقدم هذا العمل في أحسن صورة وأفضل محتوى.
والله ولي التوفيق.

بوزياتي الدراجي

الجزائر 15 فبراير 2009م



مقدمة الطبعة الأولى

راودتني فكرة الكتابة عن العلامة عبد الرحمن الأخصري منذ فترة؛ إلى أن سححت هذه الفرصة المحفزة؛ فشرعت - عندئذ - فيما نويته من قبل. والذي أغراني - في الحقيقة - على الكتابة عن هذا الرجل العظيم هو تميزه عن غيره من العلماء في عصره؛ إذ لم يكتف بالنهج التقليدي لعلماء ذلك العصر؛ بل سلك نهج أسلافه من علماء العصور السابقة؛ المعتنين بالعلوم العقلية إلى جانب النقلية منها. لذلك نجده قد صنف أعمالاً في علم الهيئة، والإسطرلاب، والحساب، والمنطق؛ إلى جانب أعمال دينية كالقدسية والرؤية وغيره.

غير أن أهم ما يميزه؛ هو اهتمامه بنشر العلم عن طريق التدريس؛ حيث اهتم - بالدرجة الأولى - بالتربية والتعليم، ثم انهمك في كتابة المواد العلمية المطلوبة للتدريس؛ مثل: علم النحو؛ الذي كتب فيه منظومة تشبه الأجرومية ولكنها شعراً؛ وقد سماها "الدرة البهية"؛ وألف - أيضاً - منظومة في الحساب والفرائض من أجل تلاميذه؛ كما أنجز من أجلهم - كذلك - منظومة الجوهر المكنون في البلاغة؛ بالإضافة إلى أعمال أخرى سيأتي الكلام عنها لاحقاً.

المهم أن الأخصري وضع نفسه في خدمة التربية والتعليم؛ في وقت كانت الدولة لا تعطي اهتماماً للتعليم وأصحابه. وإلى جانب التعليم؛ كان الأخصري ينشغل بالعبادة والوعظ وتهذيب الأخلاق؛ حيث أصبح مقامه مركزاً للدعوة وبعث حركة التصوف التريه والطاهر. فكان - رحمه الله - يخلوا إلى نفسه في أوقات معينة؛ حيث يلتزم بالذكر والعبادة، كما كان يخصص بعض الوقت للتأليف في علوم الدين والتصوف؛ مثل: متن العبادات في الفقه، والقدسية في التصوف والوعظ، والفريضة الغراء في التوحيد، وغيره.

ولما كنت أملك بعض أعمال هذا العلامة فقد سعت للحصول على ما أفقده منها؛ وعلى هذا فقد وجدت عوناً كبيراً من قبل بعض الأصدقاء والأبناء؛ حيث مدني صديقي العزيز، الشاعر الكبير أبو القاسم خمّار بنسخة من المنظومة القدسية، كما زودني الأستاذ الفاضل محمد يزيد العلوي بنسخة من القصيدة الرائية؛ في الوعظ وفي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد تفضل بإعطائه إياها زميله الأستاذ سعد السعود خشاب؛ الذي جلبها - بدوره - من مدينة غرداية؛ لذا أجد نفسي مداناً لهم

جميعاً بهذه المنة؛ ولا يسعني - هنا - إلا تقديم الشكر
الجزيل لهم.

كما أقدم شكري وامتناني لابنتي الفاضلة **دبابش**
اعتدال على عونها وحماسها لما أقوم به؛ حتى أنها
بذلت جهدها لكي تحضري نسخة - طبق الأصل -
من شرح منظومة **الأخضري للقدسية**؛ الذي أنجزه
الشيخ **الحسين بن أحمد زروق ابن مصباح** من
مكتبة **الزاوية العثمانية بطولقة**؛ فشكراً لها ولابن
شيخ **الزاوية سعد بن عبد القادر عثمانى** على
مساعدهما.

أما المنهج المتبع في أعداد هذه الدراسة فيمكن
إجماله في:

- تخصيص القسم الأول للتعريف ب**عبد الرحمن**
الأخضري ومزاياه خلال العصر الذي عاش فيه، ثم
التطرق للمكانة العلمية التي يحتلها بين علماء ذلك
العصر المتردي.

- تخصيص القسم الثاني لدراسة مختارات مما
تيسر من مؤلفات **الأخضري**؛ وذلك لتمكين القارئ
من الإطلاع بوضوح على ما أنتجه هذا العلامة.
علما بأن ضيق المجال ومحدودية الزمان فرضا هذا
الأمر.

— تخصيص القسم الثالث لعرض أعمال كاملة
من مؤلفات الأخصري؛ دون تدخل أو تعليق. وهذا
ما توفر لدينا حتى الآن؛ على أن نلتزم بإضافة ما
سيتوفر من أعمال أخرى في المستقبل إن شاء الله.

ويستحسن الإفادة — هنا — بأن القسم الثاني
من الدراسة تطلب مني التدخل بالتعليق والشرح؛
بحيث تم الشرح في سياق النص الرئيسي وبأسلوب
مختصر؛ بينما كتبت التعليقات المقتضبة والإحالات في
الهوامش السفلية. كما ألفت نظر القارئ الكريم إلى
بعض التدخلات التي كنت أقوم بها ضمن النصوص
أو الاقتباسات؛ حيث وضعت تلك التدخلات بين
قوسين مربعين مثل: [...].

وفي هذا كفاية؛ وعلى الله التوفيق

بوزياني الدراجي

الجزائر في 2005 / 06 / 24.

سيدي عبد الرحمن الأخضرري¹

هو الشيخ العلامة، الإمام، الصوفي، الزاهد، الورع، التقي، المستقيم، الأستاذ، المعلم، المصلح، المجتهد، المحقق، المدقق، الباحث في شتى الفنون والعلوم، الناكر للذات؛ سيدي أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضرري.² هذا ما ثبت حتى الآن بخصوص نسبه. لأن آراء الناس اختلفت - بعد ذلك - في تسلسل أسماء أسلافه.

وإذا كان عبد الرحمن الأخضرري ينسب نفسه إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي؛ فقد شكك بعضهم في هذا النسب؛ وبالمقابل ينسبونه إلى خضر بن عامر بن رياح؛ زاعمين - في الوقت نفسه - بأنه ينتسب إلى بطن من بطون

¹ أهم المراجع التي تتضمن ترجمة لعبد الرحمن الأخضرري هي: دائرة المعارف الإسلامية، مج: 1 . حرف الألف. ورحلة الحسين بن محمد الورتلاني المسماة "تزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ص: 5 - 6 . 87 - 88. و"الأعلام" للزركلي، ج: 4، حرف العين. و"تاريخ الجزائر العام" للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ج: 3، ص: 79 - 81. و"معجم المطبوعات العربية والمعربة"، مج: 1، حرف الألف، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض، حرف الألف. و"تاريخ الجزائر الثقافي" للدكتور سعد الله الذي اعتمد - بدوره - على مخطوط "العقد الجوهري في التعريف ... الأخضرري" للأحمد بن داود؛ كما استعان أيضاً بالترجمة التي قام بها لوسياتي "للسلم المرونق". ثم "الرحلة الكبرى" للناصر.

² ورد اسمه في دائرة المعارف الإسلامية بطريقة مخالفة للمعهود؛ وهي: ((الأخضرري: الصدر ابن عبد الرحمن بن أمير بن الوالي الصالح السيد الصغير بن محمد البنتيوسي المالكي: مؤلف عربي لا نعرف عن حياته شيئاً، له منظومتان ذائعتان: (1) "الجوهر المكنون في صدق الثلاثة فنون" في البلاغة... (2) "السلم المرونق" في المنطق)). ج: 1، ص: 514.

الدواودة¹ وبذلك فهم يخلطون بين سلسلة خضر ابن عامر بن رياح، والسلسلة التي تشمل الدواودة أبناء داود بن مرداس بن رياح. غير أن أبناء السلسلة الأولى والسلسلة الثانية لا ينتمون – بالطبع – إلى بعضهم بشكل مباشر؛ حتى وإن كانوا أبناء عمّ؛ يجمعهم نسب جدهم رياح بن أبي ربيعة بن نهيك ابن هلال.²

وفي المقابل؛ يضع الأخضري نفسه ضمن سلسلة أخرى؛ لا علاقة لها بما قيل؛ وتلك السلسلة تمتد في قبيلة بني سليم؛ المختلفة تسلسلياً عن بني هلال. وعلى هذا؛ لا يوجد ما يستدعي نكران انتساب الأخضري للصحابي العباس بن مرداس؛ خاصة وأن الذين أنكروا هذا النسب لم يقدموا تعليلاً واضحاً ومفيداً. لذا فاحتمال صحة نسب عبد الرحمن الأخضري للعباس بن مرداس ليس بعيداً؛ خاصة وأن هذا الصحابي ينتمي لقبيلة بني سليم؛ وقد كان بين الوافدين – من بني سليم – إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.³ كما تقول المصدر أنه

¹ تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 79.

² العبر، مج: 6، ص: 69 – 80. القبائل العربية في المغرب، ص: 212 – 215. 353.

³ أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: 1، ص: 307.

بقي في البادية قرب البصرة؛¹ حيث تتواجد أحياء
من بني سليم. إذن؛ فما المانع أن ينتقل بعض أحفاد
العباس ابن مرداس مع جموع بني سليم إلى بلاد
المغرب..؟

هذا ما يمكن قوله بخصوص نسب الأخضري
من جهة أبيه؛ أما نسبه من جهة أمه؛ فلا توجد
معطيات تستحق التوسع والشرح؛ سوى أن أمه اسمها
حَدَّة، وهي من تفلحال بغسيرة؛ تلك القرية المحفوفة
بالنخيل والأشجار، والممتدة بامتداد الوادي الأبيض؛
بمياهه العذبة الرقراقة، والمتكئة إلى سفوح جبل الأوراس
الأشم. وخبر أمه نقله الشيخ الجيلالي؛ عن الشيخ
عبد المجيد بن حبة.

— مولد الأخضري:

وكما اختلف الناس في نسب الأخضري؛ تضاربت
أقوالهم أيضاً حول تاريخي ميلاده ووفاته. فبينما
يرى بعضهم أنه ولد في سنة 910 هـ/1504م، وتوفي
في سنة 953 هـ/1546م؛ يقول آخرون أنه ولد في
عام 818 هـ/1512م وتوفي في عام 983 هـ/1546م.
ومن جهة أخرى يزعم بعض الباحثين أنه ولد في

¹ الإصابة في تمييز الصحابة، ج: 2، ص: 272. والاستيعاب في معرفة الأصحاب، في هامش
الإصابة، ج: 3، ص: 101.

عام 920هـ/1514م وتوفي: إما في عام
982هـ/1574م أو في 983هـ/1975م. ويبدو أن دافعهم
لذلك هو ما ورد في بيت للأخضري حين نظم
"الدرّة البهية"؛ الشبيهة بالأجرومية؛ حيث قال:

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا قَصَدْنَا
مِنْ نَظْمِ هَذِهِ الَّتِي أَرَدْنَا
سَمِّيَتْهَا بِالْدُرَّةِ الْبَهِيَّةِ
فَهِيَ لِمَا فِي أَصْلِهَا مَحْوِيَّةٌ
وَكَانَ فِي مُحَرَّمِ الْحَرَامِ
بَدْءًا وَخَتْمًا لِيَذَا النَّظَامِ
فِي إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً
من بعد تسعمائة مستحسنه

وعلى هذا؛ فقد اعتقد العالمون بالأبيات المذكورة
أنه كان حياً في هذه السنة على الأقل.¹ ولكن
الدكتور سعد الله رأى في ذلك البيت تصحيفاً؛ حيث
يحتمل أن تكون كلمة "ثمانين" قد استبدلت
"بثلاثين".² ويبدو أن رأيه لا غبار عليه؛ خاصة وأن
البيت المقصود لا يستقيم وزنه مع سياق النظم.

¹ بوعبدلي، الأصالة، جاتفي، 1978، 53. تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

² تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508، هامش 73.

ومجمل القول؛ يمكننا مجازاة الرأي الأكثر شيوعاً؛ وهو الذي يفيد؛ بأن مولد **عبد الرحمن الأخضرى** في قرية **بنطوس بالزاب الغربى**، وعاش بين سنتي: 920 و 953 هـ. وبذلك يكون هذا العلامة قد توفي في مقتبل العمر؛ إذ لم تتجاوز أيام حياته الثلاث والثلاثين سنة. ومن هنا يمكن إدراك مدى عبقرية هذا الرجل؛ الذي قدم لعصره؛ خلال سنوات قليلة؛ ما عجز عنه الآخرون - ممن طالت بهم الأيام والسنون - في ذلك العصر المتردي في أحواله، الجذب في تراثه الفكرى، الضحل في خيراته وفي رجاله.

— مكانته العلمية: —

فعلى الرغم من قصر عمر **الأخضرى**؛ فقد كانت أيامه حبلى بالثمار والإنتاج العلمى، ومليئة بالابتكارات والأعمال الجليلة؛ إذ يقال أنه أنجز قرابة الثلاثين¹ من المتون وشروحها؛ في مختلف العلوم وشتى الفنون. لذا؛ فقد ظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق في سن مبكرة؛ حيث شرع في تأليف ونظم متون العلوم؛ وهو فتى لا يتجاوز سنه سبع عشرة

¹ الأصالة، جانفى، 1978، العدد: 53. ويقدر ما أنجز الأخضرى من أعمال - في قول آخر - زهاء العشرين كتاباً. أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

سنة؛ إذ أنجز وهو في هذا العمر منظومة "السراج" في
الفلك، كما أنجز منظومة "أزهار المطالب في
الإسطرلاب" حين بلغ العشرين من عمره، أما
منظومة "السلم المرونق" في المنطق والحكمة فقد
أكملها وهو في سن الحادية والعشرين سنة؛ وقد
سجل ذلك خلال نظمه لها حين قال:

وَلَبِنِيَّ أَحَدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً
مَعْدِرَةٌ مَقْبُولَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ
لَا سِيِّمًا فِي عَاشِرِ الْقُرُونِ
ذِي الْجَهْلِ وَالْفَسَادِ وَالْفُتُونِ
وَكَانَ فِي أَوَائِلِ الْمُحَرَّمِ
تَأْلِيفُ هَذَا الرَّجَزِ الْمُنْظَمِ
مِنْ سَنَةِ أَحَدَى وَأَرْبَعِينَ
مِنْ بَعْدِ تِسْعَةِ مِائَتَيْنِ

كما أنه أنجز المنظومة "القدسية" وهو في سن
الأربع والعشرين؛ أي في سنة 944هـ؛ حيث قال في
ختامها:

فِي أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ قَدْ نَجَزْتُ
مِنْ عَاشِرِ الْقُرُونِ قُلُ هَذَا الرَّجَزِ

أما منظومة الجواهر المكنون فقد أنجزها في
منتصف القرن العاشر للهجرة؛ أي في حدود 950هـ؛
وقد أشار لذلك في آخر المنظومة حيث قال:

تَمَّ بِشَهْرِ الْحِجَّةِ الْمَيْمُونِ
تَمَّ نِصْفَ عَاشِرِ الْقُرُونِ

وبذلك يكون عمر الأخصري - آنئذ - لا
يتجاوز الثلاثين سنة. وعندما نتأمل في العمر الذي
ألف فيه أهم أعماله؛ يتبين لنا أنه أنجزها في سن
مبكرة جداً؛ وذلك بالاستناد إلى ما أثبتته هو بنفسه
في منظوماته. وعليه يمكن إسقاط مسوغات من يقول
بأنه عمّر طويلاً؛ حين قالوا: أن الأعمال العلمية
التي أنجزها الأخصري تدل على أنه وصل من
النضج مستوى يؤهله لذلك. وهكذا فقد تبين أن
الأخصري اكتسب النضج قبل أوانه، وامتلك العلوم
في سن مبكرة.

- عصر الضعف:

وإذا عدنا إلى ما سبق ذكره في منظومة "السلم
المرونق" سيتضح لنا من تلك الآيات؛ أن الأخصري
أشار إلى حال عصره المتدهور؛ حين قال:

لَا سِيِّمًا فِي عَاشِرِ الْقُرُونِ
ذِي الْجَهْلِ وَالْفَسَادِ وَالْفُتُونِ

وقد بكى زمانه في المنظومة "القدسية" وتأسف
على حال العلم والعلماء فيه بقوله:
هَذَا زَمَانٌ كَثُرَتْ فِيهِ الْبِدَعُ
وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْخِدَعِ
وَخَسَفَتْ شَمْسُ الْهُدَى وَأَفَلَتْ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ بَزَغَتْ وَكَمَلَتْ
وَالدِّينُ قَدْ تَهَدَّمَتْ أَرْكَانُهُ
وَالزُّورُ طَبَّقَ الْهَوَى دُخَانُهُ
وَوَظَلَمَاتُ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
تَزَخَّرَفَتْ فِي جُمَّةِ الْأَوْطَانِ

ثم يضيف:

يَا وَيْلَتِي هَذَا زَمَانُ الْبِدَعِ
مَاتَ بِهِ أَهْلُ التُّقَى وَالْوَرَعِ
وَاحْسَرْتِي عَلَى الْكِرَامِ الْبَرَّةِ
قَدْ أَخْلَفُوا بِالْمُدَّعِينَ الْفَجْرَةَ

إلى أن يقول:

وَأَسْفَا عَلَى الرَّجَالِ الْكَامِلِينَ
قَدْ ذَهَبُوا بَيْنَ الْعِبَادِ خَامِلِينَ
فَسُتِرُوا بِظُلُمَاتِ الْبِدَعِ
فَلَمْ يَبَيِّنْ صَادِقٍ مِنْ مُدَّعٍ

ولم يكتف الأخصري بالنظم — في انتقاده لما وصل إليه العلم والعلماء في وقته — بل استعان بالشر أيضاً؛ وذلك أثناء شرحه لمنظومة "السلم المرونق"؛ حيث قال: ((وإذا كان العذر من حق المتدي في الزمان المتقدم؛ فكيف في هذا الزمان الصعب الذي انقرض فيه أكابر العلماء، ولم يبق فيه إلا حثالة الحثالة))¹.

وقد خصص حيزاً كبيراً في المنظومة "القدسية" للتديد بالمشعوذين والدجالين وعلماء السوء؛ حيث قال فيهم:

قَدْ ادَّعَوْا مَرَاتِباً جَلِيلَةً
وَالشَّرْعُ قَدْ تَجَنَّبُوا سَبِيلَهُ
قَدْ نَبَذُوا شَرِيعَةَ الرَّسُولِ
فَالْقَوْمُ قَدْ حَادُوا عَنِ السَّبِيلِ

¹ شرح الأخصري على السلم المرونق، ص: 38، القاهرة، 1314هـ. وتاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

ثم يقول:

لَمْ يَبْقَ مِنْ دِينِ الْهُدَى إِلَّا اسْمُهُ
وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ
هَيْهَاتَ قَدْ غَاضَتْ يَنَابِيعُ الْهُدَى
وَفَاضَ بَحْرُ الْجَهْلِ وَالزَّيْغُ بَدَا
أَيْنَ رِعَاةِ الدِّينِ أَهْلُ الْعِلْمِ
قَدْ سَلَفُوا وَاللَّهِ قَبْلَ الْيَوْمِ
وَهَاجَتِ الطَّائِفَةُ الدَّجَاجِلُهُ
السَّالِكُونَ لِلطَّرِيقِ الْبَاطِلَةِ
وَكَثُرَتْ أَهْلُ الدَّعَاوَى الْكَاذِبَةِ
وَصَارَتِ الْبِدْعَةُ فِيهِمْ غَالِبَةً

ثم يقول في إحدى قصائده الأخرى؛ محذراً من

علماء السوء:

وَاحْذَرِ عُلَمَاءَ السُّوءِ فَقَدْ
خُصُّوا بِالْإِفْكِ وَبِالْخَطْلِ
حَفِظُوا الْأَقْوَالَ وَمَا عَمِلُوا
بِالْعِلْمِ فَسَاءَ الْقَوْمُ قُلُوبُ
مَا حِرْفَتُهُمْ إِلَّا لَعِبٌ
وَلِحُومُ النَّاسِ بِلَا قُلُوبِ

أَرْبَابُ قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ
لِلطَّاعَةِ أَصْلًا لَمْ تَمِلِ
لَا تُطِقَ لِدِكْرِ اللَّهِ لَهُمْ
إِلَّا بِاللَّهِوِ وَبِالْهَزْلِ
لَا يَكْسِبُونَ الْعِلْمَ سِوَى
لِرِيَاءِ النَّاسِ وَلِلْجَدَلِ
طَمَسَ الْأَقْوَالَ تَمَلُّقُهُمْ
لِوَلَاةِ السُّوءِ ذَوِي الْخَلَلِ

وإذا كان الأخصري قد اشتكى من الأوضاع المزرية للعلم والعلماء في عصره؛ فإننا نرى أن تلك الظاهرة السلبية قد شرعت بوادرها تظهر في عصر سابق لعصر الأخصري؛ فنجد أن علماء آخريين في الجزائر - أيضاً - قد اشتكوا من الحال المتردية للعلم والعلماء. ففي وقت سابق بقليل عن أيام الأخصري - ظهر رجل مشهود له بالعلم والتقوى؛ وهو عبد الرحمن الثعالبي؛ فقال: ((وقد قل الاعتناء في هذا الزمان بالعلم)).¹

ولم يقف الوضع عند الثعالبي الذي عاش في القرن التاسع من الهجرة؛ بل ازدادت الأوضاع سوءاً

¹ تاريخ الجزائر العام، ج: 2، ص: 249، نقلاً عن مخطوط الأمهات للثعالبي.

في القرن العاشر؛ الذي عاش فيه عبد الرحمن الأخضري. ففي هذا العصر توقفت تدفق رُفَّاد المعرفة، وانطفأت أنوار الاجتهاد والابتكار، وجفت منابع العلوم والفنون؛ إذ ابتليت موارد المعرفة بالغور والانحسار. فنكبت البلدان المغربية — عموماً — بالغزو الصليبي؛ الوافد من إسبانيا ومالطا وصقلية. وكانت الممالك المغربية في أسوأ حالها من الضعف والتفكك. ووصل التعفن والفساد بدولتي: بني زيان بتلمسان والحفصيين بجاية وقسنطينة إلى حد؛ سعى فيه أهل الغيرة من الجزائريين إلى الاستنجاد بالعثمانيين؛ قصد صد جيوش الإسبان، وردهم عن أسوار المدن الساحلية.

وباستقرار العثمانيين في الجزائر؛ ازدادت فجوة الجهل بين السكان اتساعاً، وتعاظمت الظواهر المؤدية للشعوذة والدروشة، وانتشرت عبر البلاد أفواج من العامة المنتسبين زوراً للصوفية؛ إذ كوّنوا فرقاً لها ميول سلبية، مستسلمة لمقتضى الحال، ومنكمشة ضمن حلقات من الأتباع العاطلين والغاطسين في أعماق الغيبات، والحالمين بالأوهام والخرافات التي لا تجدي ولا تفيد. وقد ساعدت هذه الظاهرة على بعث الشلل في الأوساط العلمية ببلاد المغرب؛ وتسببت في بث روح

التواكل والكسل والإهمال في صفوف طلاب العلم. ونتيجة لذلك؛ اكتفى عدد كبير من طلبة العلم، ومن المنتسبين إلى صفوف العلماء - في أعمالهم ومؤلفاتهم - بكتب الأذكار والأوراد¹ والمواعظ.

واستمرت هذه الظاهرة قائمة طوال الفترة العثمانية. وقد عبر شارح الأخصري ومترجمه عبد الكريم بن الفكون - في بداية القرن الحادي عشر - عن استمرار ذلك الوضع المتردي للعلم والعلماء؛ حين قال في كتابه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية": ((فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل أظلت، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيساً، والعالم في منزلة يدعى من أجلها خسيساً... كل ذلك والقلب مني يتقطع؛ غيرة على حزب الله العلماء؛ أن ينسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين المضلين لهم، أو يذكروا في معرضهم، وغيرة على جناب السادة الأولياء

¹ الورد: تسمية مجازية لحزب من القرآن؛ أو بالأحرى: هو مقدار معلوم من قراءة القرآن يداوم الشخص على قراءته في أوقات معينة. ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على قدر من الأدعية التي يدعو بها الصوفيون في أوقات محددة. وقد تبنا كثيراً من الأوراد المأثورة، والمستمدة من شيوخ الصوفية المرموقين. وقد وصفها زكي مبارك بقوله: ((أن لتلك الأوراد ملامح أدبية وخلقية: فهي باب من الأدب؛ لأن مؤلفيها كانوا يتحرون دقة الأسلوب، وروعة الخيال، وهي من صميم الأخلاق؛ لأنها رياضة على التقرب إلى الله، والانقطاع إليه، والفناء فيما يريد)). التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج: 2، ص: 66.

الصوفية؛ أن تكون أراذل العامة، وأنذال الحمقى
المغرورين أن يتسموا بأسمائهم، أو يظن بهم اللحوق
بآثارهم))¹.

وفي هذا الزمان بالذات؛ المترنح - المعروف بالعهد
العثماني - ظهر العلامة عبد الرحمن الأخصري
للوجود؛ فحاول تغيير الاتجاه التقليدي آنئذ؛ حيث
سلك نهجاً أكثر فعالية، وأخصب نتاجاً، وأوفر
ثمراً. فأعاد للأذهان سنة أسلافه من العلماء الأفذاذ؛
كعبد الرحمن بن خلدون، وابن مرزوق الحفيد،
وقاسم العقباني، وسعيد العقباني، وأحمد بن يحيى
الونشريسي، ومحمد ابن يوسف السنوسي، وعبد
الرحمن الثعالبي، وأحمد الغبريني؛ وأحمد زروق
الفاصي.. إلخ؛ فانكب على التدريس والتأليف، ووجه
طلاب العلم الملتحقين بحلقته إلى تلقي العلوم النقلية
والعقلية على السواء. فقد كان يعلمهم من العلوم:
الفلك، والمنطق، والحساب، والبلاغة، واللغة، والنحو؛
إلى جانب ما كان يقدمه لهم من علوم: التوحيد،
والفقه، والفرائض، والتصوف.

¹ الأصالة، جاتفي 1978، عدد: 53، ص: 29.

— الأخصري والصوفية: ¹

ومع هذا؛ يجب الاعتراف بأن عبد الرحمن الأخصري لم يأت من العدم؛ ولم يترعرع وينشأ في أرض عقيمة بالكل، ولم يكبر في تربة غير صالحة للحرث والإنبات بالتمام؛ بل هو سليل أسرة علمية صوفية؛ أنجبت علماء عديدين؛ منهم جده محمد بن عامر؛ الذي ألف كتاباً في الفتاوي، ثم أبوه محمد الصغير؛ الذي ألف حاشية لكتاب سيدي خليل،² كما ألف كتاباً عالج فيه موضوع التصوف؛ حيث انبرى لنقد المنحرفين والخارجين عن النهج السليم؛ من أصحاب البدع ممن سماهم بـ ((الدجاجلة)). ويبدو أنه تأثر بأستاذه أحمد الزروق الفاسي.³

¹ الصوفية هم المنسوبون لأهل التصوف. ولم يتفق الباحثون على تعريف واحد لعلم التصوف؛ بل اختلفت آراؤهم في تحديد تعريف جامع له؛ إذ ثمة من يقول أن معنى التصوف يتعلق بعبارة هي: الصفا والصافي والصفوة والتصفية؛ وآخرون يرجعون هذا الاسم إلى أهل صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بينما يعتقد كثير منهم أن الاسم منسوب إلى الصوف؛ بسبب لبس أهل هذه الطريقة للصوف؛ زهداً منهم وابتعاداً عن اللباس الناعم الرفيع، وتشفياً في حياتهم عن مباحج الدنيا ورفاهيتها.

² وهو من علماء المالكية في مصر؛ عرف بلقب ضياء الدين الجندي؛ لأنه كان يلبس لباس الجند؛ ألف "المختصر" في الفقه المالكي؛ وهو أهم كتبه، ثم "التوضيح"؛ وهو شرح لمختصر ابن الحاجب، وكتاب "المناسك"، و"مخدرات الفهوم فيما يتعلق بالتراجم والعلوم"، و"مناقب المنوفي". لا يعرف تاريخ ميلاده؛ كما اختلف الناس في سنة وفاته؛ فمن قائل أنها 776هـ/1374م، أو قائل أنها تكون في عام 767هـ/1365م، أو سنة 769هـ/1367م، أو 835هـ/1431م، أو كما قال صاحب الديباج المذهب: من أنه توفي بالطاعون سنة 749هـ/1348م.

³ وردت ترجمة أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق في كتب عديدة؛ أهمها كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 45 - 50. وجاء فيه أنه ولد في سنة 846هـ وتوفي في سنة 899هـ. حفظ القرآن الكريم، وأخذ

إذن ف**عبد الرحمن الأخضري** نشأ في وسط علمي متمسك بالشرع، حريص على نبذ البدع والأوهام التي تتعارض مع الكتاب والسنة؛ فأخذ العلم عن أبيه **محمد الصُّغَيْر** وعن شقيقه الأكبر الشيخ **أحمد** في بلدتهم "**بنطوس**"؛ ثم التحق بحلقات علم أخرى؛ يشرف عليها علماء في بلاد **الزاب**؛ مثل الشيخ **الصوفي الزاهد عبد الرحمن بن لقرون نزيل لشانة**، والشيخ **أبو الطيب**، و**عبد الهادي الفطناسي بيسكرة**؛ ثم درس - بعد ذلك - في **قسنطينة** فأخذ العلم عن **عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني** المعروف باسم **الوزان**¹. وثمة بعض الأقوال التي لم تتأكد؛ ترى أنه درس أيضاً **بالزيتونة في تونس**¹.

العلم عن كبار العلماء بالمغرب في عصره مثل: **علي السطي**، و**عبد لله الفخار**، و**عبد الرحمن المجدولي** و**أبي عبد الله القوري**، و**عبد الرحمن الثعالبي**، و**إبراهيم التازي**، و**أحمد ابن سعيد بن الحباك**، و**الرصاع**، و**الحافظ التنسي**، و**الإمام السنوسي**، و**ابن زكري**، و**أبو مهدي عيسى المواسي**. كما أخذ عن بعض علماء المشرق مثل: **النور السنهوردي**، و**الحافظ الدميري**، و**الحافظ السخاوي**، و**القطب أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي**، و**الولي شهاب الدين الأفشيبي**. وأهم مؤلفاته تنحصر في العبادات والتصوف كـ: شرح مختصر **خليل**، و**شرح الوغليسية**، و**شرح القرطبية**، و**شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي**، و**شرح الأسماء الحسنی**، و**شرح المراصد في التصوف لأحمد بن عقبة**، و**كتاب القواعد في التصوف**، و**كتاب إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين**، و**كتاب النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية**، و**كتاب النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة**، و**شرح العقيدة القدسية للغزالي**، وغيرها من المؤلفات التي تربو عن 55 تأليفاً.

¹ وردت أهم ترجمة له في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 387 - 392. وفيها أشار الدكتور سعد الله إلى أن **الوزان** يحتل مكانة مرموقة بين علماء قسنطينة في القرن العاشر من الهجرة. وقد كرس نفسه للتدريس والتأليف؛ ضارباً عرض الحائط الوظائف التي عرضت عليه. وتخرج على يديه كثير من العلماء؛ مثل: **ابن الفكون الجد**، و**عبد الرحمن الأخضري**، و**يحيى بن عمر الزواوي**، و**يحيى بن سليمان الأوراسي**. أما أهم

أما تلاميذه؛ فأتوه من جهات كثيرة؛ كوادى ريغ، وقسنطينة ونواحيها، وتلفال، وبلاد الزاب، وغرها؛ وعرف منهم حتى الآن: الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي؛ وهو الذي شرح كتاب أستاذه الأخصري ((السراج في علم الفلك)).

وشرح الأخصري - منذ صباه - في تحقيق ميوله العلمية؛ إذ ظهرت عليه نزعة قوية دفعته نحو العلوم العقلية؛ التي تتطلب قوة العقل، وسلامة الذوق، وطول النفس، والقدرة على الصبر. وإلى جانب ذلك؛ كان يعتني - أيضاً - بعملية التربية والتعليم؛ حيث أوقف نفسه في سبيل نشرهما نظرياً وتطبيقياً؛ إذ كان يؤلف الكتب المدرسية؛ ممثلة في المواد المراد تعليمها. فوجد أن خير وسيلة لتقريب المواد التعليمية إلى أذهان تلاميذه، وتيسير حفظ الضروري منها؛ هو أن ينظم المواد العلمية المرغوب فيها، أو يلخص بعض المتون الأخرى ثراً؛ مثل: المتن الخاص بالعبادات. ولم يقتصر الأخصري على تأليف المتون فحسب؛ بل

مؤلفاته فهي: "البضاعة المزجاة"، و"الرد على الشايبية المرابط عرّفه القيرواني"، و"فتاوي في الفقه والكلام"، "حاشية على شرح القصيدة الصغرى للسوسى"، و"تعليق على قول خليل (وخصت نية الحالف)". وجاء في الترجمة أنه توفي في سنة 965هـ/1557م، أو في 960هـ/1552م. أما السنة التي ولد فيها فغير معروفة.

¹ رسالة العقد الجوهري في التعريف بالشيخ عبد الرحمن الشهير بالأخصري؛ وتاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 507.

أنجز شروحاتها بنفسه؛ لأنه كان يدرك صعوبة تلقي تلك العلوم مختصرة دون توسع أو شرح. ومع كل ذلك؛ فقد كان يقوم بتدريس مؤلفاته وشرحها بنفسه أمام طلبته في **بينطوس**؛ حيث يوجد ضريحه اليوم.

ويبدو أنه كان ينظم تلك المواد العلمية تلبية لرغبة طلابه الذين يلازمون حلقاته العلمية؛ وقد ذكر هذا في بداية منظومة "**الجواهر المكنون**"؛ إذ قال أنه نظمها استجابة لرغبة بعض الطلاب؛ وفيها يقول:

وَقَدْ دَعَا بَعْضُ مِنَ الطُّلَابِ
لِرَجَزٍ يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدِ
مُهَذَّبٍ مُنْقَحِ سَدِيدِ
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ التَّلْخِصِ
جَوَاهِرًا بَدِيعَةَ التَّلْخِصِ
سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
وَمَا أَلَوْتُ الْجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ
سَمِيَّتُهُ (بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ)
فِي صَدَفِ الثَّلَاثَةِ الْفُنُونِ

وكان يراعي - في تعليم طلبته - واقع الحال؛ حيث يوظف ما يَنْظُمُهُ لهم من مواد علمية؛ بحيث تتماشى مع الغرض الأساسي في التعليم. وبهذا يعتبر الأخصري من المعلمين "البيداغوجيين" في زمنه. وبما أن الهدف الأساسي المقصود في تعليم الطلبة عنده؛ هو: حفظ القرآن وتمكينهم من امتلاك العلوم الدينية، والتقيد بالمنهج الصوفي؛ بنشر السلوك الأخلاقي الإسلامي، وحث حب العبادة في نفوس الطلبة، وتدريبهم على الالتزام بالذكر؛ فإنه كان يعرض عليهم - في منظوماته المختلفة - بعض الأمثلة من المحيط الذي يستهدفه؛ فهو - مثلاً - عندما نظم "الجوهر المكنون" في البلاغة؛ تعمد تقديم الأمثلة والشواهد من صميم المواد الدينية؛ بل الصوفية بالتحديد؛ فهذا هو ذا يقول؛ في "باب الإسناد الخبيري":

كَقَوْلِنَا لِعَالِمٍ ذِي غَفَلَةٍ:
"الذِّكْرُ مُفْتَاخُ لِبَابِ الْحَضْرَةِ"

وفي باب المسند إليه يقول:

كـ "حَبَّذَا طَرِيقَةَ الصُّوفِيَّةِ
تَهْدِي إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْعَلِيَّةِ"

ويقول في الباب نفسه أيضاً:
وَفَصْلُهُ يُفِيدُ قَصْرَ الْمُسْنَدِ
عَلَيْهِ كَ "الصُّوفِيِّ وَهُوَ الْمُهْتَدِي"

وفي باب المسند يقول:
وَأَفْرَدُوهُ لِإِنْعَادِ التَّقْوِيَةِ
وَسَبَبِ كَ "الزُّهْدِ رَأْسُ التَّرَكِيهِ"

ثم يقول في الباب نفسه:
وَجُمْلَةٌ لِسَبَبِ أَوْ تَقْوِيَةٍ
كَ "الذِّكْرِ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَةِ"

ثم يضيف:
تَنْبِيهِ أَوْ تَفَاوُلِ تَشَوُّفِ
كَ "فَازَ بِالْحَضْرَةِ ذُو تَصَرُّفِ"

وفي باب الإيجاز والإطناب والمساواة يقول:
كَ "عَنْ مَجَالِسِ الْفُسُوقِ بَعْدَ
وَلَا تَصَاحِبِ فَاسِقًا فَتَرْدِي"

وفي باب "الحقيقة والمجاز" يقول:
كِلَاهُمَا شَرْعِيٌّ أَوْ عُرْفِيٌّ
نَحْوُ "ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّوفِيِّ"

ويقول في "فصل الاستعارة" أيضاً:
نَحْوُ "ارْتَقَى إِلَى سَمَاءِ الْقُدْسِ
فَفَاقَ مَنْ خَلْفَ أَرْضِ الْحِسِّ"

ثم يقول في فصل "في الحقيقيه والعقلية":
كَ "أَشْرَقَتْ بَصَائِرُ الصُّوفِيَّةِ
بِشَمْسِ نُورِ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ"

وهذه الأمثلة وغيرها - كلها - تدل على حسن تصرف في اختيار الشواهد والأمثلة خلال عملية التدريس؛ فبما أن طلبة الأخصري مختصون أساساً في العلوم الدينية. وبما أن أستاذهم يعتبر من أقطاب الصوفية ومن أمتها الكبار؛ فإن أمثلة الأستاذ تكون فعالة ومفيدة عندما يتم اختيارها من ذلك المحيط؛ وهذا هو ما حصل..

وقد اتضح من خلال ما تم الإطّلاع عليه من منظومات الأخصري: في التصوف والسيره، وفي

الفرائض والحساب، وفي البلاغة والمنطق وغيره؛ أن هذا العلامة متمكن في العلوم التي عاجلها بواسطة النظم؛ كما تبين أنه متفوق في نظم المطولات؛ إذ يتميز بقدرة كبيرة في هذا الفن؛ الذي يتطلب مكانة عظيمة في علوم اللغة والعروض وسليقة طليقة في ركوب أوزان البحور الشعرية. فمن قصر نظره في علم ما لا يمكنه النظم فيه أبداً؛ لأن النظم في علم من العلوم يتطلب استيعاباً شاملاً وفهماً كلياً ودقيقاً. لذا فالأخضري يتميز بالقدرة الفائقة، وبالنظرة الكلية الشاملة؛ التي تسمح له بالتنقل من فكرة إلى أخرى؛ لكي يساير الأوزان الشعرية ويراعي القياس اللغوي، ويواكب القواعد والمفاهيم التي يتضمنها العلم المراد نظمه.

وعلى الرغم من اعتكاف الأخضري وانشغاله بالدراسة والعبادة والتأمل في خلوته بينطوس، وفي بعض الجبال القريبة من قرنته؛ إلا أنه لم يسع نحو تقمص دور الأولياء؛ المنقطعين كلياً عن الناس في خلوات الذكر والخمول؛ ولم يدع يوماً أنه من المرابطين المنعوتين بالكرامات، أصحاب الخوارق والمعجزات،¹ ولم يزج بنفسه بين من يدعي

¹ يفرق المتكلمون بين الكرامات والمعجزات، ويشرح الباقلاني ذلك في كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنانجات؛ حيث يرى أن

الدروشة المغالية في نشر الخرافات والبدع؛ من الذين يسبحون في الأوهام والميول السلبية؛ بل على الرغم من أنه صوفي التوجه، زاهد في الدنيا، ورع وصادق في تدينه؛ إلا أنه كان يتميز بعقل رياضي، منطقي، واقعي؛ وكان متمسكاً بالكتاب والسنة، لا يعطي بالاً للغيبات السرايية، ولا يسمح بالغلو في الأوهام. وهذا ما أكده في منظومته المسماة "بالقدسية"¹؛ إذ يقول:

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْوَلِيَّ الرَّبَّانِي
لَتَابِعُ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْإِفْكِ وَالصَّوَابِ
يُعْرَفُ بِالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ
وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الْأُمُورِ كُلِّهَا
وَشَاهِدٌ لِأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

المعجزات والكرامات تتساوى في أنها تتناقض مع العادات؛ بينما وجه الخلاف يكون في أن المعجزات يختص بها الأنبياء، وهم يعلنونها ويصرحون بها؛ متحدين خصومهم بها. بينما تسند الكرامات للأولياء؛ فلا يصرحون بها ولا يدعون فضلها، ويكتُمونها عن الناس؛ خوفاً من الفتنة وتبدل الحال.

¹ تسميته لمنظومته "بالقدسية" تؤكد ميوله الصوفية؛ كما تظهر تأثره بالإمام الغزالي؛ الذي ألف "العقيدة القدسية"؛ وقد شرحها شيخ أبيه أحمد الزروق الفاسي؛ الذي صرح عبد الرحمن الأخضرى بكل وضوح أنه يتبع نهجه؛ حين نصح القراء في منظومته "القدسية" بقوله:

وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةَ الْبِدْعِ وَمَا يُبْنَى عَلَيْهِ أَصْلُ الْمُدْعَى
فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُوقِ عَجَائِبُ فَاتِقَةِ الرَّتُوقِ

ومع هذا فقد نسب إليه بعض العامة خوارق
وكرامات عجيبة؛ مثل انطواء الأرض بين **أكجال** (أين
مات)، وبلدته **بنطوس** (التي دفن فيها)؛ لكي يسهل
على أهله ومحبيه دفنه بمسقط رأسه في اليوم الذي
مات فيه، وحكاية سارق العنزة؛ الذي طلب منه
القسم في ضريح **عبد الرحمن الأخضرى**؛ فأقسم
كذباً؛ فسمع صوت العنزة داخل أحشائه؛ فانكشف
أمره. كما أن اشتهاره بين الناس كخصم للدجالين
وأدعياء الخوارق والمعجزات؛ أسقط العامة في الخطأ
نفسه الذي حذر منه **الأخضرى**؛ إذ يزعم بعضهم
أنه تصدى لأحد الأدعياء من المشعوذين؛ الذي كان
يوهم الناس بأنه قادر على إطعامهم الرطب في غير
وقته؛ فأبطل **الأخضرى** شعورته؛ عندما حول ذلك
الرطب إلى روث بهائم.

بالإضافة إلى ذلك؛ ثمة من يقول أن **عبد الرحمن
الأخضرى** يكون قد تلقى ورد الطريقة الشاذلية
والزروقية من الشيخ **محمد بن علي الخروبي**¹؛

¹ هو محمد بن علي الخروبي؛ أصله - في قول - من طرابلس الغرب - وفي قول آخر -
من صفاقس؛ عاش في الجزائر وتوفي بها سنة 963هـ / 1555م. ويقال أنه تربى في
اسطنبول قبل مجيئه إلى الجزائر؛ وكان مقرباً من السلطات العثمانية. وهو من المتصوفة
نوي الاتجاه المشرقي؛ إذ تشبّع بالفرق الصوفية المنتشرة في الدولة العثمانية؛ كالشاذلية
والبكداشية والقادرية؛ وقد أهتم أكثر بالطريقة الشاذلية وعمل على نشرها والدعوة لها.
ومن مؤلفاته بعض الأوراد والأذكار، وكتاب في التفسير، و"الأنس في التنبيه عن عيوب

وذلك عندما زار **بنطيوس**؛ وهو في طريقه لأداء فريضة الحج.¹ وحتى إن صح ذلك؛ **فالأخضري** لا ينأى بنفسه عن حلقات الذكر والدعاء في خلوته الخاصة؛ ما دامت في حدود الشرع. فهو يفرق جيداً بين فروض العبادة، وواجب التقوى؛ ضمن إطارها الشرعي المنسجم مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا لا يعني تبنيه ورضاه بكل ما يجري لدى أهل الصوفية ممن يقفز على حدود التقوى والاستقامة؛ إلى أوهام الكشف ورفع الحجاب؛ بالغلو في طقوس الغيب المبهمّة؛ أو حلقات الذكر الجنونية. وعليه؛ فلا يستبعد تلقيه أوراد **الشاذلية** و**الزروقية**؛ ما دامت في حدود الشرع. وقد أشار **الأخضري** بنفسه إلى ذلك مراراً في منظوماته "**كالقدسية**" وغيرها. من ذلك المنظومات التي اعترض فيها على حلقات الذكر التي تتم بالرقص والغناء؛ حيث يقول:

مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أَنْ لَا يَسْقُطَ
بَعْضُ حُرُوفِ الْأَسْمِ أَوْ يُفْرَطَ

النفس". و"رسالة نوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس"، و"شرح صلاة ابن مشيش"، و"مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس"، "كفاية المريد وحلية العبيد" في التصوف.
¹ تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508.

فِي الْبَعْضِ مِنْ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَةِ
عَمْدًا فَتْلِكَ بَدْعَةٌ شَنِيعَةٌ
وَالرَّقْصُ وَالصُّرَاخُ وَالتَّصْفِيقُ
عَمْدًا بِذِكْرِ اللَّهِ لَا يَلِيقُ
وَإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ فِي الْأَذْكَارِ
الذِّكْرُ بِالْخُشُوعِ وَالْوَقَارِ

وفي قصيدة أخرى يقول:

لَا نُطْقَ لِذِكْرِ اللَّهِ لَهُمْ
إِلَّا بِاللَّهُوِ وَبِالْهَزَلِ

ثم ينبه الناس إلى ضرورة التحري، وعدم تصديق كل من هب ودب؛ من المدَّعين للعلم، والمنتسبين زوراً للصوفية؛ ثم يدعوهم إلى قياس ما يرونه ويسمعونه بمقياس الشرع؛ فإن توافق معه؛ فلا بأس؛ وإن خالف الشرع؛ فهو حتماً من البدع التي تستوجب الرفض التام. وفي هذا يقول في "القدسية":

وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ
مَقَالَةٌ صَادِقَةٌ جَلِيَّةٌ
إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَطِيرُ
أَوْ فَوْقَ مَاءِ الْبَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ
فَإِنَّهُ مُسْتَدْرِجٌ وَبِدْعِي
فَارْفُضُهُ إِنَّمَا الْفَتَى دَجَّالٌ
لَيْسَ لَهُ التَّحْقِيقُ وَالْكَمَالُ

— النبي خالد بن سنان:

والأمر الذي يبقى غامضاً، وغير مفهوم، وعار
عن أي مسوغ أو تعليل؛ هو تأكيد بعض الباحثين
والرحالة على أن الأخصري هو الذي كشف وجود
قبر النبي خالد بن سنان في المدينة التي تحمل اسمه
الآن. على أن أولئك الباحثين لم يذكروا الدليل الذي
اعتمد عليه الأخصري في البرهنة على صحة انتقال
النبي خالد بن سنان العبسي إلى الجزائر، ووفاته
بها.

وكل ما قيل؛ أنه أظهر سر القبر بواسطة "الكشف وعلم الترييع"¹ وإذا تأملنا هذه العبارة؛ سنجد أن "الكشف" مصطلح صوفي؛ يدعي أصحابه القدرة على كشف ما يخفيه الغيب. وقد تناول كثير من العلماء هذا الموضوع بين مؤيد ومكذب.

¹ قال الحسين الورثلاي: ((سيدي عبد الرحمن الأخصري نفعا الله ببركاته، وأفاض علينا من بحر أنواره؛ رضي الله عنه؛ وأنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم الترييع)). نزهة الأنظار، ص: 5.

وخصص ابن خلدون لموضوع التصوف كتاباً كاملاً سماه: "شفاء السائل لتهديب المسائل"؛ كما خصص له حيزاً كبيراً في مقدمته ضمن: "فصل في كشف الغطاء عن التشابه من الكتاب والسنة، وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنة والمبتدعة في الاعتقادات"؛ حيث أوضح فيه الفرق بين المتصوفة المتمسكين بالسنة؛ وبين أهل الغلو منهم؛ أدعياء الكشف المطلق ومبدأ الحلول.¹

أما ما يسمى "بعلم الترييع" فهو ليس علماً على وجه الحقيقة؛ وإنما هو فن غريب؛ يدعي أصحابه معرفة الغيب بواسطة. ويدخل في عداد فنون التنجيم والكهانة؛ الشاملة: لأحكام النجوم، وأسرار الحروف أي السيميا وخط الرمل وغيره من الفنون التي لا تستند إلى برهان، ولا يسعى أصحابها إلى إيجاد دليل يستوعبه العقل؛ وإنما يزعمون أنهم يتعاملون مع الوجدانيات والروحانيات.² وقد وضع ابن خلدون في

¹ المقدمة، ج: 3، ص: 1184 - 1214. ومما قاله في هذا الباب: ((ثم أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك؛ فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة... وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب؛ ومعناه رأس العارفين؛ يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله؛ ثم يُورث مقامه لآخر من أهل العرفان)). ص: 1207 - 1208.

² وقد شرح ابن خلدون هذه الفنون في عدة فصول من مقدمته؛ ثم قال: ((وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها؛ وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر... فحدث لذلك علم أسرار الحروف؛ وهو من تفاريع علم السيميا... وتعددت فيه تأليف البوني وابن

مقدمته فصلاً مطولاً شرح فيه ما يعرف بعلم
أسرار الحروف وزايرجية استخراج أجوبة المسائل لأبي
العباس أحمد السبتي.¹

المهم؛ أن هذه الفنون كلها؛ لم يثبت - حتى
الآن - اهتمام الأخصري بها، أو انشغاله بالكتابة فيها،
أو احتمال تحدثه بها في الحلقات التي يعلم فيها
تلاميذه. بل صدر عنه ما ينفي ذلك. فهذا هو
يقول في منظمة السراج في الفلك:

وَبَعْدُ فاعْلَمَ أَنَّ عِلْمَ الْفَلَكِ
عِلْمٌ عَزِيزٌ مِنْ أَجَلِّ مَسْئَلِكِ
وَمَا بِهِ تَطَرُّقٌ لِلْغَيْبِ
فَذَلِكَ الْحَرَامُ دُونَ رَيْبِ

إذن؛ فالأخصري يحرم الاشتغال بأمور الغيب. ومن
هنا؛ لا يصح لنا أن نتهمه بتعاطي فنوناً تبحث في
كشف الغيب، وأسرار أخفاها الله لحكمة سنها.

العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما... ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما
هو؛ فمنه من جعله للمزاج الذي فيه، وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف
كما للعناصر)). ج: 4، ص: 1271.

¹ وهو من المتصوفة؛ عاش في أواخر القرن السادس من الهجرة بمراكش؛ وعاصر ملك
الموحدين يعقوب ابن المنصور.

وكل الذي عرفناه - بخصوص هذا الموضوع -
هو ما ذكره الحسين بن محمد الورثلاني؛ صاحب
الرحلة المسماة "بزهة الأنظار في فضل علم التاريخ
والأخبار"؛ حين قال: ((وأنا سمعنا أنه هو الذي
أظهر قبره بعلم الترييع)).¹ والكلام هنا عن
الأخضري؛ الذي زعم الورثلاني أنه اكتشف قبر
النبي خالد؛ بواسطة "علم الترييع". ولكنه لم يذكر
ممن سمع هذا القول.. هل سمعه من علماء موثوق
بهم؟ أم من عامة الناس الذين تستهويهم الخرافات
والأوهام..؟ علماً بأن الورثلاني نفسه يبدو - من
خلال كتاباته - أنه ممن يعتقدون بالوجدانيات
والغيبات؛ ولا يعطي بالاً كبيراً لأحكام المنطق،
والعلوم العقلية. وعليه؛ فالقول باستعمال الكشف
والترييع في معرفة قبر النبي خالد بن سنان مشكوك
فيه، ولا يتفق مع الحركة العلمية لعبد الرحمن
الأخضري، أو ما عرف عن منهجه العلمي؛ الذي
يميل إلى أحكام المنطق، ويعتمد على البراهين الرياضية.

¹ بزهة الأنظار، ص: 5.

وكل ما في الأمر؛ أن أهم حجة استند إليها أصحاب الرأي في إظهار الأخضرى لقبر النبي خالد؛ هي القصيدة الطويلة التي نسبت إليه؛ تلك القصيدة التي تحث الناس وتدعوهم لزيارة قبر النبي خالد في المدينة المعروفة باسمه؛ وهي:¹

سِرِّ يَا خَلِيلِي إِلَى رَسْمٍ شُغِفْتُ بِهِ
طُوبَى لِزَائِرِ ذَاكَ الرَّسْمِ وَالطَّلَلِ
جَلَّتْ شَوَاهِدُهُ عَزَّتْ دَوَائِرُهُ
مَا خَابَ زَائِرُهُ فِي الصُّبْحِ وَالْأَصَلِ
يَلْقَى الْجَوَاهِرَ مِنْ يَغْشَى مَنَاكِبَهُ
يُعْطِي الْكِرَامَةَ مَنْ يَأْتِيهِ ذَا وَجَلِ
الْقَلْبُ مَضَى بِهَذَا الرَّسْمِ مُعْتَكِفٌ
وَالشَّيْخُ مِنْ خِلَالِ النَّاسِ لَمْ يَزَلِ
فَلَسْتُ أَمْلِكُ مِنْ صَبْرٍ وَلَا جَلْدِ
فَاحْمَلْ سَلَامِي لِهَذَا الرَّسْمِ وَالطَّلَلِ
وَقُلْ لَهُ قَدْ ثَوَى عَبْدٌ بِجُبِّكُمْ
هَذَا تَحِيَّةٌ مَوْصُوفَةٌ الْمَثَلِ
إِنْ قَلْتَ أَيْنَ أَرُومِ الرَّسْمِ وَالطَّلَلِ
أَقُولُ إِلَيْكَ بِالْأَخْبَارِ إِنْ تَسَلِ

¹ تحتوي القصيدة التي بين يدي على 40 بيتاً؛ بينما ذكر الدكتور سعد الله أنه يملك نسخة منها ضمن مخطوط "العقد الجوهري" لأبي محمد أحمد بن داود؛ بـ 42 بيتاً.

هذا مقامٌ عليه النَّاسُ قَدْ غَفَلُوا
إِذَا حَلَّ بَيْنَ بِلَادِ السُّوءِ فَأُمْتَشَلِ
هذا مقامٌ رفيعُ الشَّانِ قَدْ شَهِدْتُ
بِهِ الدَّلَائِلُ هَذَا الأَمْرُ فِيهِ جَلِي
هذا مقامٌ بلادُ الغَرْبِ مَسْكُنُهُ
شَرُّ البِقَاعِ بِهَا قَدْ حَلَّ فِي المَلَلِ
هذا مقامٌ لَهُ خَطْبٌ لَهُ عَجَبٌ
أخْفَتُهُ غُرْبَتُهُ هَذَا المَقَامُ عَلِي
هذا مقامٌ بلادُ الغَرْبِ حَلَّ بِهَا
وَمَا لَهُ فِي بِلَادِ الغَرْبِ مِنْ مَثَلِ
هَذَا نَبِيٍّ كَرِيمٍ فِي الأَنَامِ ثَوَى
بَيْنَ البَوَادِي أَشَرَّ النَّاسِ فِي النُّحَلِ
يَا رَبَّ غُصْنِ بَدِيعِ الحُسْنِ مُنْتَهَجِ
مُزْخَرَفِ بِقَاعِ السُّوءِ مُكْتَمِلِ
إِنَّ النُّبُوَّةَ قَدْ لَاحَتْ شَوَاهِدُهَا
كَيْفَ المَحَالَّةُ وَالأنُورُ لَمْ تَزَلِ
فِي خَالِدِ بَنِ سِنَانِ البَدْرِ سَيِّدِنَا
أخْصُهُ بِسَلامٍ رَائِقِ حَفَلِ
لِلَّهِ مَا حَازَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفِ
نَالَ الرِّسَالَةَ يَا نَاهِيكَ بِالرُّسُلِ
أنُورُهُ سَطَعَتْ فَوْقَ الرَّبِيِّ وَبَدَتْ
عَلَى الفَيَافِي وَفَوْقَ السَّهْلِ وَالجَبَلِ

فاحلُّ بساحته تُبصرُ عجائبه
وكنُّ أخوا أدبٍ إنَّ المقامَ علي
أكرمُ بزائره تحظُّ بحرمته
ما حلَّ جرمه من قلد بالرسُل¹
حاشا الإله يرد المستغيث به
خصَّ النبيين بالإكرام والجلل
حاش النبوة أيخيب زائرها
إنَّ النبوة بابُ الجود والفضل
إنَّ النبيين ربُّ العرشِ فضلهم
فهم ملوك الورى يومَ المعادِ قل
إنَّ النبيين يومَ الفصلِ قد جلسوا
على منابر فوق البسط والحلل
إنَّ النبوة لا تخفى عجائبها
أمرها كضياء الشمسِ في المثل
هذا المقامُ لدا المولى له عظم
فيه النبوة ذات القدس والنحل
وإنما ضاعه قومٌ به ثبتوا
والقربُ يحتقر الإجلال بالمهل
أبا البقاء لقد جلت محاسنهم
والعبدُ يخشى جبال الوزر من ثقل

¹ هكذا نسخ بشكل غير الشطر غير موزون ولا مفهوم.

وَكَيْفَ يُخْشَى لَظَىٰ مِنْ يَسْتَعِيثُ بِكُمْ
إِذَا كُمْ أَنَالَ إِلَهَ الْعَرْشِ بِالرَّسْلِ
يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا الْعَبْدُ مَعْتَصِمٌ
بِحَبْلِكُمْ وَإِنِّي أَشْكُو مِنَ الزَّلَلِ
عَسَىٰ عَيْدُكُمْ يُحْظَىٰ بِقُرْبِكُمْ
وَيَهْتَدِي لِطَرِيقِ الْخَيْرِ وَالسُّبُلِ
وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي مِنْ جَاءَ زَائِرُكُمْ
يُنْجُو مِنَ الْهَمِّ وَالْأَهْوَالِ وَالْوَجَلِ
إِنَّ النَّبِيِّينَ عِنْدَ اللَّهِ فِي عِظَمِ
مَنْ اسْتَعَاثَ بِهِمْ يَنْجُو مِنَ الْوَحَلِ
وَهَا أَنَا ذَا كَثِيرِ الْوِزْرِ مُسْتَنْدٌ
لِجَاهِكُمْ فَعَسَىٰ مَوْلَايَ يَغْفِرُ لِي
عَلَيْكُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ يَتَّبِعُهَا
أَزْكَىٰ تَحِيَّتِهِ فِي الصُّبْحِ وَالْأَصْلِ
لَا سِيْمَا خَيْرٍ مِنْ جَلَّتْ مَحَاسِنُهُ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْأَمْلَاكِ وَالرُّسُلِ
صَلَّىٰ عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسٌ وَمَا غَرُبَتْ ثُمَّ السَّلَامُ يَلِي
وَالْآلِ وَالصُّحْبِ وَالصَّدِيقِ ثُمَّ أَبِ
حَفْصٍ وَمُحْيِي الدَّجَا¹ ثُمَّ الْإِمَامِ عَلِيٍّ

ما غرَّد الطَّيْرُ في أفنانهِ أسفًا
وما أقام بكاء الصَّبِّ في الطَّلَلِ
وما أقام بكاء الوجْدِ مُضْطَرِّبًا
والحمدُ لله طولَ الدَّهرِ والدُّوَلِ

وهذه القصيدة صيغت في خمس وأربعين بيتاً؛
تمجد وتعظم النبي خالد بن سنان؛ وتبرز فضل
زيارة قبر هذا النبي الذي ضيعه أهله؛ كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثم أهمله أهل
المغرب؛ الذين يحتقرون العلماء؛ حسب ما نسب
للأخضري. والقصيدة - حتى وإن صححت نسبتها
للأخضري - فلا تكفي أن تكون دليلاً يثبت وجود
قبر هذا النبي في المدينة التي تحمل اسمه الآن؛ لأن
المصادر التاريخية تذكر: أن النبي خالد بن سنان بن
غيث العبسي دفن في شبه الجزيرة العربية؛ بين
قومه بني عبس؛ ضمن أحقاف رملية. بل ثمة رواية
- نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنه - تفيد بأن
ابنة النبي خالد بن سنان أتت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم - وهي عجوز - وأسلمت

على يديه.¹ فكيف – إذن – انتقل قبر هذا النبي إلى
الجزائر..؟!

والغريب؛ أن الورثلاني يقول أن النبي خالد بن
سنان بعث إلى قوم في "جبل الرس"؛ معتقداً أنه
"جبل أوراس"؛ تبعاً لما استنجه الخفاجي² في رسالة
"الشفاء"³. بينما تؤكد مصادر كثيرة أن "الرس" اسم
أطلق على عدد من الأماكن في شبه جزيرة العرب؛
منها ما جاء في القرآن الكريم عن أصحاب الرّس:
(وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ
كَثِيرًا)).⁴ ثم ((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
الرّسِّ وَثَمُودٌ)).⁵ و"الرّس" كما جاء في التفاسير: كل
ما حفر مثل البئر والقبر. والآية تقول أن قوماً
كانوا يقيمون عند بئر تعرف "بالرّس"؛ دمرهم الله.
وبالإضافة إلى ذلك فقد ورد في بعض المصادر أن
"الرّس" أحد أودية نجد؛ وفي هذا يقول بدر ابن
مالك بن زهير – سيد بني عبس – يرثي أباه؛
الذي قتله أولاد بدر الفزاري؛ في ثأر لهم – وبنو

¹ مروج الذهب، ج: 1، ص: 67. ج: 2، ص: 226. والبدء والتاريخ، ج: 3، ص: 134 – 135.

² وهو شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (1069هـ/1658م)؛ صاحب رسالة
شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل.

³ نزهة الأنظار، ص: 5. 87 – 88.

⁴ سورة الفرقان، آية: 38.

⁵ سورة ق، آية: 12.

عبس كما ترى؛ هم قوم النبي خالد ابن سنان
- فقال: ¹

أَحَلَّ بِهِ أَمْسٌ جُنَيْدٌ نَذْرُهُ
فَأَيُّ قَتِيلٍ كَانَ فِي غَطَفَانَ
إِذَا سَجَعَتْ بِالرَّقْمَتَيْنِ حَمَامَةٌ
أَوْ الرَّسِّ، تَبْكِي فَارِسَ الْكَتْفَانَ

ويقول زهير بن أبي سلمى في معلقته أيضاً: ²
بَكَرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ
فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ فِي الْفَمِ

إذن؛ فالمكان المسمى "بالرس" يوجد في شبه
الجزيرة العربية؛ - سواء أكان بئراً أم وادياً أم جبلاً
- ولا علاقة له بجبل "الأوراس". ومن المضحك أن
نتخيل ذلك بدون دليل. ولا يوجد ما يسوغ رأي
الورثاني وغيره في هذا الباب. أما القبر المنسوب
للنبي خالد بن سنان؛ فإنه إذا كان قد عُرف
ونسب - منذ زمن بعيد - لرجل يسمى خالد،
وتواترت الأخبار بذلك؛ فلا يعني هذا أن خالداً
صاحب القبر - هو بالضرورة - النبي خالد بن

¹ معجم البلدان، ج: 1، ص: 205. كلمة الإصدا.

² شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص: 10.

سنان؛ إذ قد يكون صاحب ذلك القبر خالداً
آخر.. وربما كان هو خالد بن يزيد العبسي¹
الذي تبنته الكاهنة، وأخت بينه وبين ابنيها. فخالد
هذا كان متواجداً في منطقة الأوراس وبسكرة؛ فما
الذي يمنع أن يكون قد استشهد حيث يتواجد القبر
المذكور الآن..؟

— وفاة الأخضري:

وجملة القول؛ فقد انتهت حياة عبد الرحمن
الأخضري بينما كان يقضي فصل الصيف — كعادة
أهل الصحراء في التل — إذ توفي رحمه الله في سنة
953هـ/1546م؛ بكجال بجهات سطيف. فنقل جثمانه
إلى مسقط رأسه بنطوس؛ أين يتواجد الآن ضريحه؛
الذي بقي طوال السنين التالية لوفاته مزاراً للعلماء
والرحالة من بلاد المغرب كافة.

وقد زعم بعضهم أن الأخضري لم يتزوج، ولم
يخلف أولاداً. وهذا ما اعتقدته — بدوري في البداية —
كما قال به الدكتور سعد الله²؛ ولكن تبين لي —

¹ سماه بعضهم خالد بن يزيد القيسي، وبعضهم الآخر يزيد بن خالد العبسي أو القيسي.
فإن صحت تسميته بخالد بن يزيد العبسي؛ ألا يبعث هذا إلى الرغبة في المقارنة بينه
وبين خالد المدفون في المدينة المسماة بسيدي خالد في ولاية بسكرة. راجع أخبار خالد
ابن يزيد العبسي في: رياض النفوس للمالكي، ج: 1، ص: 54.

² تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508.

فيما بعد — بالدليل؛ أنه تزوج؛ وله خَلْفٌ — من صلبه — بقيت سلسلتهم إلى الآن. وتجلي لي ذلك من خلال وثيقة مستخرجة من المحكمة الشرعية بطولقة؛ كتبت بتاريخ 21 فبراير 1915م الموافق ليوم من محرم الحرام سنة 1334هـ. تفصل هذه الوثيقة الشرعية في مياه السقي لفائدة أبناء الأخصري؛ فجاء ما نصه: ((الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن صغير..... واتفقوا واصطلحوا على هذا..... [فلان بن فلان، وفلان بن فلان]..... وأولاد سيدي عبد الرحمن بن صغير))¹.

كما ذكر المستشرق الفرنسي لوسيانى Luciani. J.D.؛ (1851 – 1932)؛ في كتاب السلم المرونق في المنطق — الذي قام بترجمته إلى الفرنسية بعنوان LE SOULLAM; TRAITÉ DE LOGIQUE — قال فيه: أن ثمة وثائق صادرة عن الباي التركي بقسنطينة. وإحدى تلك الوثائق مؤرخة في محرم سنة 1060هـ جريية [1650م]؛ تقضي بالتقدير والتبجيل والاحترام لثلاثة من أحفاد عبد الرحمن الأخصري؛ هم الإخوة: رحمون، وعبد المالك، ومحمد؛ أبناء عامر بن علي بوستة ابن المقدس سيدي عبد الرحمن الأخصري. وقد اطلع لوسيانى

¹ رقم هذه الوثيقة المستخرجة من محكمة طولقة هو: 1915/124.

Luciani. J.D.؛ على عدد من تلك الوثائق الصادرة عن
الإدارة التركية بقسطنطينة بخصوص أحفاد الأخضري
وزاويتهم؛ تحمل التواريخ التالية: 1078 – 1103 – 1132 –
1147 – 1149 – 1246؛ وهذه الأخيرة تحمل توقيع باي
قسطنطينة الحاج أحمد باي. إذن؛ فلعبد الرحمن
الأخضري أحفاد؛ وقبل الأحفاد؛ ابن اسمه علي
بوستة. من هنا يتبين بأن للأخضري ابن اسمه علي
بوستة.

أما اعتقاد بعضهم بعدم زواجه؛ نظراً لكونه
مات في العقد الثالث من عمره؛ فهذا ليس بدليل
قاطع؛ خاصة إذا علم أن الشباب في الزمن الذي عاش
فيه الأخضري؛ كانوا يتزوجون صغاراً؛ وبالخصوص
أبناء العائلات المتمسكة بالتحاليم الدينية. والحريصة
على تقاليد السلف.

مؤلفات الأخضري

ذاك ما أمكن ذكره بخصوص حياة عبد الرحمن الأخضري. وبقي الآن؛ الحديث عن بعض مؤلفاته؛ التي تيسرت وتم الإطلاع عليها. إذ أن معظم كتبه غير متوفرة الآن؛ إما لكونها مفقودة، وإما أن تكون في حوزة من تعذر الاتصال بهم. ومجمل القول؛ فإن مؤلفات الأخضري قد يصل عددها حوالي عشرين تأليفاً؛ بل ثمة من يرى أنه أنجز زهاء الثلاثين عملاً؛ منها ما هو معروف، وما هو مفقود.

ومنهجه في التأليف يغلب عليه الطابع المدرسي؛ بسبب اهتمامه بالتربية والتعليم. حيث كان يعمل على ترويض ذاكرة المتعلمين؛ إذ ينجز لهم أولاً المتن الخاص بالمادة المراد تعليمها - بغرض تلخيص الموضوع؛ ضمن قواعد محددة؛ لكي لا يجهد ذاكرة المتلقي - ثم يسعى - بعد ذلك - إلى إعداد الشرح اللازم؛ لتوضيح ما يقصده في المتن.

لذلك نجد أن الأخصري عمل على إنجاز شروح وافية لمعظم منظوماته في شتى العلوم. وهذه الطريقة التعليمية - حتى وإن كانت تقليدية - فقد أفادت عدداً كبيراً من طلبة العلم. ولولاها لتفاقم أمر الجهل بين الناس؛ في زمن كانت الدولة فيه لا تهتم بتعليم أبنائها. وعلى هذا؛ أصبحت معظم كتب الأخصري تدرس في أهم المعاهد بالمغرب والمشرق: كالأزهر والزيتونة والقرويين؛ بالإضافة إلى المدارس والزوايا بتلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وبسكرة وغيرها من البلدان الإسلامية في آسيا...

وبعد استكمال الحديث حول حياة الأخصري، ومستوى تفاعله مع عصره، ومدى قيمة أفكاره وأعماله؛ التي انحصرت في عملية التريية والتعليم، وفي تأليف الرسائل والكتب نظماً ونثراً، إلى جانب القيام الواجبات الدينية؛ التي كان حريصاً على أدائها؛ في إطارها الشرعي؛ الملتزم بالكتاب والسنة؛ عندها؛ نصل الآن إلى موضوع مؤلفاته العديدة؛ على أننا سنلمح - بإيجاز - لبعضها؛ بينما نتوسع - بعض الشيء - في الكلام عما توفر منها لدينا؛ ولكن في حدود يسمح بها مجال هذه الدراسة. وعلى هذا فأهم كتب الأخصري هي:

أولاً - رسالة في علم الحساب:

نظمها في مائة وسبع عشرة بيتاً. ولم تكن مادة الحساب - على ما يبدو - هي الغاية التي يرغب فيها الأخصري؛ حين وضع هذه الرسالة؛ بل كان الحساب وسيلة لفهم وتطبيق مادة "الفرائض" و"قسمة التركات". لذا فقد خصص القسم الأول من كتابه "الدرة البيضاء" لتعليم الحساب. وقد صاغ "رسالة الحساب" بأسلوب بسيط وواضح؛ وضع فيها القواعد الأولية الهامة للحساب. وحظيت هذه المنظومة باهتمام المشرفين على المعاهد التعليمية في المغرب والمشرق. وطبعت عدة طبعات؛ منها طبعة القاهرة سنة 1369 هـ/ 1949م؛ ضمن "مجموع مهمات المتون". ولدى كاتب هذه السطور نسخة منها. سيتم شرح بعض فصولها؛ بغرض توضيح طرق تدريس الحساب في عصر الأخصري. وهذه المنظومة تبدأ بـ:

– الباب الأول: الذي يشرح فيه الأخضري ماهية "حروف الغبارى"¹. ثم يحدد مراتب الأعداد في أربع مراتب؛ هي: الآحاد والعشرات والمئات والآلاف. وبعدها تتبدل الأعداد؛ حيث تصبح الآلاف كآحاد. وفي ذلك يقول:

حُرُوفُهُ مَعْلُومَةٌ مَشْهُورَةٌ
مِنْ وَاحِدٍ لِتَسْعَةٍ مَذْكُورَةٌ
وَجَعَلُوا صِفْرًا عَلَامَةَ الْخَلَا
وَهُوَ مُدَوَّرٌ كَحَلْقَةٍ جَلَا

ومن خلال البيت الثاني؛ الذي يصف فيه الناظم الصفر على أنه "مدور كحلقة"؛ يتبين لنا أن الأرقام المتبعة في الجزائر – أيام الأخضري – هي "الأرقام العربية" المعمول بها الآن؛ وليست "الأرقام الهندية" المعتمدة في المشرق العربي؛ التي يكون الصفر فيها عبارة عن نقطة.

¹ حروف الغبارى أو الحروف الغبارية: هي الأعداد من واحد إلى تسعة؛ حسب الطريقة المتبعة في بلدان المغرب. وهي المعروفة بالأعداد العربية.

وبعد الحديث عن حروف الغبارى؛ ينتقل
الأخضري مباشرة - مبدياً قدرة كبيرة على النظم -
إلى وصف عملية الجمع بالشكل المبسط نفسه؛ فيقول
في:

- الباب الثاني: المخصص للجمع:

وَالْجَمْعُ ضَمُّ عَدَدٍ لِعَدَدٍ
لِكَيْ تُعَدَّهُ بِلَفْظٍ مُفْرَدٍ
فَتُجْمَعُ الْأَحَادُ لِلْأَحَادِ
وَهَكَذَا الْبَاقِي عَلَى التَّمَادِي

وعملية الجمع - كما يقول الأخضري هنا - هي
عبارة عن ضم عدد معين لعدد آخر؛ بحيث يُنطَقُ
- بعد ذلك - بصيغة المفرد؛ كأن تقول: إثنان
زائد ثلاثة يساوي خمسة؛ فتأتي النتيجة مفردة أي
خمس؛ بعد أن قدمت في البداية في شكل عددين هما:
إثنان وثلاثة. ثم يترسل - بعدئذ - في وصف الكيفية
التي تمت بها عملية الجمع؛ وذلك بإضافة كل رتبة
إلى مثلتها: (الأحاد للآحاد والعشرات للعشرات والمئات
للمئات والآلاف للآلاف)؛ بحيث توضع نتيجة كل رتبة
- إن كانت دون التسعة - تحت أختها؛ وما كان
فوق التسعة يضاف للرتبة الموالية؛ كأن يضاف

الفائض عن الأحاد إلى العشرات، والفائض عن
العشرات يضاف إلى المئات؛ وهكذا حتى تنتهي
المراتب المقصودة بالجمع. ويلخص الأخصري هذا
بقوله:

ضِفْ كُلَّ رُتْبَةٍ إِلَى الْمَوْضُوعِ
مِنْ تَحْتِهَا وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَجْمُوعِ
فَإِنْ يَكُنْ تِسْعًا فَأَدْنَى فَلَتَضَعُ
جُمْلَتَهُ فَوْقَ الَّذِي مِنْهُ اجْتَمَعَ
وَمَا يَكُونُ زَائِدًا عَلَيْهَا
فَأَنْزِلْ بِهِ تَحْتَ الَّذِي تَلِيهَا
وَاجْمَعْهَا مَعَ أَعْدَادِهَا بِالضَّبْطِ
فَخَارِجٌ مَا كَانَ فَوْقَ الْخَطِّ

هذا في الأعداد من: واحد إلى تسعة؛ أما في حال
جمع عدد منها إلى صفر؛ فالنتيجة لا تتغير عن قيمة
العدد المذكور، أما إذا جُمِعَ صفران إلى بعضهما؛
فالنتيجة تكون صفراً من الصفرين. وهكذا دواليك في
كل الحالات.

وَإِنْ جَمَعْتَ عَدَدًا لِصِفْرِ
فَاطْلَعْ إِذَا بَعَدَ لِتَدْرِي

فَإِنْ جَمَعْتَ هَاهُنَا صِفْرَيْنِ
فَاطْلَعُ بِوَاحِدٍ مِّنَ الْإِثْنَيْنِ
وَإِنْ تَكَرَّرَ الَّذِي قَدْ نَزَلَ
بِهِ لِكَوْنِ الْجَمْعِ قَدْ تَسْلَسَلَ
فَاجْمَعُهُ مَعَ أَعْدَادِ مَا بِهِ عَرَى
مِنْ دُونِ تَغْيِيرِ لَهُ كَذَا جَرَى

ويتبين لنا من خلال ما أنجزه الأخصري في هذه المنظومة وغيرها من المتون؛ أنه يضع قواعد جاهزة للحفظ؛ قصد استيعاب العلم المراد تعليمه؛ وهذا لا يتناقض مع الطرق البيداغوجية المعمول بها حديثاً؛ إذ يخصص في الكتب المدرسية الحالية فقرة أو فقرات لكل درس؛ يطلب من التلاميذ حفظها؛ وتسمى هذه الفقرة "بالقاعدة". وهذا ما كان يرمي إليه الأخصري من إعداد المتن؛ خاصة المنظوم منه؛ الذي يسهل حفظه؛ خلافاً للفقرات المشورة المعتمدة حالياً. على أنه كان يسعى - فيما بعد - لإعداد شروح وتفسير لتلك القواعد المسماة بالمتون؛ حتى يتمكن الطلبة من التوسع وهضم الدروس وفهمها من جميع جوانبها.

وكما هو الحال بالنسبة لموضوع الجمع فقد
خصص أيضاً للطرح باباً في منظومته.

— **الباب الثالث: وبدأه بـ:**

الطَّرْحُ إِسْقَاطُ قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ
وَهُوَ عَلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ يَصِيرُ
فَإِنْ طَرَحْتَ الْقَدْرَ مِنْ كَثِيرٍ
فَالطَّرْحُ فِيهِ وَاضِحٌ التَّقْدِيرِ

إذن؛ فالطرح عبارة عن إسقاط العدد القليل من
العدد الكثير. ويتم ذلك بإتباع ست طرق:

— **الطريقة الأولى:** هي العادية، البسيطة؛ التي يتم فيها
طرح القدر القليل من القدر الكثير؛ مثل:

$$\begin{array}{r} 444 \\ - 222 \\ \hline = 222 \end{array}$$

— **أما الطريقة الثانية والثالثة:** فتطلب استعارة عدد
من الرتبة الموالية ليضاف إلى المرتبة الناقصة؛ يقول
فيها:

وَالْحَمْلُ فِي قِسْمَيْنِ إِنْ صِفْرٌ عَلَا
 أَوْ كَانَ الْأَعْلَى أَدْنَى مِمَّا سَفَلَا
 فَاحْمِلْ عَلَيْهِمَا بَعْشَرَ وَافِيَهُ
 وَاطْرَحْ وَأَدْخِلْ وَاحِدًا فِي الثَّانِيهِ

مثال هذا يكون على شكلين: إما أن يكون
 القدر الذي يطرح منه صفراً بينما القدر المطروح
 من واحد إلى تسعة، أو يكون القدر المطروح منه
 من واحد إلى تسعة ولكنه أكثر من المطروح منه؛
 عندئذ تستوجب العملية الحمل إلى المرتبة الموالية؛
 فنحمل عشر، ثم نطرح ذلك العدد المجاور بعد أن
 ندخل الواحد في الأولى. ويتم ذلك كما يلي:

$$\begin{array}{r} 440 \\ - 222 \\ \hline = 218 \end{array}$$

وهنا لا يصح القول: 2 من صفر؛ بل نستعير 1
 من العدد 4 المجاور، ونضيفه للصفر؛ فيصبح العدد
 المطلوب 10؛ بينما ينقص من العدد 4 واحد؛
 فيضحى 3. إذن نطرح 2 - 10 = 8. ثم نتقل إلى
 مرتبة العشرات؛ فنطرح 2 من 3؛ بعد أن أصبحت
 هكذا؛ بسبب الواحد الذي استعير منها؛ فتكون

النتيجة = 1. ثم نطرح - في النهاية - مرتبة المئات:
4 - 2 = 2. فتغدو النتيجة النهائية: 218.

- أما الطريقة الرابعة والخامسة والسادسة: فيقول
فيها:

وَالصَّفْرُ كَافٍ إِنْ طَرَحْتَ العَدَدَا
مِنْ مِثْلِهِ كَالصَّفْرِ مِنْ صِفْرِ بَدَا
وَإِنْ يَكُ الصَّفْرُ الَّذِي مِنْ أَسْفَلَا
فَاقْنَعْ إِذَا بَعَدَدِ قَدْ اعْتَلَى
وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَقْسَامِ
فِيمَا عَدَا الأَخِيرِ ذِي الإِثْمَامِ
لأنَّهُ حَتْمًا يَكُونُ أَكْثَرَا
مِنَ الَّذِي مِنْ تَحْتِهِ قَدْ شُهِرَا

وبيانها أن تكون في حال طرح صفر 0 من 0
مثله؛ فتكون النتيجة 0. أو طرح 0 من أعداد تتراوح
من: 1 إلى 9؛ فالنتيجة تكون حسب مقدار العدد
المطروح منه. مثل: 6 - 0 = 6. والأخرى تتم عند
طرح أي عدد من 1 إلى 9 من صفر. وهنا يتعذر
الطرح.

وقد اشتملت هذه المنظومة أيضاً على باب
خاص بعملية الضرب.

— الباب الرابع: استهله الناظم بـ:
إِعْلَمَ بِأَنَّ الضَّرْبَ تَضْعِيفُ العَدَدِ
بِقَدْرِ مَا فِي آخِرِ مِنَ العَدَدِ
فَجَعَلَهُمَا سَطْرَيْنِ كُلُّ مَرْتَبَةٍ
مَقْرُونَةٌ بِأَخْتِهَا مَرْتَبَةٍ
فَكُلُّ رُتْبَةٍ لِأَعْلَى تُنْسَبُ
فِي رُتْبَةِ الآخِرِ طَرًّا تُضْرَبُ

الضرب يختلف عن الجمع والطرح؛ في أنه
تضعيف للعدد بقدر العدد المضروب فيه. وإذا كان
الضرب يتفق معهما في ترتيب المراتب؛ بحيث توضع
الآحاد تحت الآحاد والعشرات تحت العشرات وغيره؛
فإنه لا يكفي مثلهما بضرب مرتبة الآحاد مع
الآحاد مثلاً؛ بل يمكن لعدد في مرتبة الآحاد أن
يُضْرَبَ بعدد آخر في مرتبة العشرات وهكذا دواليك.
وإذا تمت عملية الترتيب؛ تبدأ عملية الضرب بـ:

وَأَحْسِبُ مِنَ الْمَضْرُوبِ لِلْمَضْرُوبِ فِيهِ
 وَالتَّرْكُ لَا مِنْ وَاحِدٍ تَكُنْ نَبِيَهُ
 وَتَجْعَلِ الْخَارِجَ فَوْقَ الْأَسْطُرِ
 بِقَدْرِ ذَلِكَ الْحِسَابِ الْأَشْهَرِ
 وَيُجْمَعُ الْخَارِجُ ثُمَّ يُجْعَلُ
 مِنْ فَوْقِهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ يُفْعَلُ

والعملية تتم بضرب المضروب في المضروب فيه
 ضمن خانة الأحاد على حد سواء؛ ثم تضرب
 الأحاد بالعشرات وبعدها المئات إلخ.. وبعد انتهاء
 ضرب خانة الأحاد بالخانات الأخرى تنتقل العملية
 نفسها انطلاقاً من خانة العشرات إلى غيرها؛ وهكذا
 بالتناوب. وتوضع النتيجة مرتبة بعد مرتبة على
 التوالي؛ وإذا فاض عدد يوضع فوق الخانة الموالية ثم
 يجمع مع أعدادها؛ مثل:

$$\begin{array}{r}
 44 \\
 \times 44 \\
 \hline
 176 \\
 176 \\
 \hline
 = 1836
 \end{array}$$

وذلك بضرب $4 \times 4 = 16$ ؛ فنثبت 6 في الموضع
 المخصص للنتيجة؛ ونرفع الواحد؛ الذي يمثل العشرات
 فوق العدد 4 التي تحتل خانة العشرات أيضاً؛ ثم

نضيف ذلك الواحد إلى 16 وهي النتيجة الثانية؛ فتصبح 17. هذه هي المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية فتطلب ضرب الأربعة الأخرى في خانة العشرات السفلى بخانة الآحاد العليا وتثبت 6 أيضاً ثم يرفع الواحد كذلك فوق خانة العشرات مثل الأولى، ويجمع مع نتيجة العشرات؛ فتكون النتيجة هي 176 أيضاً فترتب بتارك خانة يمين الأعداد؛ ثم تجمع المراتب كلها لتحصل النتيجة النهائية وهي: 1836.

ثم يضيف الأخضرى قائلاً:

وَإِنْ ضَرَبْتَ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ
فَوَاحِدٌ يَكُونُ دُونَ زَائِدٍ
وَإِنْ ضَرَبْتَ ذَاكَ فِي الْأَعْدَادِ
فَقَدْرُ مَا فِيهَا مِنَ الْأَحَادِ
فَاقْنَعُ بِصِفْرِ أَنْ ضَرَبْتَ الصَّفْرَ فِي
نَظِيرِهِ أَوْ عَدَدٍ فَلْتَقْتَفِي

وستكون النتيجة — حين تضرب واحداً في واحد — هي واحد دون زيادة؛ أما إذا ضربت واحداً في عدد ما؛ فالناتج يكون بقدر ذاك العدد؛ كأن تضرب: 1×4 ؛ ستكون النتيجة حتماً 4. ومن جهة أخرى فإذا ضربت الصفر في الصفر؛ فالنتيجة هي صفر بالطبع.

وكذلك هو الحال إذا ضربت الصفر بعدد ما؛ فلا
بد أن تكون النتيجة صفراً؛ كأن تضرب 0×4
فالنتيجة = 0.

أما باب القسمة فقد قسمه الأخصري إلى
فصلين:

— الباب الخامس: يقول في أولهما:

وَعَمَلُ الْقِسْمَةِ فِي الْحِسَابِ
مِنْ أَحْسَنِ الْفُصُولِ وَالْأَبْوَابِ
فَلْتَجْعَلِ الْمَقْسُومَ فَوْقَ الْآخِرِ
وَتَجْعَلِ الْأَمَامَ تَحْتَ الْآخِرِ
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَكْثَرُ
تَحْتَ الْأَقْلِ مِنْهُ بَلْ يُقَهَّقَرُ
ثُمَّ تَرُومُ عَدَدًا يُضْرَبُ فِيهِ
مِنْ تَحْتِهِ تُفْنَى بِهِ الَّذِي عَلَيْهِ
وَمَا بَقِيَ فَضَعُهُ فَوْقَ ذَاكَ
وَقَهَّقَرِ الْأَمَامَ مِنْ هُنَاكَ
فَإِنْ تَعَدَّى رُبَّةً فَلْتَجْعَلِ
صِفْرًا قِبَالَ الْمَعْدَى أَسْفَلَ
وَأَفْعَلْ كَمَا ذَكَرْتَهُ إِلَى التَّمَامِ
فَخَارِجٌ مَا تَحْتَ ذَلِكَ الْأَمَامِ

وَمَا بَقِيَ مِنَ الْكُسُورِ يُطْلَبُ
فَوْقَ الْأَمَامِ ثُمَّ مِنْهُ يُنْسَبُ

لفهم ما يرمي إليه الأخصري في موضوع القسمة هنا؛ لا بد من التنبه إلى أن عملية القسمة — قديماً — كانت تتبع بطرق تختلف عما هو معروف الآن؛ وقد تعددت الطرق في هذا الموضوع؛ من ذلك أنهم كانوا يجرون القسمة بعدة أساليب؛ منها طريقة الشطب التي تشبه الطرح.¹ لأن القسمة في حقيقتها عبارة عن طرح متكرر؛ بغرض معرفة كم من المرات التي يوجد فيها عدد في عدد آخر؛ على أن يتم ذلك بسرعة.

$$\begin{array}{r} 15 \text{ النتيجة} \\ /2/67 \\ 400 \text{ المقسوم} \\ 243 \text{ المقسوم عليه} \end{array}$$

وتتم هذه العملية بوضع المقسوم فوق المقسوم عليه؛ وينطلق العمل من بالرقم الأمامي أي من يسار الأعداد؛ فنقول $400 \div 243 = 1$. ثم نقوم بضرب $243 = 1 \times 243$. وبعدها نطرح الناتج بواسطة الشطب؛ وهو 243 من 400؛ أي من أمام المقسوم أو

¹ انظر كتاب علم الحساب تطوره وأهدافه وطرق تدريسه، ص: 126 - 138.

بالأحرى بدءاً باليسار نحو اليمين؛ وذلك بشطب كل رقم يتم طرحه؛ على التوالي.
 كما كانوا - أيضاً - يجرون القسمة بوضع النتيجة في الأعلى؛ مثل:

النتائج	55
المقسوم عليه	4
المقسوم	222
	20
	0 2 2
	0 2 0
الباقى	0 0 2

ويبدو أن الطريقة الأخيرة هي التي اعتمدها الأخصري في منظومته؛ وهي لا تختلف عما هو متبع في جل البلدان الآن؛ سوى في وضع النتيجة في الأعلى؛ بينما توضع عندنا تحت المقسوم عليه. وتجري: بالبدء من أمام العدد المقسوم؛ أي من جهة اليسار؛ فبدأ برقم 22؛ فنقسمه على 4؛ فتكون النتيجة الأولية: 5؛ فنضرب $5 \times 4 = 20$ ؛ فنطرح 20 من 22 = 02؛ عندها ننزل رقم 2 الباقي في العدد الإجمالي للمقسوم؛ بعد أن أجهناه في المرة الأولى؛ فيصبح العدد المراد قسمته هو 22؛ فنقسمه مرة أخرى على 4؛ فيساوي 5 أيضاً؛ فنطرح - للمرة الأولى - فيبقى: 002؛ وهو الرقم الذي لا يقبل القسمة على 4.

وكما ترى فالنتائج يوضع في الأعلى أيام الأخصري.
وهذا يختلف عن الطريقة الحالية التي توضع النتائج
تحت المقسوم عليه؛ مثل:

$$\begin{array}{r|l}
 64 \text{ المقسوم} & 4 \\
 \hline
 4 & 16 \text{ النتيجة} \\
 \hline
 \text{المقسوم عليه} & 24 \\
 & \underline{24} \\
 & 00 \text{ الباقي}
 \end{array}$$

أما الفصل الثاني فيقول فيه:

وَإِنْ تَشَأْ فَتَأْخُذُ الْوَفْقَيْنِ
وَأَعْمَلُ عَلَيْهِمَا بَغَيْرِ مِئِنِ
أَوْ حُلِّ مَقْسُومًا عَلَيْهِ وَأَقْسَمًا
عَلَى أُمَّةٍ لَهُ لَتَعْلَمَا
أَوْ تَقْسِمَ الْمَقْسُومَ بِالتَّفْضِيلِ
وَتَجْمَعُ الْخَارِجَ بِالتَّعْدِيلِ

وكما هو واضح من الأبيات أعلاه؛ فكل
اهتمام الأخصري من عملية الحساب كان منصباً في
الغرض الأساسي من شرحه لمادة الحساب؛ وهي
الكيفية التي يقرب بها فكرة تقسيم التركات؛ وهذا
ما جعله يستعمل بعض المصطلحات المعمول بها في

الفرائض وتقسيم التركات؛ مثل: الوفق والتفضيل والتعديل والتسمية. لذا فعملية استخراج القاسم المشترك الأعظم هنا ضرورية؛ كما أن تقسيم الأعداد أقساماً متساوية؛ يستدعي أحياناً اللجوء لعملية الاختزال من أجل الحصول على النتيجة النهائية للقسمة.

ثم يواصل الأخصري نظمه الذي يبين فيه عمليات الكسور وكيفية إجراء الاختبار؛ من أجل تصحيح العمليات الأربعة في الحساب. وكل هذا يمكن متابعته من خلال المقاطع الآتية:

الباب السادس: في التسمية

تَسْمِيَةٌ نَسْبُكَ الْقَلِيلَا
مِنَ الْكَثِيرِ فَأَعْرِفِ التَّمْثِيلَا
فَأَلْقِهِ أُمَّةً لِتَقْسَمَا
مِنْ بَعْدِ أَنْ تُحِلَّهُ فلتَعْلَمَا
وَالْبَدءُ فِي تَنْزِيلِهَا بِالْأَكْبَرِ
وَالْبَدءُ فِي قِسْمَتِهَا بِالْأَصْغَرِ
وَمَا بَقِيَ مِنَ الْكُسُورِ يُرْسَمُ
فَوْقَ الْأَمَامِ ثُمَّ مِنْهُ يُعْلَمُ

وَأَقْسِمُ عَلَى الَّذِي يَلِيهِ مَا خَرَجُ
وَأَفْعَلُ كَمَا ذَكَرْتُهُ فَلَا حَرَجُ
فَكُلُّ مَا عَلَى الْأَيْمَةِ تُصِيبُ
هُوَ الْمُسَمَّى مِثْلُ كَسْرٍ يَنْتَسِبُ
وَإِنْ تَشَاءُ فَانظُرْ إِلَى الْأَوْفَاقِ
وَاعْمَلْ عَلَيْهَا عِنْدَ الْإِتْفَاقِ

فصل: في حل الأعداد

قَدْ ذَكَرُوا لِحَلِّهِ مُقَدِّمَهُ
لَا زِمَةَ لِكُلِّ مَنْ تَعَلَّمَهُ
النِّصْفُ وَالْعُشْرُ مَعَ الْخُمْسِ لَمَّا
الصَّفْرُ فِي أَوَّلِهِ تَقَدَّمَ
وَإِنْ يَكُنْ مُفْتَتِحًا بِالْخَمْسَةِ
فَذَلِكَ ذُو خُمْسٍ تَفَهَّمْ اسَّه
وَاعْلَمْ بِأَنَّ جُمْلَةَ الْأَعْدَادِ
مَقْسُومَةٌ لِلزَّوْجِ وَالْإِفْرَادِ
وَلِيُطْرَحَ الزَّوْجُ بِطَرَحِ التَّسْعَةِ
مَعَ الثَّمَانِ ثُمَّ طَرَحِ السَّبْعَةِ
فَإِنْ طَرَحْتَهُ بِتِسْعٍ فَالسُّدُسُ
لَهُ وَتِسْعٌ مَعَ ثَلَاثٍ فَاقْتَبَسْ

وَحَيْثُ سِتُّ أَوْ ثَلَاثٌ عَبْرًا
 فَالْسُّنْسُ وَالْثُلُثُ لَهُ قَدْ شُهُرًا
 وَإِنْ بَقِيَ ثَلَاثَةٌ فَالْسُّنْسُ لَهُ
 وَالْثُلُثُ أَيْضًا فَادْرِ تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ
 وَاطْرَحْهُ إِنْ بَقِيَ غَيْرُ ذَلِكَ
 طَرَحَ الثَّمَانِ تَتَّبِعِ الْمَسَالِكَ
 فَالْثَّمَنُ وَالرُّبْعُ لَهُ إِنْ أَنْطَرِحُ
 وَإِنْ بَقِيَ رُبْعٌ فَرُبْعٌ أَتَّضِحُ
 وَإِنْ بَقِيَ مَا عَدَا مَا قَدْ شُرحُ
 فَاطْرَحْهُ طَرَحَ سَبْعَةٍ إِنْ أَنْطَرِحُ
 فَذَلِكَ ذُو سُبْعٍ وَإِنْ لَمْ يَنْطَرِحُ
 فَلَيْسَ إِلَّا النِّصْفُ فَرَدًّا يَتَّضِحُ
 وَفُدُّهَا بِطَرَحِ تِسْعٍ يُطَرِحُ
 وَطَرَحُ سَبْعَةٍ بِذَلِكَ يُوضَحُ
 فَإِنْ طَرَحْتَهُ بِتِسْعٍ فَالْتُّسْعُ
 لَهُ وَثُلُثٌ فَتَفْهَمُ وَأَتَّبِعُ
 وَإِنْ بَقِيَ ثَلَاثَةٌ أَوْ سِتَّةٌ
 فَذَلِكَ ذُو ثُلُثٍ فَحَسْبُ يُثْبِتُ
 وَإِنْ بَقِيَ غَيْرُ مَا قَدْ ذُكِرَ
 فَاطْرَحْهُ طَرَحَ سَبْعَةٍ وَاعْتَبِرْ
 فَإِنْ طَرَحْتَهُ بِذَلِكَ الطَّرَحِ
 فَذَلِكَ ذُو سُبْعٍ تَفْهَمُ شَرْحِي

وَأِنْ يَكُنْ لَمْ يَنْطَرِحْ فَهُوَ الْأَصَمُّ
فَسَمٌّ مِنْ أَجْزَائِهِ مَا قَدْ عَلِمَ

الباب السابع: في الاختبار

الاختبارُ آلةٌ قد علما
يُفيدُ في جميع ما تقدما
فاختبارُ الجمعِ ذو وجهين
إما بطرح أحد السطرين
من خارج فاعلم ويقتى الآخر
فواضح بيانه وظاهر
أو تطرح الخارج والباقي الجواب
فجيمًا اجعل فوقه بلا ارتياب
ثم اطرح السطرين واجمع ما بقي
واطرحه يقتى كالجواب السابق
واختبر الطرح بجمع الطرفين
لكي يكون وسطاً بغير مین
كذا بطرح ما بقي من أو سط
يقتى كمثل وسط بلا شطط
أو تطرح الباقي فباقيه الجواب
واطرح بذلك الآخرین باحتساب

وَاطْرَحُ بَقِيَّ اسْفَلِ مِمَّا بَقِيَ
 مِنْ أَوْسَطِ وَبَعْدَ ذَاكَ وَفَّقِ
 فَإِنْ يَكُنْ أَقْلٌ مِنْهُ فَاحْمِلَا
 عَلَيْهِ مِثْلَ مَا بِهِ الطَّرْحُ جَلَا
 وَالضَّرْبُ فِي اخْتِبَارِهِ وَجْهَانِ
 فَاحْفَظْهُمَا تَصِلُ إِلَى الْبَيَانِ
 فَاخْتَبِرُوا بِقِسْمِ خَارِجِ عَلَى
 سَطْرٍ مِنَ السَّطْرَيْنِ فاعْلَمْ مُسْجَلَا
 كَذَا بِطَرْحِ كُلِّ سَطْرٍ مِنْهُمَا
 بِوَاحِدٍ مِنَ الطُّرُوحِ فاعْلَمَا
 فَمَا بَقِيَ فِي وَاحِدٍ فَاضْرِبْهُ فِي
 مَا قَدْ بَقِيَ لِأَخْرِ لَتَقْتَفِي
 فَمَا بَدَا فَاطْرَحْهُ مِثْلَ مَا أَلْفُ
 فَمَا بَقِيَ فَهُوَ الْجَوَابُ قَدْ عُرِفَ
 وَاطْرَحُ بِذَاكَ خَارِجَ الْحِسَابِ
 يَبْقَى كَمِثْلِ ذَلِكَ الْجَوَابِ
 وَإِنْ تُرِدْ كَيْفَ اخْتِبَارِ الْقِسْمَةِ
 فاعْمَلْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ ذَا هِمَّةٍ
 فَتَضْرِبُ الْخَارِجَ فِي الْأَمَامِ
 فَيَخْرُجُ الْمَقْسُومُ بِالتَّمَامِ
 أَوْ تَطْرَحُ الْمَقْسُومَ وَالْبَاقِي الْمَرَامِ
 وَاطْرَحُ بِذَاكَ خَارِجًا مَعَ الْأَمَامِ

وَاضْرِبْ بَقِيَّ وَاحِدٍ فِيمَا بَقِيَ
 لِيُوَاحِدِ وَأَطْرَحَهُ مِثْلَ السَّابِقِ
 فَإِنْ يَكُنْ مَا بَقِيَ كَالْجَوَابِ
 فَهُوَ صَحِيحٌ دُونَ مَا ارْتِيَابِ
 وَالسَّبْعُ حَيْثُمَا كُسُورٌ تَقَعُ
 فَخَارِجُ الْبَاقِيَتَيْنِ تُجْمَعُ
 وَإِنْ تَسَلُّ عَنِ اخْتِبَارِ التَّسْمِيَةِ
 فَافْعَلْ كَمَا أَقُولُهُ بِالتَّسْوِيَةِ
 فَأَبْدَأُ بِضَرْبِ أَوَّلِ الْمُسَمَّى
 فَمَا يَلِي مَا تَحْتَ ذَا الْمُسَمَّى
 وَاجْمَعُهُ لِلَّذِي عَلَيْهِ وَأَفْعَلًا
 فِي خَارِجِ كَمَا فَعَلْتَ أَوَّلًا
 فَإِنَّ يَكُ الْمَجْمُوعُ كَالْمَنْسُوبِ
 فَهُوَ صَحِيحُ الْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ
 هَذَا اخْتِبَارُ التَّسْمِيَةِ الْمَعْهُودَةِ
 وَاخْتِبَارِ الْأَيْمَةِ الْمَوْجُودَةِ
 بِضَرْبِ مَا قَدَّمْتَهُ فِيمَا أَتَى
 مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْوَلَاءِ يَا فَتَى
 وَخَارِجًا فِيمَا قَدْ اسْتَقَرَّ
 مِنْ بَعْدِ إِلَى هَلُمَّ جَرًّا
 فَيَخْرُجُ الْمَنْسُوبُ مِنْهُ بِالتَّمَامِ
 وَاحْفَظْ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتُ وَالسَّلَامَ

باب الكسور، ويشتمل على فصلين:
الفصل الأول في أقسامها

الكسْرُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُخْتَلِفٌ
مُبَعَّضٌ مُنْتَسِبٌ كَذَا عُرِفَ
فَذُو اخْتِلَافٍ مِثْلُ ثُلُثٍ وَرُبْعٍ
وَذُو انْتِسَابٍ مِثْلُ خُمْسٍ وَسَبْعٍ
خُمْسٍ وَذُو التَّبَعِيضِ فَهُوَ يَنْتَسِبُ
بِالعَكْسِ مِنْ كَسْرٍ أَمَامَهُ نُسِبٌ
وَبَسْطُ ذِي الإِفْرَادِ وَافَقَ الأَمَامُ
وَبَسْطُ ذِي التَّبَعِيضِ فَافْهَمِ الكَلَامَ
بِضَرْبِ مَا عَلَى الأَمَامِ الأَوَّلِ
فِي كُلِّ مَا يَلِيهِ فَلْيُكَمِّلِ
وَذُو انْتِسَابٍ كَاخْتِيَارِ النُّسْبَةِ
وَقَدْ مَضَى تَقْدِيرُهُ بِالْجُمْلَةِ
وَالْمُخْتَلِفُ بِضَرْبِ بَسْطِ مَا قُصِدَ
فِي كُلِّ مَا مِنْ تَحْتِ غَيْرِهِ عُهُدٌ
وَضَرْبُ بَسْطِ ذَاكَ فِي أَمَامِ ذَا
وَيُحْمَلُ المَجْمُوعُ فَافْعَلْ هَكَذَا
وَإِنْ يَكُنْ هُنَا صَحِيحٌ يُدْرَى
كَأَنَّهُ بَسْطُ الكُسُورِ شُهْرًا

الفصل الثاني في أعمال الكسور

وَإِنْ تُرِدْ ضَرْبَ الْكُسُورِ فَاضْرِبَا
الْبَسُطَ فِي الْبَسُطِ وَكُنْ مُرْتَبَا
فَقَدِّمِ الْكَبِيرَ فِي الْأَيْمَةِ
يَبْدُو لَكَ الْمَطْلُوبُ بَعْدَ الْقِسْمَةِ
وَوَصَفُ قِسْمَةِ الْكُسُورِ هَكَذَا
بِضَرْبِ بَسُطِ ذَاكَ فِي أَمَامِ ذَا
وَالْعَكْسِ وَأَقْسِمُ خَارِجَ الْمَقْسُومِ
عَنْ خَارِجِ الْأَمَامِ كَالْمَعْلُومِ
وَهَكَذَا تَسْمِيَةُ الْكُسُورِ
وَيُقْسَمُ الْأَدْنَى عَلَى الْكَثِيرِ
وَمِثْلُ ذَاكَ الْجَمْعُ لَكِنْ تُجْمَعُ
وَالْخَارِجَاتُ بَعْدَهُ تُوزَعُ
وَالطَّرْحُ يُطْرَحُ الْأَقْلُ مِنْهُمَا
مِنَ الْكَثِيرِ فِيهِ ثُمَّ تَقْسِمَا
وَاخْتَبِرِ الطَّرْحَ بِطَّرْحِ بَسُطِ مَا
بَدَأَ وَسَطْرِيهِ كَمَا تَقَدَّمَا

وَحَارِجاً فَابْسُطُهُ كَالْمَقْسُومِ فِي
جَمْعٍ وَقِسْمَةٍ وَنِسْبَةٍ تَفِي
يُطْرَحُ بَسْطُ مَا بَقِيَ وَمَا ظَهَرَ
مِنْ ذِيكَ الشَّطْرَيْنِ طَرْحاً يُخْتَبَرُ

ثانياً - الدرّة البيضاء:

في الحساب والفرائض؛ وقد نظمها الأخصري في
خمسمائة بيت؛ مقسمة إلى ثلاثة أقسام: أولها يدرس
موضوع الحساب؛ وقد شرحناه؛ والثاني فقه الفرائض
والتركات، أما الثالث فيهتم بالجانب العملي في قسمة
التركات. ويبدو أن هذا التأليف قد سرق مخطوطه -
في بداية الأمر - من الأخصري ثم وجدته؛ فقام
بشرح القسم الثاني بنفسه، ثم شرح بعض الفصول
من القسم الثالث. وربما يكون عبد اللطيف المسبح
المرداسي قد تولى شرح "الدرّة البيضاء"؛ حسبما
قال عبد الكريم الفكون.¹

المهم أن كتاب "الدرّة البيضاء" قد نشر عدة
مرات؛ منها طبعة القاهرة سنة 1309هـ/1891م
وطبعة مشروحة سنة 1325هـ/1907م. كما قام

¹ تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 92.

الشيخ محمد الصادق الشطي بشرح القسم المتعلق
بالفقه من "الدرة البيضاء" ونشره في تونس سنة
1355هـ/1936م؛ وقد تقرر تدريس هذا الشرح في
جامع الزيتونة. وفي هذا السياق ستكلم في بعض
العينات من القسم الثاني "للدرة البيضاء". ويوجد
لدى كاتب هذه الدراسة نسخة منها. ومن شرحها
الصادر بالقاهرة سنة 1325هـ/1907م.

1 - كيفية التصرف بأموال الميت:

1

تَرْتِيبُ مَا يُؤَدَى بِهِ فِي الْمَالِ
تَدْرِيهِ مِنْ "تَدْوْم" فِي مَقَالِ

كل ما يهم في هذا البيت هي كلمة "تدوم"؛
أوردها الأخضري في سياق نظمته؛ لتحفظ بغرض
التذكر؛ وهي أربعة حروف توضح المراتب التي
يصرف فيها مال الميت شرعاً؛ وهي أربع مراتب؛
نتذكر كل واحدة؛ كلما نطقنا حرفاً بعد حرف.
لذلك فهو يقول: أن الترتيب المطلوب عند البدء في
التصرف بأموال الميت؛ هو أن نبدأ بحرف "التاء"

من كلمة "تدوم" والتاء - هنا - ترمز لتجهيز الميت. أما "الذال" فترمز للدين الذي عليه، و"الواو" تشير للوصية التي يكون الميت قد أوصى بها، و"الميم" ترمز للميراث الذي لا يصح؛ إلا بعد إتمام ما سبق ذكره بالترتيب الذي وضع في كلمة "تدوم". ثم يشرع في تعداد الوارثين بالفرض فيقول:

2

الْوَارِثُونَ فِي الرَّجَالِ عَشْرَةٌ
 مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ أَتَتْ مُقَرَّرَةٌ
 أَبٌ وَجَدُّ لَأَبٍ إِنْ انْفَصَلَ
 بِذَكَرٍ وَابْنٌ وَمَنْ مِنْهُ انْسَفَلَ
 زَوْجٌ أَخٌ وَابْنٌ أَخٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ
 لِأُمٍّ مَوْلَى نِعْمَةٍ أَيْضاً قَمِنُ
 وَالْعَمُّ لَا لِأُمٍّ وَابْنُهُ كَذَا
 وَغَيْرُ مَنْ ذَكَرْتُهُ قَدْ نُبِذَا

أوضح الأخضري - هنا - أن أصحاب الحق في الإرث من الرجال عشرة أصناف؛ طبقاً لما نص عليه الشرع؛ هم: 1 - الأب. 2 - والجد من جهة الأب؛ بشرط ألا يشوب التسلسل انقطاع أو انفصال

بسبب أنثى تربك تسلسل الآباء. 3 - والابن. 4 -
وابن الابن؛ وليس ابن البنت؛ أي الذي من أيه
انثى. 5 - والزوج 6 - والأخ؛ سواء كان من الأب أم
من الأم. 7 - وابن الأخ؛ على أن يكون ابن أخ شقيق
من جهة الأب وليس الأم. 8 - مولى النعمة؛ سواء
كان مولى عتق أو مولى الولاء؛ لأنه قمن أي جدير.
9 - والعم؛ على أن يكون عمًا شقيقًا، أو لأب وليس
عمًا لأم. 10 - وابن العم كذلك؛ وينطبق عليه ما
ينطبق على أيه.

3

وَسَبْعُ النِّسَاءِ وَهِيَ الْبِنْتُ
وَبِنْتُ الْإِبْنِ زَوْجَةً وَأُخْتٌ
أُمٌّ وَمَوْلَاةٌ وَجَدَّتَانِ
فَمَا عَلاَ بِالمِثْلِ تُدَلِّيَانِ
وَهُنَّ أُمَّهَاتُ الْأُمِّ وَالْأَبِ
وَعَدُّ زَيْدٍ أُمَّ جَدٍّ قَدْ أَبِي

أما النساء فالوارثات منهن سبعة أصناف؛ هي: 1
- البنت التي خرجت من صلب الميت. 2 - وبنت
الابن؛ ويدخل في هذا الاعتبار بنت ابن الابن أيضاً.

3 - والزوجة. 4 - والأخت؛ سواء كانت شقيقة أو
من أب أو أم. 5 - والأم. 6 - ومولاة النعمة؛ ويقصد
بها المعتقة. 7 - والجدة؛ أي أم الأب وأمها، أو أم الأم
وأمها. أما قوله: **وَعَدُّ زَيْدٍ أُمَّ جَدِّ قَدُّ أَبِي**؛ يعني
أن ما قاله زيد بن ثابت رضي الله عنه بخصوص
ميراث أم الجدة رفضه جمهور العلماء.

2 - موانع الإرث:

4

مَوَانِعُ الْمِيرَاثِ سَبْعٌ وَهِيَ فِي
"عِشْ لَكَ رِزْقٌ" حُصِرَتْ فَلْتَقْتَفِي
وَقَاتِلُ الْعَمْدِ بِإِطْلَاقِ سَقَطُ
وَيَرِثُ الْمُخْطِئُ فِي الْمَالِ فَكَطُ

أما الأسباب التي تمنع من الإرث؛ فهي **سبعة**
موانع؛ حصرها **الأخضري** في **سبعة حروف**؛ ترمز
للحالات المانعة؛ وقد جمعت في كلمات ثلاثة هي:
"عش لك رزق". 1 - **فالعين** ترمز **"لعدم الاستهلال"**؛
أي استهلال الطفل عند مولده بالصراخ؛ لأن ذلك
يعني أنه ولد حياً؛ ومرجع ذلك إلى ما رواه جابر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إذا استهلَّ الصبيُّ ورثَ وصلى عليه)).¹ 2 – وحرف الشين يرمز "للشك"؛ تبعاً لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا ميراث بشك))؛ مثل الشك في النسب، أو الشك في كون زوجة الميت حامل، أو الشك فيمن سبقته الموت من المتوارثين؛ في حالات الغرق أو الهدم؛ وعلى هذا فقد قال الإمام مالك: ((لا ينبغي أن يرث أحدٌ أحداً بالشك، ولا يرث أحدٌ أحداً إلاً باليقين من العلم والشهداء)).² 3 – وحرف اللام يرمز "للعان"؛ ويحدث في حال عدم اعتراف الزوج بمولود من زوجته بعد أن اهتمها بخيانتها مع رجل آخر؛ فيتلاعنان أمام القاضي؛ فيقول كل منهما: "علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين"؛ ففي هذه الحال لا يرث المولود من الرجل المشكوك في أبوته؛ بينما يرث من أمه.³ 4 – وحرف الكاف يرمز "للكافر"؛ الذي لا يرث؛ تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)).⁴ 5 – وحرف الراء يرمز "للرَّق"؛

¹ وعن أبي هريرة: ((إذا استهلَّ المولودُ ورثَ)). معالم السنن، ج: 4، ص: 104. السراجية للجرجاني، ص: 322.

² موطأ الإمام مالك، رواية الليثي، ص: 353.

³ قال أبو داود؛ بعد الأسنيد: ((جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراث بن الملاعنة لأمه ولورثتها من بعدها)). معالم السنن، ج: 4، ص: 100.

⁴ صحيح البخاري، ج: 8، ص: 10. وموطأ الإمام مالك؛ رواية الليثي، ص: 351. وسنن الترميذي، ج: 3، ص: 287.

وبيانه أن من بقي على رقه، أو قال له سيده أنت حر بعد موتي، أو اشترى حرته من سيده بمال؛ فكل هذه الأصناف لا يرث أصحابها. 6 - وحرف الزاي يرمز "للزنا"؛ ومفاده أن المولود عن طريق الزنا لا يتوارث مع أبيه؛ بينما يتوارث مع أمه. 7 - وحرف القاف يرمز "للقتل"؛ إذ لا ميراث للقاتل؛ تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((القاتل لا يرث)).¹ وقد اعتبر أتباع مالك أن المقصود بالقاتل - هنا - هو القاتل بإطلاق؛ أي القتل عمداً. وفي البيت الأخير للأخضري - وهو مالكي - يقول أن القاتل عمداً لا يرث، أما القاتل بالخطأ فيرث في المال.

5

وَيَمْنَعُ الْإِرْثَ نِكَاحٌ فِي الْمَرَضِ
وَلَيْسَ يَمْنَعُ الطَّلَاقُ إِنْ عَرَضَ
وَالْمَوْتُ فِي النِّكَاحِ بِالتَّفْوِيزِ لَا
يَمْنَعُ إِرْثاً وَالصَّدَاقُ حُظْلاً
وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّوَارُثِ الْبِنَا
إِذِ الْوَفَاةُ كَالدُّخُولِ عِنْدَنَا

¹ سنن الترميذي، ج: 3، ص: 288.

وَحَيْثُ فِي فَسْخِ النِّكَاحِ خَيْرًا
فَالِإِرْثُ قَبْلَ فَسْخِهِ لَنْ يُحْضَرَ
وَيَمْنَعُ الْإِرْثَ نِكَاحٌ مُجْمَعٌ
عَنْ فَسْخِهِ وَالْعَكْسُ لَيْسَ يُمْنَعُ
وَحَيْثُ مَا طَلَّقَهَا فِي الصَّحَّةِ
رَجْعِيَّةً تَوَارَثَا فِي الْعِدَّةِ

ولما كان الأخصري قد حدد في البيتين السابقين
الموانع الحقيقية للميراث؛ فقد وجد أنه من الأفضل
إضافة موانع أخرى تابعة للأولى، وتدخّل في باب
النكاح وصحته؛ فالنكاح - مثلاً - فيه مسائل تتعلق
بالميراث؛ لذا فقد أشار لنكاح المريض في صدر
البيت الأول؛ فقرر أن الإرث فيه باطل. والمقصود هنا
المرض المميت؛ الذي لا أمل في الشفاء منه؛ ولا يطول
بصاحبه حتى يقضي عليه.¹ أما الطلاق لمن كان
مريضاً؛ فلا يمنع الإرث إن مات الزوج؛ حتى وإن
انتهت عدة المرأة. وهذا ما أشار إليه الناظم في
عجز البيت. وقد وُضِعَ فَصْلٌ في موطأ الإمام مالك

¹ هذه مسألة اختلف فيها العلماء؛ ومن بينهم علماء المالكية أنفسهم؛ إذ وردت لهم أقوال متباينة في هذا الموضوع؛ ومرد خلافتهم راجع إلى اختلاف أحوال المرضى؛ إذ فيهم من كان مريضاً؛ وطال به المرض إلى ثلاث سنوات؛ لذا فقد أجاز بعض العلماء الإرث للمرأة في حال كهذه. أنظر كتاب المعيار المعرب، ج: 3، ص: 149 - 152.

يُجيز ميراث المطلقة في حال مرض الزوج.¹ أما البيت الثاني فيتناول الأخصري فيه موضوع موت الشخص المتزوج بالتفويض؛ أي بدون تسمية الصداق؛ فإذا مات أحد الزوجين - في هذه الحال - يمكن لأحدهما أن يرث الآخر؛ ولكن الصداق يمنع وهو ما عبر عنه بكلمة "حظل" أي منع. ثم يصرح في البيت الثالث أن الإرث لا يشترط فيه البناء؛ لأن الوفاة في مذهبه كالدخول تماماً. وما يقصده الأخصري من البيت الرابع هو: إذا ترك أحد الزوجين للآخر الخيار في الطلاق أو الإبقاء على عقد الزوجية؛ ومات أحدهما قبل الفصل في الاختيار؛ سلباً أم إيجاباً؛ فإن الميراث يبقى ثابتاً، ولا يسقط؛² ما دام فسخ عقد الزوجية لم يحدث؛ وقد استعمل كلمة "يحظر" تبعاً لقوله سبحانه وتعالى: ((وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)).³ وفي البيت الخامس يقول الأخصري: أن النكاح المتفق على فسخه بالإجماع - كنكاح الزوجة الخامسة - يُمنعُ الإرث فيه؛ إذ هو باطل بالإجماع؛ على العكس

¹ وقال مالك ابن أنس: ((أنه سمع ابن شهاب يقول: "إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً وهو مريض فإنها ترثه". قال مالك: وإن طلقها وهو مريض قبل أن يدخل بها؛ فلها نصف الصداق، ولها الميراث، ولا عدة عليها؛ وإن دخل بها ثم طلقها فلها المهر كله والميراث؛ البكر والثيب في هذا عندنا سواء)). الموطأ؛ برواية الليثي، ص: 391.

² ورد في كتاب المعيار ما يبيح ذلك، ج: 3، ص: 135.

³ سورة الإسراء، من الآية 20.

من النكاح المختلف في أمره بين العلماء؛ كنكاح الشغار مثلاً؛¹ فإنه لا يسقط الإرث. أما البيت الخامس فينبه الناظم من خلاله: إلى أن المرأة؛ عندما يطلقها زوجها - في حال الصحة السليمة - طلاقاً رجعياً؛ ثم توفي واحد منهما؛ فلا يسقط عنهما حق الميراث؛ ما دامت العدة لم تنته؛ فإذا انتهت مدة العدة لا يرثان؛ وهو ما أراده بقوله: (توارثا في العدة).

6

إِذَا أُمَّتُ أُمَّ الْفَتَى بِوَلَدٍ
 مِنْ بَعْدِهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْتَبَعِدٍ
 إِنْ وَضَعَتْهُ قَبْلَ سِتِّ أَشْهُرٍ
 يَرِثُ وَحَيْثُ لَا فَمَنْعُهُ حَرِي

إذا مات أحدهم دون أن يترك ولداً يجب إخوة للأم؛ وفي وقت مماته تكون أمه متزوجة برجل آخر؛ فتلد ولداً بعد موت ابنها المذكور. ففي هذه الحال؛ أجمع العلماء على أن المولود الجديد إن ولد

¹ ورد في صحيح البخاري ((أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار. والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته؛ ليس بينهما صداق)). ج: 6، ص: 128. ((وقال أصحاب الرأي وسفيان الثوري: "النكاح جائز؛ ولكل واحدة منهما مهر مثلها؛ وهي معنى النهي؛ في هذا عندهم؛ أن يستحل الفرج بغير مهر)). معالم السنن، ج: 3، ص: 192.

قبل ستة أشهر من وفاة أخيه يرث؛ وهذا ما قصده الأخضري بقوله: ((إن وضعته قبل ست يرث...)). أما إذا تجاوزت المدة ستة أشهر فلا يرث؛ لأنه غير حري؛ أي جدير بالإرث؛ إذ "لا ميراث بشك"¹ ولكي يصح الإرث لابد من دليل قاطع؛ سواء بمصادقة من الوارث قبل وفاته؛ بإقراره المسبق أنها كانت حاملاً، أو بشهادة موثقة.

3 - السهام:²

1

الثُّلُثُ وَالثَّلَاثَانِ نِصْفٌ وَسُدُسٌ
وَالرُّبْعُ وَالثَّمَنُ فُرُوضٌ فَاقْتَبِسْ

يشير هذا البيت إلى ما يرثه أصحاب الفرض؛³ وهذا يختلف عما يورث بالعصبة.⁴ وقد حدد سهام الفروض في ستة أجزاء هي: الثلث والثلثان والنصف

¹ قال الإمام ملك: ((لا ينبغي أن يرث أحد أحداً بالشك، ولا يرث أحد أحداً إلا باليقين من العلم والشهادة)). موطأ الإمام ملك؛ رواية الليثي، ص: 353.

² مفرد السهام: سهم؛ وهو الحظ والنصيب.

³ الفرض جمعه فروض: وهي السهام المقدره شرعاً للورثة. والفرض هو التقدير والقطع والبيان؛ يقول سبحانه وتعالى: ((وَأَنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ))؛ أي فنصف ما قدرتم. سورة البقرة، من الآية 237.

⁴ العصبة: هم قرابة الرجل لأبيه؛ واختص بها - في الغالب - الذكور من قرابة الرجل.

والسدس والرابع والثمان. ويقصد بكلمة "اقتباس" —
في عجز البيت — إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن
والاقتباس منه. فكل هذه السهام مقدره بكتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإجماع.
وهذه السهام كلها يختص بها اثنا عشر نوعاً من
أصحاب الفروض وهم:

— من الذكور أربعة: الزوج، والأب، والجد
الصحيح، والأخ لأم.

— ومن الإناث ثمانية وهن: الزوجة، والأم،
والجدة الصحيحة، والبنت، والبنت لأبن، والأخت
الشقيقة، والأخت لأب، والأخت لأم.

2

من يرث النصف

نِصْفٌ لِرِزْوَجٍ عِنْدَ فَقْدِ الْإِبْنِ
وَلِابْنَةِ الصُّلْبِ وَبِنْتِ الْإِبْنِ
أُخْتٌ شَقِيْقَةٌ وَأُخْتٌ لِأَبٍ
فِي فَقْدِهَا لَا غَيْرُهُمْ بِهِ حَبِي¹

¹ يقصد بحبي: أعطي.

أصحاب النصف - كما عدّهم الأخصري - خمسة وهم:

1 - الزوج؛ على أن لا يكون للموروث فرع يحق له الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ مثل: الابن، وابن الابن، و بنت الابن، والبنت.

2 - و بنت الصلب؛ ولكي تحظى بنت الصلب بالنصف لا بد أن تكون وحيدة.

3 - و بنت الابن؛ حتى وإن تدرجت في الانحدار التسلسلي إلى بنت ابن الابن؛ بشرط انفرادها عن بنت الصلب ووحدايتها.

4 - والأخت الشقيقة؛ فيشترط فيها كي تحوز النصف؛ أن تكون وحيدة، وأن تنفرد عن البنت و بنت الابن.

5 - والأخت لأب؛ فلا بد أن تنفرد عن الشقيقة والبنت و بنت لابن، أن تكون وحيدة.

3

من يرث الربع

وَالرُّبْعُ سَهْمُ الزَّوْجِ إِنْ كَانَ الْوَلَدُ
وَمَعَ فَقَدِهِمْ لِزَوْجَةٍ وَرَدَّ

أصحاب الربع هما: الزوج والزوجة.

1 - فالزوج: يرث الربع إذا كان للميت فرع آخر يحق له الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ أم كان منه أو من أب آخر؛ أو ابن زنا؛ لأنه يلحق بأمه ويرثها. مثل: الابن، وابن الابن، والبنات، وبنات الابن.

2 - الزوجة: أو الزوجات: ترث الربع إذا لم يكن للميت فرع آخر؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ خرج منها أو من غيرها؛ حتى وإن انحدر تسلسلياً مثل: الابن، وابن الابن، والبنات، وبنات الابن. وقد عبر الأخصري في نظمه عن الشرط في أحقية الزوجة للربع، بفقد الفروع المذكورة؛ حيث قال: "ومع فقدهم"؛ عندها يرد الربع للزوجة.

4

من يرث الثمن

وَالثُّمْنُ سَهْمُهُهَا إِذَا مَا وَجِدَا

وأصحاب الثمن هي الزوجة، أو الزوجات في حال التعدد؛ على أن يشترك معها أو معهن فروع أخرى لها حق في الإرث؛ سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً؛ منها أم

من غيرها؛ مثل: الابن، وابن الابن، والبنات وبنات الابن.

5

من يرث الثلثين

وَالثُّلَثَانِ لِابْنَتَيْنِ وَرَدًا
وَابْنَتِي ابْنٍ وَالْأَخْتَيْنِ وَرَدًا

أما أصحاب الثلثين؛ فهم - كما جاء في البيت -
أربعة؛ وهم:

1 - البنات فأكثر.

2 - بنتا الابن فأكثر: حتى وإن سلفن؛ أي انحدر
التسلسل إلى بنات ابن الابن؛ ويشترط في ذلك
انفرادهن عن البنات وبنات الابن.

3 - الأختان الشقيقتان فأكثر؛ ويشترط أيضاً
انفرادهن عن البنات وبنات الابن.

4 - الأختان لأب فأكثر: ويشترط كذلك انفرادهن
عن البنات وبنات الابن والشقيقة.

6

من يرث الثلث

وَالثُّلُثُ لِلْأُمِّ لَدَى فَقْدِ الْوَالِدِ

وَالْأَخْوَيْنِ وَالْأُخُوَّةِ لَأُمٍّ
وَالْجَدِّ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ قَدْ عَلِمَ

وأصحاب الثلث - كما يقول الأخضرى - ثلاثة؛
هم:

1 - الأم: على أن لا يكون ثمة فرع آخر وارث. وفي
قوله تعالى: ((فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ؛
فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ))¹.

2 - الأخوين والإخوة: إخوة لأم؛ ويشترط أن يكون
عدددهم من اثنين فأكثر؛ سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً؛
فهم شركاء في الثلث. وقال مالك في هذا: ((فَإِنْ
كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ [أَي مِنْ اثْنَيْنِ]؛ فَهَمَّ شُرَكَاءُ
فِي الثُّلُثِ؛ يَقْتَسِمُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالسُّوْيَةِ؛ لِلذِّكْرِ مِثْلَ
حِظِّ الْأُنثِيَيْنِ))². ويشترط في ذلك كله؛ عدم وجود
الفرع الأصلي الوارث. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى:
((فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي
الثُّلُثِ))³.

3 - الجد: ويحدث هذا في بعض الحالات؛ مثل أن
يكون معه إخوة ذكوراً من ثلاثة فأكثر. وقد أقر

¹ سورة النساء، من الآية: 11.

² موطأ الإمام مالك، رواية الليثي، ص: 341.

³ سورة النساء، من الآية: 12.

مالك بن أنس هذا: ((عن مالك؛ أنه بلغه عن سليمان بن يسار؛ أنه قال: "فرض عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت للجد مع الإخوة الثلث"¹)).

7

من يرث السدس

سُنْسٌ لِحَدِّ أَوْ أَبٍ لَدَى الْوَلَدِ
وَوَاحِدٍ الْإِخْوَةَ لِأُمِّمْ وَرَدُّ
وَالْأُمَّمْ مَعَ إِخْوَةَ أَوْ أَبْنَاءِ
وَهُوَ لِلْجَدَّةِ أَيْضاً جَائِي
وَلِابْنَتِ ابْنٍ مَعَ بِنْتِ الصُّلْبِ
وَمَعَ شَقِيقَةِ لِدَاتِ الْأَبِ

حددت هذه الآيات أصحاب السدس ضمن

سبعة ورثة؛ هم:

1 - الجد: على أن يكون للميت فرع آخر يحق له

الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ حتى وإن انحدر في

التسلسل إلى الابن وابن الابن والبننت وبننت الابن

2 - الأب: يجري عليه ما يجري على الجد.

¹ موطأ الإمام مالك؛ رواية الليثي، ص: 344.

3 - الأخ للأُم: لا بد - هنا - أن يكون الأخ للأُم واحداً؛ سواء كان ذكراً أم أنثى.

4 - والأُم: لا بد أن يكون - في هذه الحال - معها فرع آخر يرث الميت؛ وحتى وإن كان واحداً؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ كالابن، وابن الابن، والبنات وبنات الابن؛ أو مجموعة من الإخوة يتجاوز عددهم الاثنين؛ ذكوراً أم إناثاً.

5 - الجدة: سواء كانت أم الأب وأمها، أو أم الأم وأمها؛ على أن لا تكون منفصلة بولد في كل الحالات؛ فترث السلس. أما إذا انفصلت بذكر فلا ترث.

6 - وبنات الابن: لا بد أن تكون مع بنت الصلب الواحدة.

7 - والأخت للأب: يشترط في وراثتها السلس؛ أن تكون مع شقيقة.

ونظراً لضيق المجال؛ نكتفي بهذا القدر من الشرح؛ على أن نكمل كتابة المنظومة كما هي؛ لأن الغرض من شرح هذه الآيات في الفرائض؛ هو تقديم صورة نموذجية توضح للقارئ؛ الطريقة المتبعة في الفرائض من جهة؛ ومن جهة أخرى يتعرف على

مكانة الأخصري العلمية، ومنهجه في عرض المواد
التعليمية على الراغبين في العلم.

وَأَعْطِ فَضْلَةً لَبَيْتِ الْمَالِ
فِي فَقْدِ عَاصِبٍ بِكُلِّ حَالٍ
وَمَنْ يَرِثُ بِالْجِهَتَيْنِ حَصَّلاً
سِهَامَهُ وَمَا بَقِيَ إِنْ فَضَّلاً
وَالْعَوْلُ فِي تَزَاجِمِ السَّهَامِ
وَخَابَ عَاصِبٌ لَدَى الْإِثْمَامِ
الْحَجْبُ إِسْقَاطٌ وَنَقْصٌ فَاقْتَدِي
وَهَا أَنَا بِحَجْبِ نَقْصِ أَبْتَدِي
فِيصْرَفِ الزَّوْجِ لِرُبْعٍ بِالْوَلَدِ
وَزَوْجَةٍ لِثَمْنِهَا بِهِ تُرَدُّ
وَالْأُمَّمُ بِالْإِخْوَةِ وَالْأَوْلَادِ
لِسُلْسِ عَنْ ثُلُثِهَا الْمُعْتَادِ
كَرَدُّ بِنْتِ الْإِبْنِ بِنْتِ الصُّلْبِ
كَذَا شَقِيقَةُ لِدَاتِ الْأَبِّ
وَالْأَخَوَاتُ عَاصِبَانُ لِلْبَنَاتِ
وَإِخْوَةٌ يُعَصَّبُونَ الْأَخَوَاتُ
إِلَّا ذَوِي الْأُمَّمِ

وَالْإِبْنُ رَدًّا
 لِلسُّدْسِ وَإِبْنُهُ أَبًا وَجَدًّا
 وَبِنْتُ الْإِبْنِ فَاسْتَمِعْ يَا سَائِلُ
 يُعْصِبُهَا ابْنُ عَمِّهَا الْمُعَادِلُ
 مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَإِبْنُ عَمٍّ أَسْفَلُ
 إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الثُّلُثَيْنِ تَدْخُلُ
 ذُكُورُ صُلْبِ حَجْبِهِمْ قَدْ عَمَّا
 مَنْ تَحْتَهُمْ وَإِخْوَةٌ وَعَمَّا
 ثُمَّ أَبٌ أَبَاهُ قَدْ أَبَانَا
 وَأُمَّهُ وَالْعَمُّ وَالْإِخْوَانَا
 وَالْأُمَّ أَيْضًا تَحْجُبُ الْجَدَّاتِ
 جَدٌّ لِمَنْ عَالَاهُ ذُو بَنَاتِ
 وَإِخْوَةٌ لِأُمَّمٍ وَالْأَعْمَامَا
 كَذَا بَنِي إِخْوَةٍ قَدْ أَضَامَا
 وَالْجَدَّتَانِ اقْتَسَمَا إِنْ وَجَدَا
 فِي رُبَيْبَةٍ أَوْ ذَاتِ الْأُمِّ أَبْعَدَا
 وَإِنْ تَكُ الَّتِي لِأُمَّمٍ أَقْرَبَا
 فَتَحْجُبُ الْأُخْرَى بِحُكْمٍ وَجَبَا
 لِأَنَّهَا الَّتِي بِهَا النَّصُّ صَدَرَ
 وَوَرَّثَ الْأُخْرَى أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ

وَالْبِنْتُ ثُمَّ بِنْتُ الْإِبْنِ تَحْجُبُ
 الْأَخَ لِأُمِّ فَلَيْسَ يَقْرُبُ
 وَتَحْجُبُ الْبِنْتُانِ بِنْتَ الْإِبْنِ
 مَا لَمْ يَكُنْ أَخٌ لَهَا فَيُدْنِي
 أَوْ ابْنَ عَمٍّ إِنْ يَكُنْ مُسَاوِيًّا
 فِي رُتْبَةٍ أَوْ نَازِلًا لَا عَالِيًّا
 وَيَحْجُبُ الشَّقِيقُ ذَا أَبٍ وَعَمًّا
 وَمَالَهُ حَجْبٌ عَلَى أَخٍ لِأُمِّ
 وَهَكَذَا أَبْنَاؤُهُمْ لِأَبَدٍ
 كُلُّ قَرِيبٍ حَاجِبٌ لِلْأَبْعَدِ
 عَمِّ شَقِيقٌ حَاجِبٌ لِذِي أَبٍ
 وَهَكَذَا أَبْنَاؤُهُمْ فِي الرُّتْبِ
 وَابْنُ الشَّقِيقِ صَدَّةٌ أَخٌ لِأَبٍ
 وَالْبِنْتُ مَعَ شَقِيقَةٍ أَخْتًا لِأَبٍ
 وَيَحْجُبُ الْعَمُّ بَنُو الْإِخْوَانِ
 وَالْأَخْتُ لِأَبٍ الشَّقِيقَتَانِ
 إِلَّا إِذَا تَكُونُ مَعَ أُخِيهَا
 فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يُدْنِيهَا
 مَنْ لَمْ يَرِثْ لَمْ يَحْجُبْ إِلَّا الْإِخْوَةَ
 فَتَقْصُهُمْ لِأُمِّ وَالْجَدِّ أُنَى

وَكُلُّ مَنْ يَلْقَى بِظَهْرٍ أَقْعَدًا
 أَوْلَى مِنَ الَّذِي بِظَهْرٍ أَبْعَدًا
 وَفِي اخْتِلَافِ الطَّبَقَاتِ وَاسْتَوَى
 فِي الظَّهْرِ فَالْأَعْلَى أَحَقُّ بِالنَّوَى
 فَإِنْ تَسَاوَوْا فَالشَّقِيقُ أَوْلَى
 لِأَنَّهُ بِالقُرْبَتَيْنِ أَدْلَى
 وَكُلُّ مَنْ يُدْلِي بِشَخْصٍ يَسْقُطُ
 بِهِ سِوَى الإِخْوَةِ لِلْأُمَّ قَطُّ
 وَذَكَرُ كَأُنثَيْنِ فِي سِوَى
 الأَخْوَةِ لِلْأُمَّ فَإِنَّهُمْ سَوَا
 وَمِثْلُهُمْ فِي ذَلِكَ الأَشِقَّا
 فِي قِصَّةِ الحِمَارِ أَيْضًا حَقًّا
 مِنْ ذَلِكَ الغَرًّا فَرِيضَتَانِ
 زَوْجَةٌ أَوْ زَوْجٌ وَوَالِدَانِ
 لِلْأُمَّ ثَلَاثُ فَضْلِ كُلِّ مَسْأَلَةٍ
 عَلَى خِلَافِ مَا مَضَى مُفَصَّلَةً
 كَذَا الحِمَارِيَّةُ وَالمُشْتَرَكَةُ
 يَدْعُونَهَا بِاسْمَيْنِ أَهْلُ المَلَكَةِ
 أُمَّ أَشِقَّا إِخْوَةٌ لِلْأُمَّ
 وَالزَّوْجُ فَالسُّدْسُ نَصِيبُ الأُمَّ

وَالثُّلُثُ لِلْإِخْوَةِ لِأُمٍّ وَرَدُّ
وَالنِّصْفُ لِلزَّوْجِ فَإِذَا تَمَّ الْعَدَدُ
قَالَ الْأَشِقَّاءُ عِنْدَمَا قَضَى عُمَرُ
هَبْكُمْ أَبَانَا كَالْحِمَارِ يُعْتَبَرُ
لَأَنَّا نَحْنُ إِذَا سَوَاءُ
مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ فَمَا الْقَضَاءُ
فَقَسَمَ الثُّلُثَ عَلَى الْجَمِيعِ
لَكِنْ عَلَى الرَّؤُوسِ بِالتَّوْزِيعِ
فَإِنْ يَكُنْ جَدُّ فزَيْدٌ اعْتَبَرُ
سُدْسًا لَهُ وَلِلْأَشِقَّاءِ مَا غَبَرُ
وَمَالِكُ أَعْطَاهُ مَا تَبَقِيَ
جَمِيعًا إِذْ يَقُولُ لِلْأَشِقَّاءِ
مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ وَرِثْتُمْ وَأَنَا
أَحْجَبُ كُلِّ مَنْ بِأُمِّهِ دَنَا
فَإِنْ يَكُونُوا لِأَبٍ فَتُسَبُّ
لِمَالِكٍ وَكُلِّهِمْ يُخَيَّبُ
وَالجَدُّ فِي أَنْفِرَادِهِ فَعَاصِبُ
إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ حَاجِبُ
وَمَعَ ذَوِي السَّهَامِ ذُو نَصِيبِ
وَيَأْخُذُ الْبَاقِيَ بِالتَّعْصِيبِ

وَمَعَ إِخْوَةٍ فَيُعْطَى الْأَفْضَلَ
مِنْ قَسْمٍ أَوْ ثُلْثٍ لَهُ يُكْمَلُ
وَمَعَ كِلَيْهِمَا فَثُلْثُ التَّالِي
أَوْ قَسْمُهُ أَوْ سُدُسُ كُلِّ الْمَالِ
وَالْأَخُ لِأَبٍ عَلَيْهِ يُحْسَبُ
وَلِلشَّقِيقِ مَا لِذَكَ يُنْسَبُ
فَإِنْ يَكُنْ شَقِيقَتَانِ أَوْ شَقِيقُ
فَمَا لِذِي أَبٍ إِلَى الْإِرْثِ طَرِيقُ
فَإِنْ تَكُنْ شَقِيقَةً فَإِنَّ تَلَتْ
أَخْتٌ فَمِنْ نَيْلِ التُّرَاثِ حُظِلَتْ
وَإِنْ تَلَا أَخٌ أَوْ أَخْتَانِ فَمَا
فَوْقُ فَالْبَاقِي عَلَى النِّصْفِ أَحْكَمَا
وَقَاسَمَتْهُ الْأَخْتُ فِي الْبَقِيَّةِ
إِلَّا الَّتِي تُدْعَى بِالْأَكْدَرِيَّةِ
زَوْجٌ وَجَدُّ أُمَّ أَخْتِ لَأَبٍ
فَالنِّصْفُ لِلزَّوْجِ وَجَدُّ قَدْ حَبِي
بِالسُّدُسِ وَالثُّلْثُ لِأُمَّ كَمَالاً
ثُمَّ أَعْلَى لِلْأَخْتِ نِصْفَ الْمَسْأَلِ
وَاجْمَعُ سِهَامَ الْجَدِّ وَالْأَخْتِ مَعَا
وَأَعْطِهِ ثُلْثَيْنِ مِمَّا اجْتَمَعَا
أَبٌ يَكُونُ عَاصِباً إِذَا انْفَرَدَ
وَأَفْرُضُ لَهُ سُدُساً إِذَا كَانَ الْوَالِدُ

وَمَعَ ذَوِي السَّهَامِ بِالْوَجْهَيْنِ
 الْفَرَضِ وَالتَّعْصِيبِ دُونَ مَيْنِ
 أَفْرُضُ لِخُنْتِي مُشْكَلِ نِصْفِ الذَّكَرِ
 وَنِصْفِ حَظِّ امْرَأَةٍ بِلا حَذَرِ
 وَحَيْثُمَا الْإِشْكَالُ عَنْهُ ذَهَبَا
 فَانْسُبُهُ لِلَّذِي عَلَيْهِ غَلَبَا
 لِعَاصِبِ إِرْثِ الْوَلَاءِ يَحْضُلُ
 وَلَيْسَ فِيهِ لِلْإِنَاثِ مَدْخَلُ
 إِلَّا بَعْتِقِ أَوْ بِجَرِّ وَحَجَبِ
 مَنْ يَرِثُ الْوَلَاءَ عَاصِبُ النَّسَبِ
 وَهُوَ لِأَدْنَى النَّاسِ بِالذُّعْتَقَا
 يَوْمَ يَمُوتُ مُعْتَقٌ مُحَقَّقَا
 لِمُعْتِقٍ ثُمَّ ابْنِهِ ثُمَّ الْأَبِ
 ثُمَّ الْأَخِ الشَّقِيقِ ثُمَّ ذِي الْأَبِ
 ثُمَّ ابْنِ ذَاكَ فَابْنِ ذَا فَالْجَدِّ
 فَالْعَمِّ فَابْنِهِ بِغَيْرِ حَدِّ
 وَهَاهُنَا أَنْتَهَى بِنَا الْمَقَالِ
 فِي الْفِقْهِ ثُمَّ بَعْدَهُ الْأَعْمَالُ

ثالثاً - متن الأخصري في العبادات:

وضع الأخصري هذا المختصر - نثراً
- في فقه العبادات على مذهب الإمام
مالك بن أنس. وقد طبع عدة مرات:
منها طبعة الجزائر، وطبعة مصر؛ التي
شرحها عبد اللطيف بن المسبح المرادسي
القسنطيني (توفي سنة 980هـ/1572م.)،
ثم طبعة أخرى صححها وراجعها الشيخ
حبيب الله الشنقيطي المالكي؛ برعاية
المكتبة المحمدية بالقاهرة، والمكتبة الأهلية
بواد مدني بالسودان؛ وقد حظيت
بالحصول على نسخة ابن المسبح، ونسخة
الشنقيطي.

هذا؛ وقد قمت بإعداد بعض التعاليق
والإحالات الضرورية؛ أضفتها في هوامش ما

أثبته - هنا - من متن الأخصري؛ بغرض
الزيادة في التوضيح، وسهولة الطرح؛ فأرجوا
من الله أن تفيد القارئ الكريم؛ كما
ألتمس العذر عن كل تقصير ظهر فيها.
المهم؛ أن الأخصري بدأ مختصره في
العبادات هذا - المعنون بـ "متن الأخصري
في العبادات على مذهب الإمام مالك بن
أنس" - بفقرات استهلها في البداية بعنوان
مصغر؛ جاء فيه: (أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى
الْمُكَلَّفِ)¹ ثم ختمه بـ "باب السهو"
الذي توسع فيه بعض الشيء.² ومن
خلال ما جاء في متن العبادات هذا يتبين

¹ المكلف بالشيء: المولع به. والمقصود - هنا - هو الإنسان العاقل
البالغ؛ بحيث يستطيع التمييز والنظر. وهو المكلف بالصلاة والصوم
والعبادات كافة، والمعنى بترك المحرمات ك: الزنا والسرقاة وأكل السحت
وغيره.

² السهو: نسيان الشيء والغفلة عنه.

أن الأخصري لم يتمكن من إكماله. وآخر ما جاء في المتن هذا هو: **سهو الإمام**. وقد تضمن متن الأخصري عدة فصول صغيرة؛ هي:

1 - فصل في مبحث الإيمان:¹ استهله الأخصري بفقرات يحدد فيها الشروط الواجب توفرها في المكلف؛ لتصحيح إيمانه؛²

¹ في الإيمان: يقول تعالى: ((لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؛ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ، وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)). سورة البقرة، الآية: 177. والبر هنا يعني: الصدق والطاعة والإيمان والعبادة والتقوى. وفي الحديث: ((عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً للناس؛ فأتاه رجل فقال: "يا رسول الله؛ ما الإيمان؟" قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسوله وتؤمن بالبعث الآخر...))؛ إلى آخر الحديث. صحيح مسلم، ج: 1، ص: 161 - 162.

² يصحح المكلف إيمانه بـ: السعي لمعرفة الله بصفاته؛ وهي: الوجود: الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)). سورة الزمر، الآية: 62. ويقول: ((أفي الله شك؟ فاطر السموات والأرض)). سورة إبراهيم، من الآية: 10. إنن فلا يمكن أن يتوهم

وتتلخص في الأعمال والواجبات؛ التالية:
فلكي يصح إيمانه؛ يتوجب عليه إدراك ما
يلزمه لإصلاح فرض عينه¹ من: طهارة
وصلاة وصيام... كما يتوجب عليه صيانة

صاحب العقل الراجح أن هذا الكون المحكم الترتيب؛ قد وجد بدون
صانع له، أو ضابط لحركته وسننه. ثم القدم: إذ لا بد من التيقن بأن
الله قديم قدم الأزل؛ فهو أول كل شيء وقبل أي شيء؛ لأنه لو لم
يكن قديماً لاحتاج إلى محدث؛ ومحدثه يحتاج إلى محدث؛ وهكذا إلى ما لا
نهاية؛ حتى يصل الأمر إلى المحدث القديم وهو الأول والأقدم؛ خالق كل
شيء في هذا العالم؛ وهو الله. ثم البقاء: فهو الأزلي والأبدي الواحد
الأحد والظاهر والباطن؛ ((لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه)). أنظر في
هذا كتاب إحياء علوم الدين، ج: 1، ص: 184. ثم معرفة رسوله الصادقين
والأمناء، المبلغين لأمر الله ونهيه؛ والإيمان بهم ورسالتهم الصادقة؛ لأن
حاجة البشرية للأنبياء مثل حاجتها للأطباء: ((ولكن يعرف صدق الطبيب
بالتجربة، ويعرف صدق النبي بالمعجزة)). إحياء علوم الدين، ج: 2، ص: 6.
¹ الفرض: فرض عين، وفرض كفاية. وفرض عين هو ما ذكره
الأخضري من: طهارة وصلاة وصيام .. إلخ، أما فرض كفاية: ((فهو
كل علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا: كالطب؛ إذ هو ضروري في
حاجة بقاء الأبدان، والحساب؛ فإنه ضروري في المعاملات وقسمة
الوصايا والموارث وغيرهما. وهذه العلوم التي لو خلا البلد عن يقوم
بها خرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن
الآخرين)). إحياء علوم الدين، ج: 1، ص: 28.

حدود الله،¹ والمحافظة عليها؛ بالالتزام بما
يأمر به، والبعد عما ينهى عنه.² ثم
يتكلم عن "شروط التوبة"³ التي تستهل

¹ حدود الله: هي العقوبة التي يتوجب تنفيذها فيمن خالف أمر الله
وأمر رسوله؛ وهي نوعان: عقوبة تنفذ في حق القاذف والزاني والسارق،
وعقوبة تنفذ فيمن عصى وخالف ما أمر به الله من تحريم وتحليل.
يقول سبحانه وتعالى: ((وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ؛
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)). سورة التوبة، من الآية: 112. ويقول: ((وَمَنْ يَعِصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)).
سورة النساء، الآية: 14.

² ما ينهى عنه الله سبحانه وتعالى هو: ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ
رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ؛ أَلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
إِمْلَاقٍ؛ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ؛ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ؛ ذَلِكَمْ وصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ؛ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا؛ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِ؛ ذَلِكَمْ وصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)). سورة النساء، الآيات من:
151 إلى 153.

³ نقول: تاب الإنسان: أي رجع عن ذنبه وأتاب إلى الطاعة. ويقول
سبحانه وتعالى: ((وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)).
سورة النور، من الآية: 31. ثم يقول: ((فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ
وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). سورة المائدة،
الآية: 39. وفي الحديث: ((قال أبو هريرة: سمعت رسول الله صلى عليه

بالندم على ما فات من خطايا، وإبداء
النية في عدم العودة لارتكاب الذنوب،
وترك المعصية¹ في الحين؛ لأن التوبة لا يجوز
تأجيلها.² ثم يتكلم عن ضرورة

وسلم يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين
مرة)). صحيح البخاري، ج: 7، ص: 145.

¹ نقول: عصاه عصياً وعصياتاً ومعصية فهو عاص وعصي؛ جمع
عصاة: أي خالف أمره ولم يطعه. قال الله تعالى: ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)). سورة
النساء، الآية: 14. ويقول: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَانٌ وَرِيبَةٌ فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَةٌ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ؛ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)).
سورة الحجرات، من الآية: 7. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره
إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). حديث
متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 120.

² قال تعالى: ((فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). سورة المائدة، الآية: 39. ويقول: ((إلا من
تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً؛ فأولئك يُبدلُ اللهُ سيئاتهم حسناتٍ؛ وكان
اللهُ غفوراً رحيماً. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً)).
سورة الفرقان، الآيتين: 70 - 71. وكتب الإمام الحافظ النووي: ((قال
العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب؛ فإن كانت المعصية بين العبد وبين
الله تعالى؛ لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدهما أن يقلع عن
المعصية [أي يكف عنها فوراً]، والثاني أن يندم على فعلها، والثالث أن
يعزم أن لا يعود إليها أبداً؛ فإن [غاب] أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن
كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة؛ هذه الثلاثة؛ وأن يبرأ من

حفظ اللسان¹ [وهو صيانتُه من كل ما يشينه من قول منكر] أو النطق بفاحش²

حق صاحبها؛ فإن كانت مالا أو نحوه رد إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفو، وإن كانت غيبة استحلها منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب؛ فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي)). رياض الصالحين، ص: 6.

¹ يقول سبحانه وتعالى: ((فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)). سورة النساء، من الآية: 9. ويقول: ((مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا بِأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)). سورة النساء، الآية: 46. وفي الحديث: ((عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَوْ بَعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)). صحيح مسلم، ج: 18، ص: 117. وقال عليه السلام أيضاً: ((أَمَلِكُ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلَيْسَعُكَ بَيْتُكَ وَأَبُوكُ عَلَى خَطِيئَتِكَ)). سنن الترميذي، ج: 4، ص: 31. وهو حديث حسن. وسأل سفيان بن عبد الله الثقفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((يا رسول الله؛ ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: "هذا)). سنن الترميذي، ج: 4، ص: 32. حديث حسن صحيح. يقول الإمام الغزالي: ((حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمرء، وإلزامه السكوت، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن)). إحياء علوم الدين، ج: 3، ص: 39.

² الفاحش: القبيح من القول والفعل. وينهى سبحانه وتعالى عن الفواحش: ((وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ؛ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)). سورة الأنعام، من الآية: 151. وفي الحديث: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

ويجب عليه - كما يقول - حفظ لسانه
من استسهال إيمان الطلاق¹ بغير مسوغ
ضروري، ولا بد أيضاً من الابتعاد عن
إهانة الناس² قولاً وفعلاً، والامتناع عن

بَطْنٍ؛ وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَذْحُ مِنَ اللَّهِ)). صحيح مسلم، ج: 17، ص: 77.
وعن أنس: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا كَانَ الْفُحْشُ
فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ)). سنن الترميذي،
ج: 3، ص: 225. و((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ
بِالطَّعَانِ وَلَا بِاللَّعَانِ وَلَا بِالْفَاحِشِ وَلَا بِالْبَذِيِّ)). سنن الترميذي، ج: 3، ص:
236. حديث حسن. وعن عبد الله بن مسعود: ((قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: سِيَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ وَقِتَالُهُ فَسُوقٌ)). سنن الترميذي،
ج: 4، ص: 132.

¹ يقول سبحانه وتعالى: ((وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ؛ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا
وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ؛ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). سورة البقرة، الآية: 224. ((وَلَا
تَطِغْ كُلَّ حَلْفٍ مَّهِينٍ)). سورة القلم، الآية 10. وفي الحديث عن أبي
هريرة: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ،
وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ وَالطَّلَاقُ وَالرَّجْعَةُ)). سنن الترميذي، ج: 2، ص: 328.
² أهان الناس: استخف بهم واحتقرهم. وفي قوله تعالى: ((وَلَا تَلْمِزُوا
أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ؛ بِنَسِ الْإِسْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ؛ وَمَنْ لَمْ
يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)). سورة الحجرات، من الآية: 11. وفي قوله:
((لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ؛ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً
عَلِيماً)). سورة النساء، الآية 148.

ترويعهم وتخويفهم بدون حق شرعي.¹
كما يجب على المكلّف أيضاً أن يغيظ
الطرف ويحفظ بصره من المشاهد المحرّمة.²
ومطلوب أيضاً من المكلّف أن يحفظ
جوارحه كلها من الزيغ³ والمعصية. وأن

¹ قال سبحانه وتعالى: ((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)). سورة الشعراء، من الآية: 227. وفي الحديث: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)). صحيح مسلم، ج: 16. وقال: ((المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 49.
² قال سبحانه وتعالى: ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ؛ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)). سورة النور، الآية: 30. وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعهه الله؛ فمن تركها خوفاً من الله أتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه)). إحياء علوم الدين، ج: 3، ص: 38.

³ زَاغَ زَيْغًا وَزَيْغَاتًا: اعْوَجَّ وَمَالَ، وَالزَّيْغُ: الْمَيْلُ عَنِ الْحَقِّ وَالشَّكُّ فِيهِ. (القاموس). ويقول سبحانه وتعالى: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ؛ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ؛ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ؛ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ؛ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ؛ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ؛ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا؛ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. رَبَّنَا لَا تَزُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)). سورة آل عمران، الآيتين: 7 - 8.

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛¹ ثم
يعدد الأخطري بعض الصفات المخالفة
للخلق الإسلامي ومقتضى الشرع:
**((ويحرم عليه الكذب² [أي يحرم
الكذب على المكلف]، والغيبة [أي التعرض**

¹ يقول تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ؛ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ؛ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ))، سورة آل عمران، الآية: 110 وفي الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار؛ فتتدلق أفتاب بطنه [أي أمعاؤه]؛ فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى؛ فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: "يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟" فيقول: "بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية"))، صحيح مسلم، ج: 18، ص: 118. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان))، صحيح مسلم، ج: 2، ص: 22.

² يقول الله سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ؛ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ))، سورة النحل، الآية: 105. ويقول: ((وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ))، سورة الحج، من الآية: 30. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ))، سورة الصف، الآيتين: 2، 3. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة))، الأخلاق والواجبات، ص: 62.

لنّاس بالطعن والإساءة في غيبتهم] والنميمة¹
[وهي الفعل المشين الذي يقوم به من
يتحرش بالآخرين ليوقع بينهم الفتنة؛
بالخبث والكذب الناعم]، والكبر والعُجب²

¹ في الغيبة يقول تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن؛ إن
بعض الظن إثمٌ؛ ولا تجسسوا ولا يغتاب بعضكم بعضاً؛ أحبُّ أحدكم أن
يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه؛ واتقوا الله إن الله توابٌ رحيمٌ)). سورة
الحجرات، الآية: 12. أما النميمة لغة؛ فنقول فيها: نَمَّ نَمًّا ونَمِيمَةً
ونمِماً به ونم عليه: وشى: سعى به ليوقع فتنة أو وحشة. (القاموس).
ويقول سبحانه وتعالى: ((هَمَّازٌ مِثْلُ بَنِيمٍ)). سورة القلم، الآية: 11.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنة نمام)). حديث
متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 228.

² يقول سبحانه وتعالى في الكبر: ((إنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا
فَخُورًا)). سورة النساء، من الآية: 36. ويقول: ((لَا جَرَمَ أَنْ اللهُ يَعْلَمَ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ؛ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ)). سورة النحل، الآية: 23.
ويقول: ((وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا؛ إِنَّكَ لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طَوْلًا)). سورة الإسراء، الآية: 37. وفي الحديث: ((عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من
الكبر)). رياض الصالحين، ص: 114. أما العُجب: فهو الزهو والكبر. وقال
الله سبحانه وتعالى في هذا: ((وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرْحًا؛ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)). ومعنى "لا تصعر خدك للناس":
هو النهي عن إمالة الوجه عن رؤية الناس؛ من فرط التكبر والتهاون
بهم. سورة لقمان، الآية: 18. ومن أمثلة العُجب التي ذكرها الله في
كتابه العزيز؛ مثال ذلك الرجل الذي ملكه العجب؛ عندما رأى جنته
محفوفة بالأشجار؛ ومزدانة بمياهها الجارية؛ فقال لصاحبه: ((أنا أكثرُ

[الكبر هو التجبر والعظمة والإثم العظيم؛
 أما العُجب فهو التكبر في زهو وتياه
 وتعاضم]، والرياء والسَمعة¹ [الرياء والراء
 هو الفعل المقصود به إظهار صفات الخير

مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ؛ قَالَ: مَا أَظُنُّ أَنْ
 تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً؛ وَلَنْ رُدُّنَا إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا
 مِنْهَا مُنْقَلِبًا. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ
 تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ سَوَاكِ رَجُلًا؟ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي؛ وَلَا أَشْرِكُ
 بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ إِنْ
 تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا. فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ
 وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ؛ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحُ مَاوَهَا
 غُورًا؛ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ ظَلَمًا. وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ؛ فَأُصْبِحُ بِقَلْبٍ كَفِيٍّ عَلَىٰ
 مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا؛ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي
 أَحَدًا)). سورة الكهف، الآيات من: 32 إلى 42. وفي الحديث عن أبي هريرة:
 ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا ينظر الله يوم القيامة إلى
 من جر إزاره بطراً)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 114.

¹ يقول سبحانه وتعالى في الرياء: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا
 صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى؛ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا
 لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)). سورة
 البقرة، الآية، 264. وفي الحديث: ((قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم: مَنْ يَسْمَعُ يُسْمِعُ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَأَىٰ يُرَأَىٰ اللَّهُ بِهِ)). أي من
 سمع الناس بعمله بغرض الرياء؛ سمع الله به وكشفه يوم القيامة.
 صحيح مسلم، ج: 18، ص: 116. وكل هذا يتفق مع ما سبق ذكره عن
 الرياء.

والصلاح لكي يراها الناس؛ بينما هي على خلاف الواقع]؛ أما السُّمْعَةُ [وَالسُّمْعَةُ: فهو التنويه بالعمل لِيُرَى وَيُسْمَعَ]، والحسد والبغض [فالحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين؛ أما البغض فهو نقيض الحب، وهو الشنآن والكراهية والمقت والعداء]، ورؤية الفضل على الغير [أي ظهور الحسد والبغض عند رؤية علامات الفضل على الآخرين] والهمز واللمز¹ [الهمز

¹ يقول سبحانه وتعالى في الحسد: ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)). سورة الفلق. وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس مني ذو حسد)). الأخلاق والواجبات، ص: 158. وقوله عليه الصلاة والسلام: ((الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب)). الأخلاق والواجبات، ص: 158. وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن يغبط والمنافق يحسد)). الأخلاق والواجبات، ص: 159. ويقول سبحانه وتعالى في البغض والشنآن: ((إِنَّ شَاتِنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)). سورة الكوثر، الآية: 3. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ؛ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا؛ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ، وَاتَّقُوا اللَّهَ؛ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)). سورة المائدة، الآية: 8. وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تباغضوا ولا

واللمز لهما معنى واحد تقريباً؛ غير أن
الهمز هو الفعل المؤذي في غياب المتأذى،
أما اللمز فهو الفعل المؤذي في حضور
المتضرر؛ ويكون في الغالب الهمز بالعين،
أما اللمز فباللسان. [والعبث والسخرية¹
[العبث هو الأمر الذي لا فائدة فيه؛ أما
السخرية فهي الاستهزاء بالآخر]، والزنا

تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا؛ وكونوا عباد الله إخواناً؛ ولا يحل لمسلم
أن يهجر أخاه فوق ثلاث)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص:
234. ويقول الله تعالى: ((وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةً)). سورة الهمزة، الآية:
1. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((طوبى لمن شغله عيبه عن
عيوب الناس)). الأخلاق والواجبات، ص: 163. ويقول: ((إن أبغضكم إلى الله
المشاعون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبراء العثرات)). أي
الباحثون عن عثرات وهفوات يوصمون بها الأبرياء. الأخلاق والواجبات،
ص: 166.

¹ يقول الله تعالى: ((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ
لِعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)). سورة الشعراء، الآيتين: 128 - 129. ويقول: ((أَفَحَسِبْتُمْ
أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا، وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ)). سورة المؤمنون، الآية 115.
ويقول تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ، وَلَا
تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ، وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ؛ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان؛
وَمَن لَّمْ يَتُبَّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)). سورة الحجرات، الآية: 11.

[وهو إتيان المرأة من غير عقد شرعي]
والنظر إلى الأجنبية والتلذذ بكلامها¹
وأكل أموال الناس بغير طيب نفس² [أي
بدون رضاهم في داخلهم] والأكل بالشفاعة

¹ يقول سبحانه وتعالى: ((وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ؛ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)). سورة الإسراء، الآية: 32. يقول سبحانه وتعالى في ضرورة غض البصر: ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)). سورة النور، الآية: 30. ويقول: ((إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عِنْدَهُ مُسْتَوْلاً)). سورة الإسراء، من الآية: 36. ويقول: ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ)). سورة غافر، الآية: 19. ((إِنَّ رَبَّكَ لَبَّالْمُرْصَادِ)). سورة الفجر، الآية: 14. وفي الحديث: ((عن النبي ٢ قال: إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها)). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه". قالوا: "وما حق الطريق يا رسول الله؟" قال: "غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". حديث متفق عليه. رياض الصالحين، ص: 242.

² يقول سبحانه وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا؛ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا؛ وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا)). سورة النساء، الآية: 10. ويقول: ((وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا. وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)). سورة الفجر، الآيتين: 19 - 20. ويقول: ((سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّخْتِ)). والسحت هنا هي الرشوة. سورة المائدة: من الآية: 42. ويقول: ((وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ؛ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)). سورة المائدة، الآية: 62.

أو بالدين¹ [أي أكل أموال الناس عن طريق الشفاعة أو بسبب الدين]، وتأخير الصلاة عن أوقاتها² ولا يحل له صحبة

¹ الشفاعة: المطالبة بوسيلة أو ذمام؛ وهي الانضمام إلى آخر بغرض نصرته؛ على أن يتم انضمام من هو أعلى مقاماً لنصرة من هو أدنى منه؛ فيقولون شفع فلان في فلان. وما يقصده الأخضرى هنا هو أكل أموال الناس في مقابل الشفاعة لهم، أو بدين يؤخذ من الغير بالضغط عليهم أو برى. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ((وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)). سورة البقرة، الآية: 188. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا؛ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). سورة آل عمران، الآية: 130.

² قال سبحانه وتعالى: ((فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)). سورة الماعون، الآيتين: 4 - 5. ويقول: ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)). سورة البقرة، الآية: 238. ويقول: ((إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)). سورة النساء، من الآية: 103. ويقول: ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ؛ وَهُوَ خَادِعُهُمْ؛ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)). سورة النساء، الآية: 142. ويقول: ((إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)). سورة المعارج، الآيتين: 22 - 23. وفي الحديث: ((عن ابن مسعود t قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي الأعمال أفضل؟" قال: "الصلاة على وقتها". قلت: "ثم أي؟" قال: "بر الوالدين؛ قلت: "ثم أي؟" قال: "الجهاد في سبيل الله")). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 174.

فاسق ولا مجالسته لغير ضرورة¹ ولا يطلب رضا المخلوقين بسخط الخالق؛ قال الله تعالى: "والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين"² وقال عليه الصلاة والسلام: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"³، ولا يحل له أن يفعل فعلاً حتى

¹ يقول سبحانه وتعالى: ((وقد نزل عليكم في الكتاب: أن إذا سمعتم آيات الله يكفراً بها ويستهنأ بها؛ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره؛ إنكم إذا مثلهم؛ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً)). سورة النساء، الآية: 140. ويقول: ((وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره؛ وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)). سورة الأنعام، الآية: 68. وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم في مجالسة أهل الصلاح والإعراض عن أصحاب السوء: ((إما مثل الجليس الصالح والجليس السوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك [أي يعطيك]، وإما أن يتباع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)). صحيح مسلم، ج: 16، ص: 178.

² الآية كاملة هكذا: ((يخلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين)). سورة التوبة، الآية: 62.

³ وجاء هذا الحديث أيضاً هكذا: ((لا طاعة في معصية الله؛ إنما الطاعة في المعروف)). صحيح مسلم، ج: 12، ص: 227. ومعالم السنن، ج: 2، ص: 266. وورد أيضاً: ((عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: على المرء

يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء
ويقتدي بالمتبعين لسنة محمد صلى الله
عليه وسلم؛ الذين يَدُلُّونَ عَلَى طاعة
الله ويحذرون من إتياع الشيطان، ولا
يرض لنفسه ما رضىه المفسون¹ الذين
ضاعت أعمارهم في غير طاعة الله تعالى؛
فيا حسرتهم، ويا طول بكائهم يوم
القيامة. نسأل الله سبحانه أن يوفقنا
لإتياع سنة نبينا وشفيعنا وسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم .

المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر
بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص:
120.

¹ المفسون هو كما قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ((اتذرون ما المفسون؟))
قالوا: "المفسون فيما من لا يرهم له ولا متاع" فقال: "إن المفسون من
أمّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة؛ ويأتي قد شتم هذا
وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا؛ فيعطى هذا من
حسناته وهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه؛
أخذ من خطاياهم فطرحته عليه، ثم طرح في النار)). صحيح مسلم، ج:
16، ص ص: 135 - 136.

2 - فصل في الطهارة: ويبدأه الأخصري بتقسيم الطهارة إلى قسمين: طهارة حدث، وطهارة خبث؛ وإزالتها لا تصح إلا بالماء الطاهر المطهر؛ ويصفه بقوله: ((وهو الذي لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته؛ بما يفارقه غالباً كالزيت والسمن والدسم كله والوذح¹ والصابون والوسخ ونحوه؛ ولا بأس بالتراب والحماة والسبخة والآجر ونحوه)).

ويتكلم بعد ذلك الأخصري في موضوع النجاسة وشروط إزالتها. ثم يدخل في موضوع الوضوء وفرائضه السبع، وسننه، وفضائله. وبعدها يشير إلى نواقض

¹ الوذح: هو كل ما علق في أصواف الغنم من بعرٍ وبولٍ.

الوضوء بأحداثها وأسبابها. ثم يحذر من القيام ببعض الأعمال دون وضوء؛ مثل الصلاة والطواف ومس نسخ القرآن إلا في حال التعليم. ثم يتطرق لموضوع الغسل بفرائضه وسننه وفضائله؛ ويقول بأنه مطلوب في ثلاث حالات: الجنابة والحيض والنفاس. وكذلك التيمم بفرائضه وسننه ونواقضه التي قال فيها: ((كالوضوء؛ ولا تصلى فريضتان بتيمم واحد؛ ومن تيمم لفريضة جاز له النوافل بعدها، ومس المصحف والطواف والتلاوة؛ إن نوى ذلك، واتصلت بالصلاة؛ ولم يخرج الوقت، وجاز بتيمم النافلة كل ما ذكر إلا الفريضة، ومن صلى العشاء بتيمم قام للشفع والوتر بعدها من غير تأخير.

ومن تيمم من جنابة فلا بد من
نيتها)).

3 - فصل في الحيض: وبعد أن صنّف
الأخضري النساء - في هذا الباب - إلى
مبتدأة ومعتادة وحامل، وبعد تقديره
للأيام التي تتعرض فيها النساء للحيض؛
يقول: ((ولا يحل للحائض صلاة ولا صوم
ولا طواف ولا مس مصحف ولا دخول
مسجد؛ وعليها قضاء الصوم دون الصلاة،
وقراءتها جائزة، ولا يحل لزوجها فرجها ولا
ما بين سرتها وركبتها حتى تغتسل)).

4 - فصل في النفاس: ويرى أنه شبيهه
بالحيض فيما يجري عليه؛ وقد تصل أيام
المنع فيه إلى ستين يوماً تقريباً: ((فإن

انقطع الدم قبلها - ولو في يوم الولادة
اغسلت وصلت؛ فإذا عاودها الدم؛ فإن
كان بينهما خمسة عشر يوماً فأكثر؛
فأكثره كان الثاني حيضاً؛ وإلا ضم إلى
الأول؛ وكان من تمام النفاس)).

ثم ينتقل الأخصري - بعد ذلك - إلى
مواضيع عديدة معنونة بالفصول التالية:
الأوقات، وشروط الصلاة، وفرائض
الصلاة، وسنن الصلاة، وفوائض الصلاة،
وفي الأخير باب السهو؛ الذي يشمل
حالات: الوسوسة والشك والسهو،
والضحك في الصلاة، والالتفات، والغلط في
الصلاة، والنوم في الصلاة، وسجود السهو،
وإذا زاد المصلي في الصلاة أو أنقص منها،

والسهو في صلاة القضاء، وأخيراً سهو الإمام.

5- (فصل في الأوقات): الوقت المختار للظهر من زوال الشمس إلى آخر القامة، والمختار للعصر من القامة إلى الاصفرار، وضروريهما إلى الغروب، والمختار للمغرب قدر ما تصلى فيه بعد شروطها، والمختار للعشاء من بغيب الشفق إلى ثلث الليل الأول، وضروريهما إلى طلوع الفجر، والمختار للصبح من الفجر إلى الإسفار الأعلى، وضروريه إلى طلوع الشمس، والقضاء في الجميع ما وراء ذلك، ومن أحر الصلاة حتى خرج وقتها؛ فعليه ذنب عظيم إلا أن يكون ناسياً، أو نائماً؛ ولا تصلى نافلة بعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس، وبعد

صلاة العصر إلى صلاة المغرب، وبعد طلوع
الفجر؛ إلاّ الورد لنائم عنه، وعند جلوس
إمام الجمعة على المنبر، وبعد الجمعة حتى
يخرج من المسجد.

6 - (فصل في شروط الصلاة): وشروط
الصلاة: طهارة الحدث، وطهارة الخبث
من: البدن، والثوب، والمكان، وستر
العورة، واستقبال القبلة، وترك الكلام،
وترك الأفعال الكثيرة، وعورة الرجل ما
بين السرة والركبة، والمرأة كلها عورة؛
ما عدا الوجه والكفين؛ وتكره الصلاة في
السراويل؛ إلاّ إذا كان فوقها شيء؛ ومن
تنجس ثوبه ولم يجد ثوباً غيره، ولم
يجد ماء يغسله به، أو لم يكن عنده ما
يلبس حتى يغسله وخاف خروج الوقت

صلى بنجاسته؛ ولا يحل تأخير الصلاة لعدم الطهارة؛ ومن فعل ذلك فقد عصى ربه؛ ومن لم يجد ما يستر به عورته صلى عرياناً، ومن أخطأ القبلة أعاد في الوقت؛ وكل إعادة في الوقت فهي فضيلة، وكل ما تعاد منه الصلاة في الوقت فلا تعاد منه الفائتة والنافلة.

7- (فصل): فرائض الصلاة: نية الصلاة المعينة، وتكبيرة الإحرام، والقيام لها، والفاحة، والقيام لها، والركوع، والرفع منه، والسجود على الجهة، والرفع منه، والاعتدال، والطمأنينة، والترتيب بين فرائضها، السلام وجلوسه الذي يقارنه.
— (وشرط): النية مقارنتها لتكبيرة الإحرام.

— (وسننها): الإقامة، والسورة التي بعد الفاتحة، والقيام لها، والسر فيما يسر فيه، والجهر فيما يجهر فيه، وسمع الله لمن حمده، وكل تكبيرة سنة؛ إلا الأولى، والتشهدان، والجلوس لهما، وتقديم الفاتحة على السورة، والتسليم الثانية والثالثة للمأموم، والجهر بالتسليم الواجبة، والصلاة على رسول الله ﷺ، والسجود على الأنف، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين، والسترة لغير المأموم، وأقلها غلظ رمح، وطول ذراع طاهر ثابت غير مشوش.

— (وفضائلها): رفع اليدين عند الإحرام حتى تقابلا الأذنين، وقول المأموم والفضد: ربنا ولك الحمد، والتأمين بعد الفاتحة للفضد والمأموم، ولا يقولها الإمام، إلا في قراءة

السر، والتسييح في الركوع، والدعاء في
السجود، وتطويل القراءة في الصبح والظهر،
تليها، وتقصيرها في العصر والمغرب،
وتوسطها في العشاء؛ وتكون السورة الأولى
قبل الثانية وأطول منها، والهيئة المعلومة في
الركوع، والسجود، والجلوس، والقنوت سرّاً
قبل الركوع، والدعاء بعد التشهد الثاني
أطول من الأول، والقيام بالسلام، وتحريك
السبابة في التشهد؛ ويكره الإلتفات في
الصلاة، وتغميض العينين، والبسمة، والتعوذ
في الفريضة، ويجوزان في النفل؛ والوقوف
على رجل واحدة؛ إلا أن يطول قيامه
واقتران رجليه، وجعل درهم أو غيره في
فمه، وكذلك كل ما يشوشه في جيبه، أو
كمه، أو على ظهره، والتفكير في أمور

الدنيا، وكل ما يشغله عن الخشوع في الصلاة.

8 - (فصل): للصلاة نور عظيم تشرق في قلوب المصلين؛ ولا يناله إلا الخاشعون؛ فإذا أتيت إلى الصلاة ففرغ قلبك من الدنيا وما فيها، واشتغل بمراقبة مولاك؛ الذي تصلي لوجهه، واعتقد أن الصلاة خشوع وتواضع لله سبحانه؛ بالقيام والركوع، والسجود، وإجلال وتعظيم له؛ بالتكبير، والتسبيح، والذكر؛ فحافظ على صلاتك؛ فإنها أعظم العبادات؛ ولا تترك الشيطان يلعب بقلبك، ويشغلك عن صلاتك؛ حتى يطمس قلبك، ويحرمك من لذة أنوار الصلاة؛ فعليك بدوام الخشوع فيها؛ فإنها

تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ بسبب الخشوع فيها؛ فاستعن بالله إنه خير مستعان.

9- (فصل): للصلاة المفروضة سبعة أحوال مرتبة؛ تؤدي عليها أربعة؛ منها على الوجوب، وثلاثة على الاستحباب: أولها القيام بغير إسناد، ثم القيام بإسناد، ثم الجلوس بغير إسناد، ثم الجلوس بإسناد؛ فالترتيب بين هذه الأربعة؛ على الوجوب إذا قدر على حالة منها، وصلى بحالة دونها؛ بطلت صلاته؛ والثلاثة التي على الاستحباب هي: أن يصلي العاجز عن هذه الثلاثة المذكورة على جنبه الأيمن، ثم على الأيسر، ثم على ظهره؛ فإن خالف في الثلاثة؛ لم تبطل صلاته؛ والاستناد الذي تبطل به صلاة القادر على تركه؛ هو

الذي يسقط بسقوطه؛ وإن كان لا يسقط بسقوطه فهو مكروه؛ وأما النافلة فيجوز للقادر على القيام أن يصلّيها جالساً؛ وله نصف أجر القائم؛ ويجوز أن يدخلها جالساً؛ ويقوم بعد ذلك، أو يدخلها قائماً ويجلس بعد ذلك؛ إلا أن يدخلها بنية القيام فيها؛ فيمتنع جلوسه بعد ذلك.

10 - (فصل): يجب قضاء ما في الذمة من الصلوات؛ ولا يحل التفریط فيها؛ ومن صلى كل يوم خمسة أيام؛ فليس بمفطر؛ ويقضيها على نحو ما فاتته؛ إن كانت حضرية قضاها حضرية، وإن كانت سفرية قضاها سفرية؛ سواء كان حين القضاء في حضر أو في سفر؛ والترتيب بين الحاضرتين وبين يسير الفوائت مع الحاضرة

واجب مع الذكر؛ واليسير أربع صلوات
فأدنى؛ ومن كانت عليه أربع صلوات
فأقل؛ صلاحها قبل الحاضرة؛ ولو خرج
وقتها ويجوز القضاء في كل وقت؛ ولا
يتنفل من عليه القضاء؛ ولا يصلي الضحى،
ولا قيام رمضان، ولا يجوز له إلا الشفع،
والوتر، والفجر، والعيذان، والخسوف،
والاستسقاء؛ ويجوز لمن عليهم القضاء أن
يصلوا جماعة إذا استوت صلواتهم؛ ومن
نسي عدد ما عليه من القضاء صلى
عدداً لا يبقى معه شك.

11- (باب في السهو): وسجود السهو في

الصلاة سنة.

— فلنقصان سجدتان قبل السلام، بعد تمام
التشهدين، يزيد بعدهما تشهداً آخر.

— وللزيادة سجدتان بعد السلام، يتشهد بعدهما، ويسلم تسليمة أخرى.

— ومن نقص وزاد؛ سجد قبل السلام.

— ومن نسي السجود القبلي حتى سلم؛ سجد إن كان قريباً؛ وإن طال أو خرج من المسجد؛ بطل السجود، وتبطل الصلاة معه إن كان على ثلاث سننٍ أو أكثر من ذلك؛ وإلا فلا تبطل.

— ومن نسي السجود البعدي سجده ولو بعد عام.

— ومن نقص فريضة فلا يجزيه السجود عنها.

— ومن نقص الفضائل؛ فلا سجود عليه.

— ولا يكون القبلي إلا لترك سنتين فأكثر.

— وأما السنة الواحدة فلا سجود لها؛ إلاّ السر والجهر؛ فمن أسر في الجهر سجد قبل السلام، ومن جهر في السر سجد بعد السلام.

— ومن تكلم ساهياً سجد بعد السلام.
— ومن سلم من ركعتين ساهياً سجد بعد السلام.

— ومن زاد في الصلاة ركعة أو ركعتين سجد بعد السلام، ومن زاد في الصلاة مثلها بطلت.

— ومن شك في كمال صلاته أتى بما شك فيه؛ والشك في النقصان كتحققه؛ فمن شك في ركعة أو سجدة أتى بها وسجد بعد السلام.

- وإن شك في السلام سلم إن كان قريباً
ولا سجود عليه، وإن طال بطلت صلاته.
- والموسوس يترك الوسوسة من قلبه، ولا
يأتي بما شك فيه؛ ولكن يسجد بعد
السلام؛ سواء شك في زيادة أو نقصان.
- ومن جهر في القنوت فلا سجود عليه؛
ولكنه يكره عمده.
- ومن زاد في السورة في الركعتين الأخيرتين
فلا سجود عليه.
- ومن سمع ذكر محمد صلى الله عليه
وسلم — وهو في الصلاة — فصلى عليه
فلا شيء عليه؛ سواء كان ساهياً، أو
عامداً، أو قائماً، أو جالساً.

— ومن قرأ سورتين فأكثر في ركعة واحدة، أو خرج من سورة إلى سورة، أو ركع قبل تمام السورة فلا شيء عليه في جمع ذلك.

— ومن أشار في صلاته بيده أو رأسه فلا شيء عليه.

— ومن كرر الفاتحة ساهياً سجداً بعد السلام؛ وإن كان عامداً فالظاهر البطلان.

— ومن تذكّر السورة بعد انحنائه إلى الركوع فلا يرجع إليها.

— ومن تذكّر السر أو الجهر قبل الركوع أعاد القراءة؛ فإن كان ذلك في السورة وحدها أعادها ولا سجود عليه؛ وإن كان في الفاتحة أعادها وسجد بعد السلام، وإن فات بالركوع سجداً؛ لترك الجهر قبل

السلام، وترك السر بعد السلام؛ سواء كان من الفاتحة أو السورة وحدها.

— ومن ضحك في الصلاة بطلت؛ سواء كان ساهياً أو عامداً؛ ولا يضحك في صلاته إلا غافل متلاعب؛ والمؤمن إذا قام للصلاة أعرض بقلبه عن كل ما سوى الله سبحانه، وترك الدنيا وما فيها؛ حتى يحضر بقلبه جلال الله سبحانه وعظمته، ويرتعد قلبه، وترهب نفسه من هيبة الله جل جلاله؛ فهذه صلاة المتقين؛ ولا شيء عليه في التسم.

— وبكاء الخاشع في الصلاة مغتفر.

— ومن أنصت لمتحدث قليلاً فلا شيء عليه.

— ومن قام من ركعتين — قبل الجلوس —
فإن تذكر قبل أن يفارق الأرض بيديه
وركبتيه؛ رجع إلى الجلوس ولا سجود عليه؛
وإن فارقها تمادى ولم يرجع وسجد قبل
السلام؛ وإن رجع بعد المفارقة، وبعد القيام
سahياً، أو عامداً صحت صلاته وسجد بعد
السلام.

— ومن نفخ في صلاته ساهياً سجد بعد
السلام، وإن كان عامداً بطلت صلاته.
— ومن عطس في صلاته فلا يشتغل
بالحمد، ولا يرد على من شتمه، ولا يشمت
عاطساً؛ فإن حمد الله فلا شيء عليه.
— ومن ثاءب في الصلاة سد فاه.

— ولا ينفث إلاّ في ثوبه من غير إخراج حروف.

— ومن شك في حدث أو نجاسة؛ فتفكر في صلاته قليلاً، ثم تيقن الطهارة فلا شيء عليه.

— ومن التفت في الصلاة ساهياً فلا شيء عليه؛ وإن تعمد فهو مكروه.

— وإن استدبر القبلة قطع الصلاة.

— ومن صلى بحريز أو ذهب، أو سرق في الصلاة، أو نظر محرماً؛ فهو عاص، وصلاته صحيحة.

— ومن غلط في القراءة بكلمة من غير القرآن سجد بعد السلام، وإن كانت من القرآن فلا سجود عليه؛ إلاّ أن يتغير اللفظ، أو يفسد المعنى؛ فيسجد بعد السلام.

— ومن نعس في الصلاة فلا سجود عليه،
وإن ثقل نومه أعاد الصلاة والوضوء.
— وأنين المريض مغتفر، والتحنج للضرورة
مغتفر، وللإفهام منكراً؛ ولا تبطل الصلاة
به.

— ومن ناداه أحد؛ فقال له: سبحان
الله؛ كره وصحت صلاته.

— ومن وقف في القراءة ولم يفتح عليه
أحد؛ ترك تلك الآية وقرأ ما بعدها؛
فإن تعذرت عليه ركع؛ ولا ينظر مصحفاً
بين يديه؛ إلا أن يكون في الفاتحة؛ فلا بد
من كمالها بمصحف، أو غيره؛ فإن ترك
منها آية سجد قبل السلام، وإن كان
أكثر بطلت صلاته، ومن فتح على غير
إمامه بطلت صلاته؛ لا يفتح على إمامه إلا
أن ينتظر الفتح، أو يفسد المعنى.

— ومن جال فكره قليلاً في أمور الدنيا
نقص ثوابه ولم تبطل صلاته.

— ومن دفع الماشي بين يديه، أو سجد
على شق جبهته، أو سجد على طية أو
طيتين من عمامته؛ فلا شيء عليه.

— ولا شيء في غلبة القياء، والقلس في
الصلاة.

— وسهو المأموم يحمله الإمام؛ إلا أن يكون
من نقص الفريضة.

— وإذا سها المأموم، أو نعس، أو زوحم عن
الركوع — وهو في غير الأولى — فإن طمع
في إدراك الإمام قبل رفعه من السجدة
الثانية؛ ركع ولحقه؛ وإن لم يطمع ترك
الركوع وتبع إمامه، وقضى ركعة في
موضعها بعد سلام إمامه.

— وإن سها عن السجود، أو زوحم، أو نعس حتى قام الإمام إلى ركعة أخرى سجد؛ إن طمع في إدراك الإمام قبل عقد الركوع؛ وإلا تركه وتبع الإمام، وقضى ركعة أخرى أيضاً؛ وحيث قضى الركعة فلا سجود عليه؛ إلا أن يكون شاكاً في الركوع، أو السجود.

— ومن جاءته عقرب، أو حية فقتلها؛ فلا شيء عليه؛ إلا أن يطول فعله، أو يستدبر القبلة؛ فإنه يقطع.

— ومن شك: هل هو في الوتر، أو في ثانية الشفع؛ جعلها ثانية الشفع وسجد بعد السلام، ثم أوتر.

— ومن تكلم بين الشفع والوتر ساهياً؛
فلا شيء عليه، وإن كان عامداً؛ كرهه ولا
شيء عليه.

— والمسبوق إن أدرك مع الإمام أقل من
ركعة؛ فلا يسجد معه لا قبلياً ولا بعدياً؛
فإن سجد معه بطلت صلاته، وإن أدرك
ركعة كاملة، أو أكثر سجد معه القبلي،
وأخر البعدي حتى يتم صلاته؛ فيسجد
بعد سلامه، فإن سجد مع الإمام عامداً؛
بطلت صلاته، وإن كان ساهياً سجد بعد
السلام.

— وإن سها المسبوق بعد سلام الإمام؛ فهو
كالمصلي وحده.

— وإذا ترتب على المسبوق بعدي من جهة
إمامه، وقبلني من جهة نفسه؛ أجزأه
القبلي.

— ومن نسي الركوع وتذكره في السجود؛
رجع قائماً، ويستحب له أن يعيد شيئاً
من القراءة، ثم يركع ويسجد بعد
السلام.

— ومن نسي سجدة واحدة وتذكرها بعد
قيامه؛ رجع جالساً، وسجدها؛ إلا أن يكون
قد جلس قبل القيام؛ فلا يعيد الجلوس.

— ومن نسي سجدتين؛ حر ساجداً؛ ولم
يجلس، ويسجد في جميع ذلك بعد السلام.

— وإن تذكر السجود — بعد رفع رأسه
من الركعة التي تليها — تمادى على
صلاته، ولم يرجع، وألغى ركعة السهو،
وزاد ركعة في موضعها بانياً، وسجد قبل
السلام.

— إن كانت من الأوليين، وتذكر بعد عقد
الثالثة، وبعد السلام؛ إن لم تكن من
الأوليين، أو كانت منهما وتذكر قبل عقد
الثالثة؛ لأن السورة والجلوس لم يفوتا.
— ومن سلم شاكاً في كمال صلاته؛
بطلت صلاته.

— والسهو في صلاة القضاء كالسهو في صلاة
الأداء.

— والسهو في النافلة كالسهو في الفريضة؛ إلا
في ست مسائل: الفاتحة، والسورة، والسر،
والجهر، وزيادة ركعة، ونسيان بعض
الأركان إن طال.

— فمن نسي الفاتحة في النافلة وتذكر بعد
الركوع تمادى وسجد قبل السلام؛ بخلاف
الفريضة؛ فإنه يلغى تلك الركعة، ويزيد
أخرى، ويتمادى، ويكون سجوده — كما
ذكرنا — في تارك السجود.

— ومن نسي السورة، أو الجهر، أو السر في
النافلة وتذكر بعد الركوع؛ تمادى ولا
سجود عليه؛ بخلاف الفريضة.

— ومن قام إلى الثالثة في النافلة؛ فإن تذكر
قبل عقد الركوع؛ رجوع وسجد بعد
السلام، وإن عقد الثالثة تمادى وزاد الرابعة
وسجد قبل السلام؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه
يرجع متى ما ذكر، ويسجد بعد السلام.
— ومن نسي ركناً من النافلة — كالركوع
أو السجود — ولم يتذكر حتى سلم وطال
فلا إعادة عليه؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه
يعيدها أبداً.
— ومن قطع النافلة عامداً، أو ترك منها
ركعة، أو سجدة عامداً؛ أعادها أبداً.
— ومن تنهد في صلاته فلا شيء عليه؛ إلا
أن ينطق بحروف.

— وإذا زاد الإمام سجدة ثالثة؛ فسبح به، ولا تسجد معه.

— وإذا قام الإمام إلى خامسة؛ تبعه من تيقن موجبها، أو شك فيه، وجلس من تيقن زيادتها؛ فإن جلس الأول وقام الثاني بطلت صلاته.

— وإذا سلم الإمام قبل كمال الصلاة سبح به من خلفه؛ فإن صدقه كمل صلاته وسجد بعد السلام، وإن شك في خبره سأل عدلين، وجاز لهما الكلام في ذلك، وإن تيقن الكمال عمل على يقينه وترك العدلين؛ إلا أن يكثر الناس خلفه، فيترك يقينه ويرجع إليهم.

رابعاً - منظومة القدسية:

وهي أرجوزة طويلة؛ يقول بعضهم: أنها "أرجوزة في طبيعة النفس" نظمها الأخضري سنة 944هـ/1537م؛ وعدد أبياتها 357 بيتاً؛¹ بينما يرى آخرون² أن أبياتها 346 بيتاً؛ وتعني "آداب السلوك". أما المنظومة التي أملك نسخة منها؛ فأبياتها 345 بيتاً لا غير؛ وقد تفضل صديقي وأخي الشاعر الكبير أبو القاسم خمار بإعطائي نسخة منها؛ فله مني جزيل الشكر والامتنان. كما أمدتني ابنتي دبابش اعتدال - بعد إكمال هذه الدراسة - بنسخة مخطوطة من شرح لقدسية الأخضري؛ أنجز الشرح الشيخ الحسين بن أحمد زروق بن مصباح³؛ ولكن شرحه لم يكتمل إلى نهاية القصيدة.

وقد شاعت أرجوزة القدسية وذاع صيتها بين طلاب العلم والمتصوفة؛ حتى غدت تدرس في معظم المعاهد والزوايا آنذا؛ ووصل الحد ببعضهم إلى حفظها واستظهارها عن ظهر قلب. وهذه الأرجوزة تعالج موضوع التصوف والوعظ والإرشاد الديني والأخلاقي.

¹ يعتقد الدكتور سعد الله أنها هي نفسها المنظومة التي توجد في مكتبة ميونخ بألمانيا؛ ضمن مجموعة رقم: 929 ، وبالمتحف البريطاني. تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 509، التعليق: 74.

² تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 80.

³ يبدو أنه هو الذي أشار إليه الحسين الورثاني في رحلته؛ وعده ضمن علماء زواوة.

وقد تناولت - كما يقال بالفعل - آداب السلوك..
سلوك أهل التصوف والمهتمين بشئون الدين؛ إذ تركز
- خاصة - على نقد وفضح المتصوفة الزائفين،
والمشعوذين الكاذبين، وأهل البدع الدجالين، المندسين
في صفوف المتدينين. كما توجه النصح للمريدين
وطلاب العلم لكي يلتزموا بالسلوك السوي في عبادتهم
ومعاملتهم.

وقد حظيت هذه المنظومة بشهرة واسعة،
ووجدت عناية خاصة من قبل بعض العلماء؛ إذ
يبدو أنها طبعت في القاهرة سنة 1348هـ/1929م.
كما اهتم بعضهم بشرحها؛ بغرض تقريب فكرتها
وتبسيطها للقراء. ومن أهم الشروح التي ورد ذكرها
- حتى الآن - **منظومة القدسية**؛ هو شرح الحسين
الورتلاني صاحب الرحلة (1125/ 1713م -
1193هـ/1778م) الذي سماه "الكواكب العرفانية
والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية". ثم قام
- بعد ذلك - الشيخ المولود بن محمد الزريبي
الأزهري المتوفي سنة 1343هـ/1925م؛ بإنجاز شرح
للقدسية؛ ولكنه لم يطبع إلى الآن. وقال عنه الشيخ
الجيلالي أنه "شرح نفيس". كما ظهر أن الزاوية
العثمانية بطولقة تملك شرحاً للقدسية لم يعرف من

قبل؛ قام به الشيخ الحسين بن أحمد زروق بن مصباح المذكور. كما أمدي الأستاذ سعد السعود خشاب؛ بنسخة من مخطوط شرح قدسية الأخضري كاملة؛ بشرح الشيخ الحسين الورثلاني؛ مسجلة على قرص مضغوط. وكلا الشرحين: شرح ابن مصباح، وشرح الورثلاني مصدرهما من الزاوية العثمانية بطولقة.

المهم؛ أن منظومة القدسية للأخضري وجدت اهتماماً ملحوظاً من قبل المشرفين على المعاهد العلمية بالبلدان المغربية على الخصوص؛ حيث تقرر تدريسها ضمن معظم المدارس والزوايا في المغرب الأقصى والجزائر وتونس. وقبل الحديث عن محتوى هذه الأرجوزة نحاول التعرف على عنوانها؛ ولماذا سميت بالمنظومة "القدسية"؟

الواضح - هنا - أن كلمات "قدس و قداسة و قدسية و تقديس"؛ تعني في مجملها: الطهارة والتزاهة؛ فنقول: مطهر ومنزه؛ ونعني به التقديس الإلهي. وهذه العبارات كلها استعملت كثيراً في كتابات وأقوال المنتسبين للصوفية. ويمكن التأكد من هذا بتتبع مؤلفاتهم؛ مثل: ما كتبه الإمام الغزالي؛ عندما عنون فصلاً في الجزء الأول من كتابه إحياء علوم

الدين؛ يعالج قواعد العقائد؛ بـ "القدس". كما كتب الشيخ الشعراي¹ كتاباً سماه لواقح الأنوار القدسية. وألف السيد عبد الله الميرغني² كتاباً بعنوان الأنفاس القدسية. وهذا كبير شعراء المتصوفة في الأندلس وبلاد المغرب "علي بن عبد الله الششتري" كتب كتاباً سماه "الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة"³ كما كتب الشيخ علوان الحموي كتاباً سماه "الفحات القدسية في شرح آيات للششتري"⁴ وقام أحمد الزروق الفاسي بتصنيف كتاب يشرح العقيدة القدسية للإمام الغزالي. وأحمد الزروق - كما هو معروف - من الصوفية المصلحين؛ وقد تأثر به الأخضري؛ الذي نوه به في "منظومة القدسية" ودعا القراء إلى إتباع نهجه وقراءة كتابه. كما أن الزروق يعد من بين أساتذة والد الأخضري؛ لذا فقد استشهد به في ختام منظومته بقوله:

¹ وهو أبو المواهب عبد الوهاب؛ فقيه وصوفي شهير؛ ولد بقلشندة وتوفي بالقاهرة سنة 973 هـ/1565م. من مؤلفاته أيضاً: "الجواهر والدرر الكبرى".

² وهو عبد الله المحجوب الميرغني؛ فقيه حنفي وصوفي؛ ولد بمكة المكرمة وتوفي بالطائف سنة 1193 هـ/1779م. من مؤلفاته أيضاً: "الإيضاح المبين بشرح فرائض الدين"، و"المعجم الوجيز"، و"ديوان العقد المنظم على حروف المعجم"، و"الرسائل الميرغنية"، وغيره.

³ ديوان الششتري، ص: 14.

⁴ مازال مخطوطاً بمكتبة السيد أحمد الصديق بطنجة، ديوان أبي الحسن الششتري، ص: 69.

وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةً بِالْبَدَعِ
وَمَا يُنِنِي عَلَيْهِ أَصْلُ الْمُدَّعِي
فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُّوقِ
عَجَائِبُ فَائِقَةٌ الرُّتُوقِي¹

ونظراً لأهمية منظومة الأخضري المسماة بـ
"القدسية" وما لها من فائدة، ورغبة منا في تقريب
القارئ من الصورة الواضحة لهذه الأرجوزة الصوفية،
الأخلاقية؛ فقد تبين مدى ضرورة شرحها كاملة بما
تيسر؛ مراعاة لضيق المجال؛ ومحدودية الزمن. وعليه؛
نبتدئ بما ابتدأ به الأخضري في منظومته؛ وهي
الآيات التالية التي استهل بها الموضوع:

1- يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ الْمُقْتَدِرِ
الْمُذْنِبِ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الْأَخْضَرِي
2- بِحَمْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبْتَدِي
ثُمَّ صَلَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ

(1، 2) - يستهل الأخضري "منظومة القدسية"
بالبیت الأول الذي يعلن فيه أنه طامع في رحمة
"المقتدر"؛ وهو الله سبحانه وتعالى؛ لأن "المقتدر" اسم

¹ الرتوق: المنعة والعز والشرف.

من أسماء الله الحسنى.¹ وفي البيت الثاني يعلن بدء عمله بحمد رب العالمين ثم بالصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

3 - يَا طَالِباً عَلَى كَمَالٍ قُدْسِيهِ²

وَقَاصِداً إِلَى عِلاجِ نَفْسِيهِ³

(3) - في هذا البيت يستعمل الناظم أسلوب النداء

الموجه إلى من سعى في درب كمال طهارته ونزاهته، وعمل في سبيل تحقيق أسباب علاج نفسه. فيقول:

¹ المقصد الأسنى، ص: 127.

² نقول: كَمَل الشَّيْءُ كُمُولاً: تمت أجزاءه أو صفاته... كَمَل الشَّيْءُ كَمَالاً: ثبتت فيه صفات الكمال. أَكَمَلَ الشَّيْءُ: أتمه. وجاء في القرآن الكريم: ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)). سورة المائدة، من الآية: 3. ونقول: قَدُسَ قُدْساً: طَهَرَ. وقُدسَ لِلَّهِ تَقْدِيساً: طَهَرَ نَفْسَهُ لَه. وصلى لَه. وعظمه وكبره، وفي التنزيل العزيز: "وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"، سورة البقرة، من الآية: 30. راجع كلمتي: "كمال وقُدس" في المعاجم. والناظم يقصد بقوله: "كمال قدسه": تمام طهارته. وقد استعمل المتصوفة هاتين الكلمتين كثيراً ضمن مصطلحاتهم الصوفية والفلسفية على السواء. فكلمة الكمال مثلاً تعني ((الحال الكامل؛ ويطلق على ما يكمل به النوع في ذاته أو في صفاته. فالذي يكمل به النوع في ذاته يسمى بالكمال الأول؛ لتقدمه على النوع. والذي يكمل به في صفاته يسمى بالكمال الثاني؛ وهو يشمل العوارض التي تلحق بالشئ بعد تقدمه كالعلم وسائر الفضائل. ومعنى ذلك أن الكمال الأول تتوقف عليه الذات؛ على حين أن الكمال الثاني يتوقف على الذات)). المعجم الفلسفي، ج: 2، ص: 243. وفي هذه الحال يكون الكمال الذي يطلبه الناظم هو الكمال الثاني؛ الذي يكمل به في صفاته.

³ النفس هي الروح حسب أشهر الأقوال؛ ولكن بعض الفلاسفة يفرقون بينهما؛ إذ يرون "أن معنى النفس يتضمن معنى الجوهرية الفردية، وأن مفهومها أغنى من مفهوم الروح، وأن مجالها أوسع من مجال الشعور... أن الروح جسم والنفس غير جسم، وأن الروح يحوى في البدن وأن النفس لا يحويها البدن..." أنظر المعجم الفلسفي، ج: 2، ص: 481 - 483. أما ابن خلدون فيقول أن الله خلق الإنسان من جثمان وهيكل محسوس، ومن لطيفة ربانية عبر عنها الشرع بألفاظ مختلفة؛ مثل: الروح أحياناً، والنفس أحياناً أخرى، أو العقل تارة، والقلب تارة أخرى. وبهذا تكون هذه العبارات ترمي لمعنى واحد في الشرع. أنظر شفاء السائل لتهديب المسائل، ص: 80.

يا راغباً في الطهارة التامة والنقاء من الشوائب
والأدران الدنيوية، ويا من فضل الاتجاه نحو تطيب
نفسه المريضة ومداواتها من الآفات والمهالك.

4 - اعْلَمُ بِأَنَّ الْجَوْهَرَ الْإِنْسَانِيَّ

هُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ الرَّوْحَانِي¹

5 - مَنَشَأُهُ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ

وَمُودَعٌ فِي الْقَالِبِ الْجِسْمِيِّ

6 - لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مِنْ جِنْسِ الْمَلَكِ

فَصَارَ مَرَكُوزاً فِي عَالَمِ الْحَلَكِ

(من 4 إلى 6) - يتشكل الإنسان من "جثمان"

وهو هيكل ظاهر ومحسوس يسمى الجسد، ومن
"جوهر"؛ وهو حقيقة الإنسان، ومصدر النفع فيه.
والجوهر - هنا - هي الروح؛ تلك اللطيفة الربانية
التي أودعها الله في الجسم؛ لحفظه وتحقيق منفعتيه.
ومنشأ تلك اللطيفة - التي هي الروح - هو العالم
العلوي؛ حيث وضعت بأمر إلهي في الجسم؛ الذي
هو بمثابة القالب؛ ويختلف "الجثمان" عن الجوهر في
كونه مجرد عرض. وهذه اللطيفة الربانية؛ أي الروح
- التي أودعت في القالب الإنساني وهو "الجثمان" -

¹ الجوهر جمع لجوهرة؛ وهو حقيقة الشيء وذاته؛ إذ يستخرج منه ما يستفيع به.
والجوهر لدى الفلاسفة كل ما قام بنفسه؛ ويقابله العرض الذي يقوم بغيره.

هي عبارة عن جوهر نوراني من جنس ملائكي؛ ركزت بأمر الله في عالم مظلم وهو الجثمان الأرضي الترابي.

7- فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ نَفْسِيَّةٌ
فِي الْأَصْلِ فِي الدَّائِرَةِ الْقُدْسِيَّةِ
8- دَائِرَةُ التَّطْهِيرِ وَالْكَمَالِ
وَعَاقِبَتُهَا عَنِ ذَاكَ الْإِتِّصَالِ

(7، 8) - يصف الأخصري منظومته بأوصاف فيها طهارة وقدسية؛ إذ يقول عنها أنها جوهرة نفسية؛ أي مستمدة من الجوهر النفسي الروحاني؛ وتستمد أصولها من دائرة قدسية وطاهرة. وتلك الدائرة هي دائرة التطهير والتزاهة والكمال؛ ولا يعيق تمامها وكمالها إلا الاتصال أو المواصلة؛ وهي المعرفة والمشاهدة.

9- شَيْئَانِ مِنْهُمَا حِجَابٌ¹ ظَاهِرٌ
وَبَاطِنٌ فِي النَّفْسِ أَيِّ سَاتِرٍ
10- فَالظَّاهِرُ الْعَوَائِدُ الْجَسْمِيَّةُ
وَالْبَاطِنُ الْعَلَائِقُ النَّفْسِيَّةُ

¹ الحجاب جمع حجب: هو الساتر؛ نقول: حجب الشيء أي ستره. وقد استعمل المتصوفة هذه الكلمة للتعبير عن الحال التي يرفع فيها الحجاب عما هو غامض ومخفي في الوجود.

- 11 – مِنْ شَهْوَةٍ رِئَاسَةٍ وَدَعْوَى
وَنَزْغَةِ الشَّيْطَانِ وَهِيَ الْبُلُوَى
- 12 – فَأَوَّلُ يُدْعَى حِجَابِ الْحِسِّ
وَالثَّانِي يُدْعَى بِحِجَابِ النَّفْسِ
- 13 – فَمَنْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُكَبِّبًا¹
عَلَى هَوَاهَا لَمْ يَزَلْ مُحْتَجِبًا

(من 9 إلى 13) – يتكون الإنسان من جوهر
وعرض؛ أي جسم ونفس أو روح. وهو مركب من
غرائز بالفطرة، ومن سلوك مكتسب بالعادة والتعلم.
وغرائزه ومكتسباته مخفية في عقله وباطنه؛ ولكن
العوائد تظهر من خلال تصرفات الإنسان الحسية
والنفسية؛ أي من خلال تحقيق رغباته وإشباع شهواته،
وتلبية تطلعاته للرئاسة وانسياقه وراء كل دعوى تعزز
مركزه الدنيوي. أما الغرائز فتنبثق من داخل الإنسان
تلقائياً؛ وكلا الحالتين لهما حجاب خاص بهما؛
فالحجاب الأول الظاهر هو حجاب الحس، وله علاقة
بالعوائد الجسمية. أما الحجاب الثاني الباطني؛ فمتعلق
بالنفس ومسند إليها.

¹ كَبَّبَ الشَّيْءُ: قلبه بعضه على بعض، ورماه في الهوة؛ يقول تعالى: ((فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ
وَالْغَاوُونَ)). سورة الشعراء، الآية: 94.

لذا فمن يرمي بذاته في هوة شهوات النفس
وهواها؛ سيقى محجوباً؛ ولا يطمع في رفع حجاب
المعرفة عن عينيه. فكلما ابتعدت الروح عن الحس
الظاهر باتجاه الباطن لحق بأحوال الحس ضعف
ووهن؛ وبالمقابل تقوى أحوال الروح، وتتغلب على
الذات وما يحيط بها.

14 – إِذْ تُحْجَبُ الْمِرْآةُ بِالصِّدَاءِ¹

عَلَى انْطِبَاعِ صُورِ الْأَشْيَاءِ

15 – وَمَنْ أَجَادَ الصَّقْلَ بِالْمُجَاهِدَةِ

رَقِيَ مَقَامَ الْكَشْفِ وَالْمُشَاهَدَةِ²

16 – وَصَارَ فِي طَيِّ النَّفُوسِ بَادِيَا

جَمِيعُ مَا كَانَ لَهَا مُحَاذِيَا

17 – وَظَهَرَتْ خَوَارِقُ الْعَادَاتِ³

عَلَيْهِ مِنْ صَقَالَةِ الْمِرْآةِ

¹ الصِّدَاءُ: طبقة من الأكسيد تعلوا الحديد وغيره من المعادن، وقد استعمل الناظم كلمة: صداء للضرورة.

² نقول: صقله صقلاً: جلاه. ونقول: صقل السيف والمرآة: أزال ما عليهما من شوائب ولمعهما. أما المجاهدة فمعناها هنا الرياضة التي يتبعها المتصوفة بواسطة الذكر والتعبد والصيام في خلوتهم. أما الكشف عندهم فهو رفع حجاب القلب؛ ويقول فيه الجرجاني: ((الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً)).
شفاء السائل لتهديب المسائل، ص: 105. أما المشاهدة فهي المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وأسرار ملكوته وجلاء الحقيقة بدون شك. أنظر شفاء السائل لتهديب المسائل، ص: 42، 108.

³ خوارق العادات: كل ما خرج عن طبيعة العادات.

- 18 - وَعَادَتِ الْحَقِيقَةُ النَّفْسِيَّةُ
لأَصْلِهَا فِي الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ¹
- 19 - وَطَهَّرَ الْقَلْبُ مِنَ الْأَدْغَالِ²
إِذْ حَلَّ فِي دَرَجَةِ الْكَمَالِ

(من 14 إلى 19) - يستعمل المتصوفة مثال المرأة هذا للتعبير عما يكتنف النفس من أغشية وشوائب تمنع عنها النظارة والوضوح. ويصور الناظم - هنا - الوضع بقوله: أن المرأة عندما تعلوها غشاوة من الصدا أو الغبار؛ لا تنطبع صورة من يقف أمامها. وإذا أزيل ما علق عليها؛ تبدو الصورة المنعكسة على المرأة جلية واضحة. وكلما ازداد صقل المرأة، وتكاثف تلميعها؛ ازدادت الصورة المنعكسة عليها جلاء ووضوحاً.

وهذا هو بالضبط ما قد يحدث للنفس البشرية؛ إذ تصقل - هي الأخرى - بواسطة العبادة والمجاهدة والترويض على الطاعة والأعمال الصالحة؛ حتى تتطهر

¹ يستعمل المتصوفة مصطلح الحضرة للتدليل على عدة معاني؛ من ذلك: جلال الحضرة، والحضرة العمانية، والحضرة الهبانية والحضرة الربوبية. يمكن التوسع في معرفة ذلك بالإطلاع على كتاب: شفاء السائل لتهديب المسائل؛ لابن خلدون، ص: 40. 46. 51 - 52. وكتاب أصول مفردات التصوف الإسلامي؛ لماسينيون، ص: 23. 25. وكتاب الأربعين مرتبة؛ للشيخ عبد الكريم الجبلي، ص: 8. 10. 18. 25. 71. 85. وكتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ص: 106.

² الدَّغْلُ: هو الفساد؛ والذي يدغل في شيء: هو الذي يفسد فيه.

وتصفو وترقى للمقام السامي؛ أين يتمكن السالك في طريق الكشف من تحقيق ما تصبو إليه نفسه؛ من كشف الحجاب، وظهور الحقيقة المطلقة بين عينيه، ومشاهدة ما حجب عن غيره من الناس في دنياهم الفانية.

وبذلك يظهر ما تنطوي عليه النفس البشرية، ويتبدد ما يحيط بها من ركام وغموض؛ فتنجلي حقيقة ما يصبو إليه السالك في طريق التصوف. وهكذا؛ فبواسطة الصقل هذا والترويض المستمر؛ تعود الحقيقة النفسية لأصلها وطبيعتها التي خلقت فيها؛ أي ضمن الحضرة القدسية الطاهرة النقية. وبذلك يتطهر القلب ويتخلص من الشوائب والشور والأدران والفساد. وهكذا يحل القلب في مرتبة أنقي وأطهر هي مرتبة الكمال؛ التي يتطلع إليها كل متعبد ورع، وكل تقي ومستقيم.

20 - لَكِنَّ أَنْوَاعَ الْمُجَاهِدَاتِ¹

بِحَسَبِ الْمَقَامِ لِلْسَّادَاتِ²

21 - تُقَاءٌ وَاسْتِقَامَةٌ وَكَشْفٌ³

¹ المجاهدات ثلاث درجات: مجاهدة التقوى والورع، ومجاهدة الاستقامة، ومجاهدة الكشف. وهي متفاوتة ومتلاحقة؛ يعرفها ابن خلدون بقوله: ((لما كان معنى المجاهدة - كما قررناه - اكتساب النفس للصفات المحمودة وتلونها بها صفة بعد صفة؛ ولها ترتيب في تعليم اكتسابها مخصوص بها)). ويعرفها ابن العربي بأنها: ((حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال)). أما الجرجاني فيقول عنها: ((في الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب من الشرع)). شفاء السائل لتهديب المسائل، ص: 41. 106.

² المقام لدى الصوفية هي الصفات التي تكون بالكسب والاختيار؛ مثل التوكل والصبر والرضى.. إلخ. ويقول الجرجاني في المقام: ((عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف)). شفاء السائل لتهديب المسائل، ص: 114.

³ - 1 مجاهدة التقوى هي الوقوف عند حدود الله؛ ((لأن الباعث على هذه المجاهدة طلب النجاة؛ فكأنها اتقاء وتحرز؛ بالوقوف عند حدود الله عن عقوبته وحصولها في الظاهر؛ بالنزوع عن المخالفات، والتوبة عنها، وترك ما يؤدي إليها؛ من: الجاه، والاستكثار من المال، وفضول العيش، والتعصب للمذاهب؛ وفي الباطن مراقبة أفعال القلب التي هي مصدر الأفعال ومبدؤها؛ أن يلم بمقارفة محذور، أو إهمال واجب... قال عليه الصلاة والسلام: "الحلال بين والحرام بين".... وقال ابن عمر: "حقيقة التقوى أن تدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس" وقال: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر". وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام". - 2 ومجاهدة الاستقامة هي الصفة الثانية من صفات المجاهدة؛ يقول فيها ابن خلدون: ((هي تقويم النفس وحملها على التوسط في جميع أخلاقها؛ حتى تنهذب بذلك وتحقق به؛ فتحسن أخلاقها وتصدر عنها أفعال الخير بسهولة وتصير لها آداب القرآن والنبوءة بالرياضة والتهديب خلقاً جبلياً؛ كأن النفس طبعت عليها. والباعث على هذه المجاهدة طلب الفوز بالدرجات العلى؛ درجات الذين أنعم الله عليهم؛ إذ الاستقامة طريق إليها. " قال تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ؛ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. [سورة الفاتحة، الآيتين: 6 - 7]. وحصول هذه الاستقامة بعلاج خلق النفس. ومداوتها بمضادة الشهوة، ومخالفة الهوى، ومقابلة كل خلق يجس من نفسه هواه. والميل إليه والاعتداد به؛ بارتكاب ضده الآخر؛ كمعالجة البخل بالسخاء، والكبرياء بالتواضع، والشره بالكف عن المشتهى، والغضب بالحلم)). شفاء السائل لتهديب المسائل، ص: 34 - 35. وحاول ابن خلدون توضيح مفهوم مجاهدة الاستقامة بعرض هذا المثال: ((ومثاله أن المرآة الصقيلة [المصقولة] إذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذي بها جهة المرئي فإنه يتشكل فيه معوجاً على غير صورته؛ وإذا كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحاً. فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الأحوال)). المقدمة، ج: 3، ص: 1202. - 3 أما مجاهدة الكشف والإطلاع يقول فيها ابن خلدون: ((ومجاهدة الكشف

- وَذَاكَ مَا بِهِ الْقُلُوبُ تَصْفُو¹
- 22 – فَأَيُّ مَنْ شَدَّ لِلْحَزْمِ عُرَا
- وَوَظَلَّ يِرْتَضِي النَّفُوسَ مُوثِرَا
- 23 – حَتَّى إِذَا صَحَّتْ سَمَاءُ الْقُلُسِ
- بَطْرِدٍ مَرَكُومٍ سَحَابِ النَّفْسِ²
- 24 – حِينِيذٍ تَبْدُو شُمُوسُ الْغَيْبِ
- مُشْرِقَةً بَعْرَصَاتِ الْقَلْبِ³

والإطلاع؛ وهي إخماد القوى البشرية كلها؛ حتى الأفكار؛ متوجهاً بكلية تعقله إلى مطالعة الحضرة الربانية؛ طالباً رفع الحجاب؛ ومشاهدة أنوار الربوبية في حياته الدنيا؛ ليكون ذلك وسيلة إلى الفوز بالنظر إلى وجه الله في حياته الأخرى التي هي غاية مراتب السعادة)).
شفاء السائل لتهديب المسائل، ص: 43 – 44. ويقول أيضاً: ((وأما الكلام عن الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات؛ فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما أنه وجداني؛ وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أوقافهم فيه. واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه... فينبغي أن لا نتعرض لكلامهم في ذلك؛ ونتركه فيما تركناه من المتشابه. ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم به سعادة. وأما الألفاظ الموهمة؛ التي يعبرون عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع؛ فاعلم أن الإصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس، والواردات تملكهم؛ حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه؛ وصاحب الغيبة غير مخاطب... وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة – الذين أشرنا إليهم من قبل – لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، ولا هذا النوع من الإدراك؛ إنما همهم الإبتاع والإقتداء ما استطاعوا. ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه، ولم يحفل به؛ بل يفرون منه، ويرون أنه من العوائق والمحن)). المقدمة، ج: 3، ص: 1213 – 1214.

¹ تصفو: أي يزول عنها الكدر. ((اعلم أن هذه اللطيفة الربانية التي فينا [وهي النفس أو القلب] إذا حصل لها بالتصفية والمجاهدة العلم الإلهامي – كما قدمناه – ويسمى كشفاً وإطلاعاً؛ فهو ذو مراتب تختلف وتتفاوت بتفاوت الصفا والتخلص من الكدرات؛ فمبداها المحاضرة وهي آخر مراتب الحجاب، وأول مراتب الكشف)). شفاء السالك لتهديب المسائل، ص: 30.

² سماء القدس هنا هي: السماء الطاهرة النقية. الركام: ما اجتمع من السحاب وتراكم بعضه فوق بعض.

³ المقصود من الشطر الأول: أن تتجلى أنوار الغيب وينكشف الحجاب. والمقصود بعرضات القلب: دعائمه وحناياهم وخفقاته وبريق أنواره.

- 25 – وَأَنْطَبَعَتْ فِي وَسْطِ الْمِرَآةِ
صُورُ الْأُمُورِ الْمَلَكُوتِيَّاتِ¹
- 26 – وَزُخِرْفَتْ حَدَائِقُ الْقُلُوبِ
بِثَمَرَاتِ الْكَشْفِ وَالْغُيُوبِ
- 27 – وَوَابِلُ الْأَسْرَارِ² بِالْقَلْبِ انْسَجَمَ
وَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ يَنَائِعُ الْحِكْمِ

(من 20 إلى 27) – للمجاهدات صفات وأشكال مختلفة؛ أولها: مجاهدة التقوى وهي مراعاة الأدب مع الله، والالتزام بحدود الله في الظاهر والباطن. ومجاهدة التقوى هذه هي التي تعرف بالتصوف لدى السلف الأول. ثم تليها مجاهدة الاستقامة؛ التي تلزم النفس إتباع الصراط المستقيم. ثم مجاهدة الكشف التي تخبو فيها قوى النفس، ويتعطل فيها النشاط الفكري تماماً؛ ولا يبقى لدى السالك في هذا النهج سوى وجدانه وقوة الروح المتنامية فيه.

وأنواع المجاهدات هذه تصنف حسب الصفات المكتسبة؛ أي المقام الذي يكون عليه السادة المتصوفة؛ من: تقوى، أو استقامة، أو كشف. وكل تلك

¹ الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس والعجائب؛ يقول تعالى: ((أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)). سورة الأعراف، من الآية: 185.

² السر؛ اصطلاح يطلق على القلب إذا كان محل أنوار المشاهدة والمعرفة.

المقامات تصفو بها القلوب من الكدر والقذى. لذا فإن عملية الزهد وضبط النفس وكبح شهواتها؛ بالتضييق عليها بواسطة الرياضة والمجاهدة؛ ستساعد كلها على صفاء الأجواء، وجلاء سماء الطهارة والقدسية. كل ذلك يحدث بعد إزالة ما تراكم من كدر وسحب قائمة كانت تغلف النفس.

عندئذ تنجلي أنوار المعرفة مشرقة ساطعة؛ تلك الأنوار التي كانت غائبة؛ فأشرقت بضياؤها، وبشّرت بنبضات القلب ونشاطه. وانطبعت - نتيجة لذلك - وظهرت في مرآة الحقيقة الصورة المنيرة لعالم الغيب المتعلق بالأرواح العجيبة والنفوس النقية؛ فتجلت واضحة جلية؛ وزخرفت القلوب بالألوان البهية الباعثة للبهجة والسعادة؛ وأثمرت الأعمال الصالحة والمجاهدات الصادقة بثمار الكشف عن حجاب الغيب؛ فانهاالت على القلوب أنوار المشاهدة والمعرفة التي تعرف "بالسر"؛ فينتج عن انسجام القلب بالأسرار انبعاث ينايع الحكيم وتدفعها من القلب.

28 - وَعَلِمَ بِأَنَّ رُبَّةَ الْكَمَالِ

وَخَارِقُ الْعَادَاتِ فِي الْمَثَالِ

29 - مَطْوِيَّةٌ فِي النَّفْسِ طِيَّ الْحَبِّ فِي

أَكْمَامِهِ ظُهُورُهَا مِنْهَا يَفِي

30 – مِنْ بَعْدِ إِرْعَادِ الرُّعُودِ السَّائِقَهُ
ثُمَّ انْسِكَابِ الْمُعْصِرَاتِ¹ الرَّائِقَهُ

(28، 29، 30) – وينبه الناظم القارئ؛ إلى أن الرتبة التي يتحقق بها كمال العمل، وتمام المجاهدة؛ مطوية في النفس مثلما تطوى حبوب الزرع والنبات في قشرها وأكمامها؛ حيث تتجلى على حقيقتها بزوال تلك القشور والأكمام؛ نتيجة لهدير الرعود وبريق ضوئها؛ تلك الرعود الجالبة للسحب المشبعة بالأمطار المنهمرة الصافية.

31 – حَتَّى إِذَا شَرِبْتَ الْأَشْجَارُ
وَزَالَ عَنُ أَغْصَانِهَا الْغُبَارُ
32 – وَلَآنْتَ الْأَعْرَافُ بَارْتَوَائِهَا
وَسَرَّيَانِ الْمَاءِ فِي أَرْجَائِهَا
33 – وَاهْتَزَّتْ الْأَغْصَانُ بِالرِّيَّاحِ
تَهَيَّيْتُ الْأَثْمَارُ² لِلْقَاحِ
34 – وَالْقَصْدُ عِنْدَ الْقَوْمِ بِالرُّعُودِ
قَدَحِ رُعُودِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ

¹ المعصيرات: السحاب تُعَصَّر بالمطر.

² جمع الثمرة: ثمار. وجمع الجمع: أثمار وثمر.

(من 31 إلى 34) – وقد رمز الناظم بصورة
الرعود الهادرة وبريقها إلى وعد الله ووعيده، أما
الأمطار المنسكبة فترمز لسيول الوعظ والإرشاد التي
تهدف إلى إصلاح النفوس وتطهير القلوب. لذا فقد
تخيل الناظم الوضع؛ بعد سقوط تلك الأمطار
الصافية النقية؛ حيث يرى أن الأغصان قد لانت
والأشجار انتعشت؛ بسبب ما لحقها من رعاية،
وارتواء، وزوال الغبار والقذى عنها؛ فاهتزت الأغصان
وتمايلت؛ بفعل الرياح التي هيأت الثمار للقاح.

35 – ثُمَّ انْسَكَبَ مَطَرُ الوَعْظِ عَلَيَّ

بصيرة المرء لكي يمشي

36 – حَتَّى يَلِينَ قَلْبُهُ بِالفِكْرَةِ

وينتفي عنه غبار الغفلة

37 – وَاسْتُخْرِجَتْ ثِمَارُ غُصْنِ القَلْبِ

بهزها فبعد هذا الخطب

38 – يَبْدُو لِقَاحُ العِلْمِ وَالْأَعْمَالِ

بقدر ما للقلب من كمال

(من 35 إلى 38) – وقد استعار الناظم هذه
الصورة للتعبير عما يحدث للقلب من غفلة وتماون؛
فيلين بالوعظ؛ كما تلين الأغصان بالرعود والأمطار،
ويتطهر وتزول عنه الشوائب بالرياضة والمجاهدة؛ كما

تغتسل الأغصان بمياه الأمطار الصافية التي تزيل
الغبار عنها. فيسهل عندئذ قطف ثمرات القلب؛ بعد
هزه بالمجاهدة والرياضة. وهكذا يظهر لقاح العلم
المفيد، والأعمال الصالحة، على قدر ما أضحى عليه
القلب من كمال وتمام الحال.

39 - وَبَعْدَ مَا تَحَصَّلَ اللَّقَاحُ

فَهَبَّ فِي أَرْجَائِهَا الرِّيحُ

40 - وَظَهَرَ الْأَزْهَارُ فِي الْأَغْصَانِ

وَكَانَ الْإِعْتِدَالُ فِي الزَّمَانِ

41 - وَجَالَتِ الرِّيحُ فِي الْأَشْجَارِ

وَسَقَطَ الْجُلُّ مِنَ الثَّمَارِ

42 - حِينَئِذٍ تَنْعَقِدُ الْأَزْهَارُ

وَزُخْرِفَتْ بِجُلِّهَا الثَّمَارُ

43 - كَذَلِكَ مِنْ بَعْدِ لِقَاحِ الْعِلْمِ

وَالْعَمَلِ الْأَزْهَارِ عِنْدَ الْقَوْمِ

44 - وَهُوَ ظُهُورُ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ

عَلَى الْجَوَارِحِ مَعَ الزِّيَادَةِ

45 - لِأَنَّ مَنْ صَحَّ لَهُ الْإِخْلَاصُ

صَحَّ لَهُ التَّحْصِيلُ وَالْخِلَاصُ

46 - وَحِكْمُ تَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ

وَطَاعَةُ تَجْرِي عَلَى أَرْكَانِهِ

(من 39 إلى 46) — لجأ الناظم إلى الاستعارة
ووصف ما يلاقيه المتصوفة من أهل الرياضة
والمجاهدة؛ فابتكر هذه الصورة التي تصف أعمال
المتصوفة ومسايعهم بما يجري في الأعمال الزراعيّة؛
حين يتطلب الأمر من الفلاح القيام بتلقيح أشجاره؛
لكي يجني ثمراً صالحاً.

فيقول الناظم أن الرياح تجري بين الأغصان؛
فتقل اللقاح في الأرجاء كافة؛ الأمر الذي يساعد
الأشجار على الإزهار؛ وذلك حينما يعتدل الطقس؛
ولكن الرياح تتسبب — أيضاً — في سقوط معظم
الثمار؛ ولا يبقى منها سوى ما كان صالحاً
ومتناسكاً. وهذا ينطبق — كذلك — على أهل العلم؛
إذ ينتج عن لقاح العلم إزهار العمل عندهم؛ فتظهر
علامات العلم والعبادة على الجوارح؛ لأن المخلصين في
أعمالهم هم الذين يجنون التحصيل، وينجون إلى عالم
الخلاص. ومن اكتسب ذلك؛ يرزق بالحكمة التي
ينطق بها لسانه، والطاعة التي تجري على أركانه.

47 — وَرُبَّمَا هَبَّتْ عَلَى الْأَعْمَالِ

رِيحُ الرِّيَا المُوْبِقِ¹ لِلرِّجَالِ

48 — فَتَحْبِطُ الجُلُّ مِنَ الطَّاعَاتِ

وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْآفَاتِ

¹ الموبق هو الحاجز بين شيئين.

- 49 - فَالْعَالِمُونَ فِي الْوَرَى كَثِيرٌ
وَالثَّابِتُونَ عَمَلًا يَسِيرٌ
50 - وَالْعَقْدُ لِلْأَعْمَالِ فِي الطَّرِيقَةِ
تُبُوْتُهَا بِالْحَالِ وَالْحَقِيقَةِ

(من 47 إلى 50) - وقد تتعرض الأعمال الصالحة لموجة من الرياء والتظاهر أمام الناس بتلك الأعمال؛ فتعطل فوائدها المرجوة، وتتعرض لجل المقاصد من الطاعات؛ وهذه هي الآفة الكبرى. وهكذا؛ فإن العاملين والمتدينين كثيرون؛ غير أن الذين يثبتون في أعمالهم ويتمسكون بدينهم قليلون. لذا فإن العبرة تكمن في ثبوت أهل الطريقة والتزامهم بالأعمال الصالحة؛ تلك الأعمال التي تثبتهم في وضع تسود فيه الحقيقة.

- 51 - فَرَبَّمَا هَبَّتْ رِيَا حُ الْعُجْبِ
وَنَحْوِهِ فِي عَرَصَاتِ الْقَلْبِ
52 - فَأَسْقَطَتْ مِنْ ذَلِكَ الْكَثِيرَا
وَتَرَكَتْ مِنْهُ زُهَى¹ يَسِيرَا
53 - إِلَّا قَلِيلًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
تَمَسَّكُوا فِيهَا بِحَبْلِ اللَّهِ

¹ زهى يسير: أي قدر يسير. إذ يقال: كانوا زهاء ألف.

54 - لَأَنَّهُمْ أَهْلُ شُهُودٍ مِنَّا
وَالطَّاعِنُ الْقَاطِعُ بِالْأَسْنَا

(من 51 إلى 54) - وقد تمهّب رياح العُجُوب
والكِبَر في حنايا القلب فيضطرب؛ عندئذ تتساقط
أعمال صالحة كثيرة وتتلاشى وتضمحل، ولا يبقى
منها سوى الشيء اليسير؛ بعد هبوب الرياح القوية.
ومع هذا؛ فلا سبيل إلى نكران ما كان عليه بعض
عباد الله الأتقياء؛ الذين تمسكوا بجبل الله؛ فنجوا
وكانوا بيننا شهوداً طاهرين. وكانوا ثابتين في
مواقفهم، قاطعين في أحكامهم؛ مثل السيوف الحادة
والأسنة المدببة.

55 - وَبَعْدَ أَنْ ثَبِتَ¹ ذَا الْمِقْدَارِ
فَفِي الصَّلَاحِ يَأْخُذُ الثَّمَارُ
56 - فَإِنْ جَنَاهَا رَبُّهَا بِالشُّهْرَةِ
لَنْ يَكْمُلَ الطَّيِّبُ لِتِلْكَ الثَّمَرَةِ
57 - وَحَيْثُ بِالْخُمُولِ قَدْ أَخْفَاهَا
فَبَلَغَتْ فِي الطَّيِّبِ مُنْتَهَاهَا
58 - تَمَّتْ وَمِنْ بَعْدِ كَمَالِ الطَّيِّبِ
إِنْ صَانَهَا بِالْحِظِّ وَالتَّرْيِبِ¹

¹ الكلمة هنا غير واضحة؛ ولكي يستقيم الوزن والمعنى يمكن وضع كلمة "انبت" بدلا من
"ثبت"

- 59 - بَتْرِكِ الْاِغْتِرَارِ وَالْاَمَانِي
 وَرَفْعِ سُورِ مُحْكَمِ الْبُنْيَانِ
 60 - تَزَخَّرَفْتَ وَحَسُنْتَ لِلزَّادِ
 وَنَالَ مِنْهَا غَايَةَ الْمُرَادِ
 61 - وَإِنْ يَكُنْ أَهْمَلَهَا فَتَقْرُبُ
 ثِمَارَهَا كُلَّ يَدٍ فَتَجْذِبُ
 62 - وَآلَ كَدُّهُ إِلَى الضِّيَاعِ
 إِذْ مَالَهُ فِيهَا مِنْ انْتِفَاعِ
 63 - وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْقَطَّاعِ
 مَا جَابَهَا غَيْرُفَتَى شُجَاعِ
 64 - مَا حَلَّ مِنْهَا بِسَنَامِ الطُّورِ
 إِلَّا امْرُؤٌ مُؤَيَّدٌ بِالنُّورِ

(من 55 إلى 64) - يعود الناظم إلى استعارة المعاني من محيطه الفلاحي؛ فيقول إذا صلح الثمار تحققت الاستفادة منه؛ على أن لا يجنى قبل الأوان. والمقصود بالثمار - هنا - هي ثمار الأعمال الصالحة؛ التي تُحفظ وتُخفى بالخمبول؛ إلى أن تصل في الطيب إلى حدود المنتهى. ويتحقق الغرض من ثمار العمل إذا اكتمل طيبها، وتم حفظها؛ برفع سور محكم البنيان.

¹ التزريب: الحفظ ببناء زريبة حول البستان. والزريبة في الأصل هي حضيرة المواشي أو عرين الأسد.

وثمار العمل كثمار الأشجار؛ تتحسن وتتلون بزخارف
 وألوان زاهية؛ فتغدو صالحة للزاد وجاهزة لتحقيق
 المراد. فإذا أهملت تناولتها الأيدي وعثت بها
 الطواريء؛ يضيع كد العاملين ويخب أملهم في الانتفاع
 بها. لذا لا يقدر على صيانة الثمار وحفظها سوى
 العاملين الصالحين المؤيدين بنور الحق والطهارة.

65 - وَأَعْلَمَ بِأَنَّ طُرُقَ التَّطْهِيرِ

كَثِيرَةٌ عِنْدَ ذَوِي التَّنْوِيرِ

66 - أَقْرَبُهَا نَفْعًا طَرِيقُ الذِّكْرِ

بِسُرْعَةٍ يُزِيلُ كُلَّ شَرِّ

67 - لَكِنَّ بَشْرَطِ الْخَوْفِ وَالْحُضُورِ¹

مَعَ ادِّكَارِ² هَيْبَةِ الْمَذْكُورِ

68 - مَنْ تَكَ الْغَفْلَةَ وَالْأَمَانَ

فِي ذِكْرِهِ حَجَبَهُ الشَّيْطَانُ

69 - وَحَالَ بَيْنَهُ وَيِّنَ رَبِّهِ

بِقَذْفِهِ وَسَاوِسًا فِي قَلْبِهِ

70 - وَأَحْدَقَتْ بِقَلْبِهِ غِشَاوَةٌ

فَلَمْ يَذُقْ لِذِكْرِهِ حَالَاوَةً

¹ الخوف: هو: ((من مواهب الله)) كما يقول ابن خلدون. وهو: ((توقع وقوع مكروه أو فوات محبوب)) كما يصفه الجرجاني. أنظر شفاء السائل لتهديب المسائل، ص: 99. أما الحضور: فيقول فيه ابن العربي: ((حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق)). نفسه، ص: 98.

² ادكر: ذكر. قال تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)). سورة القمر، الآية: 17.

71 - كَمْ بَاذِلٍ قُؤَاهُ فِي الْأَذْكَارِ
وَلَمْ يَجِدْ لِلذُّكْرِ مِنْ ثَمَارِ
72 - وَذَاكَ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
يَهِيْجُ بِالْغَفْلَةِ وَالْأَمَانِ

(من 65 إلى 72) - يعالج الناظم في هذه الأبيات موضوع الأذكار؛ فيضع لها شروطاً منها: قوله بأن للتطير طرقاً وأساليب عديدة عند أهل التنوير والصلاح؛ وأهم تلك الطرق وأقربها نفعاً هي طريق الذكر؛ الذي يزيل بسرعة كل ما استتر وخفي عن البصيرة. وثمة شروط للذكر الصحيح؛ منها: الخوف من الله وإحلال هيئته في القلب، ثم الحضور؛ أي في صحوة وتجلي. لأن من استأمن للغفلة في ذكره؛ تصدى له الشيطان وحجبه عن نور الحق، وحال بينه وبين ربه؛ بواسطة ما يث في قلبه من وساوس وأوهام. وبذلك تصيب قلب المتبلي بالوسواس غشاوة حاجبة؛ فتلغي عنه كل حلاوة وطلاوة في الذكر. وهذا الأمر واضح؛ إذ ثمة من بذل كل قواه في الأذكار دون أن يحصل منها على ثمار طيبة أو نتيجة صالحة. وكل ذلك بسبب وساوس الشيطان؛ الذي ينشط باستكانة الناس للغفلة.

- 73 - فَعَالِجِ الْخَوَاطِرِ الرَّدِيَّةِ
 بِالذَّفْعِ فَهِيَ حُجْبٌ قَوِيَّةٌ
- 74 - هَلْ يَرْتَقِي لِسُلْمِ الْمَعَالِي
 مَنْ قَلْبُهُ فِي عَالَمِ الْخِيَالِ
- 75 - لَنْ يَسْتَقِيمَ الْقَلْبُ لِلتَّوْجِيهِ
 مَا دَامَ هَذَا الْهَذْيَانُ فِيهِ
- 76 - كَيْفَ يَصِحُّ فَتْحُ بَابِ الْقُدْسِ
 مَا دَامَ فِي الْقَلْبِ غَيَارُ النَّفْسِ
- 77 - مُدَّةَ مَا لَيْلُ الْهَوَى يَعْشَاهُ
 لَنْ يَصِلَ الْقَلْبُ إِلَى مَوْلَاهُ
- 78 - حَتَّى إِذَا نَهَارُهُ تَجَلَّى
 بِفَتْحِ بَابِ الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى

(من 73 إلى 78) - ينصح الناظم القارئ بضرورة معالجة ما يتعرض له من خواطر رديئة وفاسدة؛ وذلك بتركها ودفعها عنه؛ لأنها عبارة عن حجب شديدة. ثم يتساءل: هل يمكن لمن يمتلك الخيال قلبه أن يرتقي في سلم المعالي؟ ثم يجيب بالنفي، ويقول: لن يستقيم القلب، ولا يقبل التوجيه مادام الهذيان يمتلكه ويحتويه. ثم يتساءل أيضاً: كيف يتسنى فتح باب الطهارة والقداسة ما دام القلب

مضطرب بتغيرات النفس.؟ لأن القلب إذا احتواه ظلام
الهوى؛ لن يقترب من الله.

79 – مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أَنْ لَا يَسْقُطَ

بَعْضُ حُرُوفِ الْأَسْمِ أَوْ يُفْرَطَ

80 – فِي الْبَعْضِ مِنْ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَةِ

عَمْدًا فَتَلْكَ بَدْعَةٌ شَنِيعَةٌ

81 – وَالرَّقْصُ وَالصُّرَاخُ وَالتَّصْفِيقُ

عَمْدًا بِذِكْرِ اللَّهِ لَا يَلِيقُ

82 – وَإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ فِي الْأَذْكَارِ

الذِّكْرُ بِالْخُشُوعِ وَالْوَقَارِ

83 – وَغَيْرُ ذَا حَرَكَةٍ نَفْسِيَّةٍ

إِلَّا مَعَ الْغَلْبَةِ الْقَوِيَّةِ

84 – فَوَاجِبٌ تَنْزِيهُهُ ذِكْرَ اللَّهِ

عَلَى اللَّيْبِ الذَّاكِرِ الْأَوَّاهِ

85 – عَنْ كُلِّ مَا تَفَعَّلَهُ أَهْلُ الْبِدْعِ

وَيَقْتَدِي بِفِعْلِ أَرْبَابِ الْوَرَعِ

(من 79 إلى 85) – في البيتين الأولين يشير الناظم

إلى الذين يسقطون بعض الحروف من اسم الله أثناء

أداء الذكر بسرعة ودون ترو؛ مثل إسقاطهم حرف

الهاء بقولهم "أل" عوضاً عن كلمة "الله". ويرى

بأن هذا الأمر يدخل في إطار البدعة الشنيعة. كما يرى في الآيات التالية أن الرقص والصراخ والتصفيق أثناء الذكر لا يجوز ولا يليق؛ لأن الأذكار تتطلب من الذاكر الخشوع. وكل ما أحل بشرط الخشوع لا يعدو أن يكون سوى اضطراب نفسي يتغلب على الإنسان. وعليه فمن الواجب أن ننزه ذكر الله ونجله ونبتعد به عن كل الأفعال الصادرة عن أهل البدع، وبالمقابل نقتدي بما يفعله أصحاب الورع والتقوى.

86 – فَقَدْ رَأَيْنَا فِرْقَةً إِذْ ذَكَرُوا

تَبَدَّعُوا وَرَبَّمَا قَدْ كَفَرُوا

87 – وَصَنَعُوا فِي الذِّكْرِ صُنْعًا مُنْكَرًا

طَبَعًا فَجَاهِدْنَهُمْ جِهَادًا أَكْبَرًا

88 – خَلَوْا مِنْ اسْمِ اللَّهِ حَرْفَ الْهَاءِ

وَأَلْحَدُوا فِي أَعْظَمِ الْأَسْمَاءِ

89 – لَقَدْ أَتَوْا وَاللَّهِ شَيْئًا إِدًّا

تَخِرُّ مِنْهُ الشَّامِخَاتِ هَدًّا

90 – وَالْأَلْفُ الْمَحذُوفِ قَبْلَ الْهَاءِ

قَدْ اسْقَطُوا وَهُوَ ذُو خَفَاءِ

91 – وَغَيْرُهُمْ إِسْقَاطُهُ فِي الْخَطِّ

فَكُلُّ مَنْ يَتْرُكُهُ فَمُخْطِ

- 92 - قَدْ غَيَّرُوا اسْمَ اللَّهِ جَلًّا وَعَلَاً
 وَزَعَمُوا نَيْلَ الْمَرَاتِبِ الْعُلَاً
- 93 - تَغْرُهُمْ مَذَاقَةٌ طَبِيعِيَّةٌ
 سَبَّبَهَا حَرَكَةُ نَفْسِيَّةٍ
- 94 - فَزَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ أَسْرَارًا
 وَأَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْوَارًا
- 95 - وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ أَحْوَالًا
 وَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوا الْكَمَالَ
- 96 - وَالْقَوْمُ لَا يَدْرُونَ مَا الْأَحْوَالُ
 وَكَوْنُهَا لِمِثْلِهِمْ مُحَالٌ
- 97 - حَاشَا بَسَاطَ الْقُدْسِ وَالْكَمَالِ
 تَطَوُّهُ حَوَافِرُ الْجُهَّالِ

(من 86 إلى 97) - يشير الناظم في هذه الآيات إلى بعض أهل الذكر من المبتدعة؛ فيدعوا إلى مجاهدتهم ومكافحتهم؛ إذ يعتقد في احتمال كفرهم؛ لأنهم اتبعوا المنكر من الأفعال؛ حين حذفوا حرف الهاء من اسم الله جل وعلى، ثم تخلوا عن الألف التي تأتي قبل الهاء أيضاً؛ لأن هذه الألف لا يجوز تركها في النطق أو في الخط كذلك؛ بحيث تصبح "له" بدلاً من "الله". وقد زعم هؤلاء المبتدعة أن لهم أسراراً

وأن قلوبهم مشحونة بأنوار المعرفة؛ كما زعموا أيضاً
أن لهم أحوالاً؛ أي بعض الصفات والمواهب المبتوتة
فيهم من الله سبحانه وتعالى؛ وبها تمكنوا من
الوصول إلى درجة الكمال. بينما الواقع يقول غير
ذلك؛ لأن هؤلاء القوم لا يدرون ماهية الأحوال في
المصطلح الصوفي؛ إذ أنها مثلهم محال؛ وحاشا بساط
القدس والكمال الطاهر أن يُدنَّس بجوافر الجاهلين من
العباد المشابهين للحيوانات العجم.

98 - قَدْ ادَّعَوْا مِنَ الْكَمَالِ مُنْتَهَى

يَكِلُّ عَنْ تَحْصِيلِهِ أَوْلُوا النُّهَى

99 - وَالْجَاهِلُونَ كَالْحَمِيرِ الْمُكِفِّهِ

وَالْعَارِفُونَ سَادَةً مُشْرِفِّهِ

100 - وَهَلْ يُرَى بِسَاحِلِ الْأَنْوَارِ

مَنْ لَجَّ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ سَارِ

(من 98 إلى 100) - يقول لأولئك المبتدعة الذين

ينسبون لأنفسهم مرتبة الكمال؛ التي يعجز عن
الوصول إليها أصحاب العقول الراجحة: أن العباد
الجاهلون مثل الحمير بحملها وعملها. أما العارفون
فهم سادة وأشراف. ثم يتساءل: هل يمكن للذي
تمادى في السير داخل بحار الظلام أن يرى ضمن
سواحل الأنوار رؤية جلية؟.

- 101 – وَقَالَ بَعْضُ سَادَةِ الْمُتَّبِعَةِ
 فِي رَجَزٍ يَهْجُوا بِهِ الْمُبتَدِعَةَ
 102 – وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ بِالتَّغْيِيرِ
 وَيَشْطَحُونَ الشَّطْحَ¹ كَالْحَمِيرِ
 103 – وَيَنْبَحُونَ النَّبْحَ كَالْكِلَابِ
 مَذْهَبُهُمْ لَيْسَ عَلَى صَوَابٍ

(من 101 إلى 103) – ذكر الناظم: أن بعض السادة العلماء المتبوعين قالوا رجزاً منظوماً هجوا فيه أهل البدع ممن أولعوا بالتغيير وانساقوا وراء الشطح في الأقوال والأفعال؛ برعونة كالحمير. كما تكالبوا بالنبح كالكلاب؛ معلنين عن مذهبهم المخالف الذي حاد عن الصواب.

- 104 – قُلْتُ وَشَاعَ أَمْرُ الإِشْتِبَاهِ²
 فِي المُتْرَاسِلِينَ فِي اسْمِ اللَّهِ
 105 – فَمَنْ يَكُنْ مُشْتَهَرًا بِالدُّكْرِ
 بِشَرِّطِهِ عَنِ خَشْيَةِ وَفِكْرِ

¹ يقول ابن خلدون في معنى الشطح عند المتصوفة: ((وإن صدر عن أحد منهم [أي المتصوفة] كلمة من ذلك [أي موضوع المكاشفة] على سبيل النذور سموه شطحاً؛ بمعنى أن حال الغيبة والسكر استولت عليه حتى تكلم بما ليس له الكلام به)). شفاء السالك لتهديب المسالك، ص: 48 – 49. ويقول الجرجاني في الشطح أيضاً: ((كلمة عليها راحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين)). نفسه، ص: 112.

² نقول: اشتبه الأمر عليهم: أي اختلط. واشتبه في المسألة: شك في صحتها.

- 106 – جَرَى لِسَانُهُ عَلَى الْأَذْكَارِ
وَأَمْطَرَتْ سَحَائِبُ الْأَنْوَارِ
- 107 – حَتَّى إِذَا امْتَزَجَتْ الْأَذْكَارُ
بِالْقُلُوبِ وَاسْتَنَارَتْ الْأَفْكَارُ
- 108 – تَأَنَسَّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ اللَّهِ
وَصَارَ طُولَ الدَّهْرِ لَيْسَ سَاهٍ
- 109 – حَتَّى إِذَا اسْتَنَارَتْ السَّرِيرَةُ
وَأَبْثَّ مَعْنَى الذِّكْرِ فِي الْبَصِيرَةِ
- 110 – وَأَنْغَرَسَتْ فِي وَسْطِ الْجَنَانِ
شَجَرَةٌ تَرُوقُ كُلَّ جَانِ
- 111 – دَائِمَةَ الظُّلَالِ وَالْثَّمَارِ
وَتَحْتَهَا جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ

(من 104 إلى 111) – ففي هذه الآيات يصف الناظم الذين يلتزمون بالذكر الصحيح فيقول: لَمَّا شاع الاشتباه؛ باختلاط الأمر والشك فيما يجري في الذكر؛ من إرسال وإهمال لاسم الله. لذا فإن الذين التزموا بالذكر الصحيح عن خشية وتمعن؛ توصلوا إلى تحقيق سيولة في ألسنتهم؛ التي جرت بالذكر فاستنارت القلوب بالأفكار النيرة، وانهمرت السحب بالأنوار الكاشفة؛ فاستأنست القلوب بذكر الله، وصححت من غفوتها طويلاً. ومن هنا استنارت

السريرة بيت المعنى الصحيح للذكر في البصيرة. ثم يعود الناظم لمحيطه الفلاحي فيشبهه العمل الصالح والذكر الصحيح بشجرة مثمرة؛ حيث يقول: أن الشجرة الدائمة الظلال والثمار؛ تعجب كل راغب في قطف ثمارها؛ تلك الشجرة التي انغرست في بستان به جداول وأنهار تجري تحت الشجرة.

112 – وَأَنْقَطَعَتْ عَلَائِقُ الشَّيْطَانِ

وَوَظَّهَرَتْ بَصِيرَةُ الْإِنْسَانِ

113 – وَنُقِشَتْ فِي قَلْبِهِ عُلُومٌ

وَأَيَّدَتْ فِي سِرِّهِ فَهُومٌ

114 – وَلَانَ قَلْبُهُ وَقَدْ أَصَابَا

فِي الْقَلْبِ نَحْوَ الْمَلَكُوتِ بَابَا

115 – فَأَيْنَ مَنْ أَلْقَى نَعَالَ النَّفْسِ

إِذَ حَلَّ فِي شَاطِئِ وَادِ الْقُدْسِ

116 – وَأَنَسَ النُّورَ بِذَاكَ الْوَادِي

يَفُوزُ مِنْ شَجَرَةِ الْمُنَادِي

117 – إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوى

فَيَكْتَسِي مِنْ حُلْلِ النُّورِ قُوى

118 – وَرُبَّمَا يُجْرِي بِهِ سَحَابَا

يَفِيضُ فِي أَرْجَائِهِ شَرَابَا

119 – فَيَمْتَلِئُ الصَّبُّ مِنْهُ شُرْبَا

فَيَسْتَزِيدُ طَرْبَا وَحَبَا

(من 112 إلى 119) – فإذا التزم الناس بالذكر الصحيح وقاموا بصالح الأعمال؛ انقطعت كل علاقة مع الشيطان؛ حيث تتجلى البصيرة السديدة للإنسان؛ فترسخ في قلبه العلوم الصالحة المفيدة؛ بما منحه الله من قدرة على استيعابها بفضل سر الفهم لديه؛ فيصيب قلبه الهدف في اتجاه ملكوت الله. ثم يتساءل الناظم موظفاً خبر موسى عليه السلام؛ حين رأى في الوادي المقدس نوراً؛ حيث كلمه ربه وتلقى منه الرسالة.¹ ثم يفترض أنه في الإمكان تلقي نور المعرفة واليقين بواسطة الذكر السليم؛ فيكتسي قلب الذاكر بالنور المبين، ويرتوي فيضاً من الهداية المنهمر من السحب المعطاءة؛ فيزيده ذلك طرباً وحباً.

120 – وَرَبَّمَا خَامِرَةَ التَّمَلِّيِّ

فَتَعْتَرِيهِ صَعْقَةٌ التَّجَلِّيِّ

121 – إِذْ ذَاكَ فَالْيَفْزَعُ إِلَى الصَّلَاةِ

فَإِنَّهَا تُفْضِي إِلَى النَّجَاةِ

122 – إِيَّاهُ أَنْ يَغُرَّهُ الْخِيَالُ

فَيَزْدَرِي بِقَلْبِهِ الْخِتَّالُ

¹ جاء في القرآن الكريم: ((وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى)). سورة طه، الآيات: من 9 إلى

123 – فَرُبَّ سَالِكٍ رَأَى سَرَابًا
بَقِيَعَةً يَظُنُّهُ شَرَابًا

(من 120 إلى 123) – وقد يخالط الإنسان –
خلال الذكر – امتلاء وضجر، وتداخله السامة؛ فما
عليه عندئذ سوى الإسراع لأداء الصلاة؛ إذ بها ينجس
من المصائب والآفات. ومن هنا يتوجب عليه الحذر
من الاغترار بالخيال؛ الأمر الذي يؤدي به إلى ازدياد
غيره بواسطة قلبه المخادع. ثم ضرب مثلاً؛ بذلك
السالك في الطريق الذي يرى سراباً بأرض واسعة
سهلة فيضنه ماء للشرب.

124 – يَا جَاهِلًا بِمَنْصِبِ الْكَمَالِ
وَطَالِبًا حَظِيضَ الْإِنْسِفَالِ
125 – أَلَسْتَ ذَا عَقْلٍ وَذَا بَصِيرَةٍ
أَمْ لَمْ تَكُنْ مُنُورَ السَّرِيرَةِ
126 – حُجِبْتَ بِالْعَلَائِقِ النَّفْسِيَّةِ
عَنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْقُدْسِيَّةِ
127 – رَضِيْتَ بِالْمَرَاتِبِ الْخَسِيسَةِ
لِجَهْلِكَ الْمَرَاتِبِ النَّفِيسَةِ

(من 124 إلى 127) – وجه الناظم نداءه إلى الذي
يجهل مرتبة الكمال؛ التي هي الحال الكامل، والطهارة

التامة؛ بينما يجرى وراء المراتب الدنيا والمنازل السفلى.
ثم يقول له متسائلاً: أليس لك عقل وبصيرة
تستنير بهما سريرتك؟! لقد حجبت عنك المراتب
الطاهرة المقدسة بسبب الأهواء النفسية. لذا فقد
اكتفيت - راضياً - بالمراتب الدنيئة الخسيسة؛ نظراً
لجهلك بالمراتب النفسية التريهة.

128 - دَوَائِرُ الْحِسِّ¹ عَلَيْكَ مُطَبَّقَةٌ

وَحَضْرَةُ الْكَمَالِ عَنْكَ مُغْلَقَةٌ

129 - يَا مُوَلَعًا بِالْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ

وَجَاهِلًا بِالْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ

130 - فَكَمْ خَدَمْتَ الْجِسْمَ يَا بَطَّالُ

وَلَسْتَ مِنْ خِدْمَتِهِ تَنَالُ

131 - هَلَّا خَدَمْتَ الرُّوحَ يَا مَعْرُورُ

هَيْهَاتَ قَدْ حُجِبَ عَنْكَ النُّورُ

132 - يَا جَاهِلًا بِعَالَمِ الأَرْوَاحِ

حُجِبَ عَنْكَ السِّرُّ² بِالأَشْبَاحِ

133 - فَلَوْ عَلِمْتَ هَذِهِ التَّجَارَةَ

لَمْ تَعْتَبِرْ مِنْ دُونِهَا خَسَارَةَ

¹ الحس عند الفلاسفة هو ((الإدراك بإحدى الحواس، أو الفعل الذي تؤديه إحدى الحواس، أو الوظيفة النفسية الفيزيولوجية التي تدرك أنواعاً مختلفة من الإحساس؛ تقول الحس اللمسي والحس البصري.. إلخ.)). المعجم الفلسفي، ج: 1؛ ص: 467.

² يقول الجرجاني عن "السِرِّ": ((لطفة مودعة في القلب كالروح في البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة)). شفاء السائل، ص: 101.

(من 128 إلى 133) – ويكمل الناظم كلامه الموجه للجاهل المقصر في حق الله، وفي حق نفسه؛ فيقول له: إنك محصور ضمن دائرة ضيقة وهي دائرة الحس المرتبط بالوظيفة الجسمية. بينما تجد نفسك في عزلة عن حضرة الكمال؛ لأن دائرتها تغلق في وجهك. ثم يضيف منادياً إياه ومؤنباً: يا أيها المفتون المولع بالجسم وما يرتبط به؛ وبالمقابل تجهل عالم الروح وأسرارها؛ كم مرة وضعت نفسك في خدمة جسمك واخترت سبيل البطالة والعجز؟ هل تعلم أنك لن تنال شيئاً من خدمتك للجسم؟ أليس الأفضل لك يا مغرور؛ لو أنك قمت بخدمة الروح؛ ولكن هيهات هيهات؛ فقد حجب عنك نور المعرفة. ثم يسترسل قائلاً: يا أيها الجاهل بعالم الأرواح وأسرارها؛ فقد حجب عنك السر؛ تلك اللطيفة محل المشاهدة المودعة في القلب؛ بسبب ما تراه من أشباح وأوهام. فإن رغبت في الكسب فطرق الكسب والخسارة واضحة جلية.

134 – يَا جَاهِلًا بِقَلْبِهِ وَمَا حَوَى

مُشْتَغِلًا بِالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى

135 – لَوْ غُصَّتْ فِي بَحْرِكَ يَا مَعْرُورًا

وَجَدْتَ فِيهِ لَوْلُؤًا مَثُورًا

136 – وَلَوْ تَرَكْتَ الْعَالَمَ الْجِسْمَانِي
لَذُقْتَ سِرَّ الْعَالَمِ الرُّوحَانِي

(من 134 إلى 136) – يستمر الناظم في ندائه
قائلاً: يا أيها الجاهل بما يحتويه قلبه من الأسرار؛
ويا أيها المشتغل بمغريات الشهوات وبريق الهوى
الخداع؛ لو أنك تأملت بعمق في محتوى قلبك،
وغصت في بحر أسراره؛ لوجدت فيه جواهر ثمينة
تفيدك في دار القرار. ولو أنك أيضاً ابتعدت عن
مغريات العالم الجسماني لتمتعت بطعم سر العالم
الروحاني.

137 – وَكُلُّ مَشْغُولٍ بِعَالَمِ الْجَسَدِ
فَذَاكَ مَحْجُوبٌ عَنِ اللَّهِ الصَّمَدِ

138 – فَلْتَشْتَغِلْ بِالْعَالَمِ الرُّوحَانِي
وَأَتْرُكْ سَبِيلَ الْعَالَمِ الْجِسْمَانِي

139 – وَأَخْرِقْ حِجَابَ النَّفْسِ بَعْدَ الْجِسْمِ
تَرَى الْكَمَالَ فِي سَاطِ الْعِلْمِ

140 – فَمَنْ سَعَى فِي خِدْمَةِ الْمَوْضُوعِ
فَذَاكَ مَحْجُوبٌ عَنِ الطُّلُوعِ

141 – إِذْ أَوَّلَ السُّلُوكِ تَرَكُ ذَالِكَ
وَبَعْدَهُ يَسْأَلُكَ فِي الْمَسَائِلِ

- 142 – نَعَمْ بِقُدْرَةِ الْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ
لَمْ تَتَّصِلْ بِالْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ
- 143 – فَأَبْذُلْ قُوَاكَ فِي صَلَاحِ النَّفْسِ
مِنْ كُلِّ وَصْمَةٍ بِهَا وَكُؤْسِ
- 144 – حَتَّى إِذَا صَحَّتْ سَمَاءُ السَّرِّ
بِأَسْرَهَا عَنْ طَبَقَاتِ السُّرْرِ
- 145 – فَعِنْدَهُ شَمْسُ شُهُودِ الْحَقِّ
مُشْرِقَةً عَلَى بُرُوجِ الصِّدْقِ

(من 137 إلى 145) – يقطع الناظم ويجزم بحجب المفتونين بعالم الجسد عن مشاهدة الأنوار الإلهية. لذا فهو يدعوهم إلى الاعتناء بالعالم الروحاني؛ وترك السبل المؤدية إلى العالم الجسماني. ثم يدعو إلى خرق حجاب النفس؛ بعد أن يتم خرق حجاب الجسم؛ وبذلك يتحقق الكمال الذي يتوج رحاب العلم والمعرفة. فالموضوع الجسماني إن سعى إليه أحدهم يُحجَّب ولا يظهر. لذا فأول ما يجب القيام به هو ترك مغريات النفس، ثم الشروع في العمل على قطع المسالك المؤدية للحضرة القدسية؛ بواسطة القدرة النفسية المتحكمة في الإرادة. وعليه فالناظم يدعو إلى بذل الجهد وشحن القوى من أجل إصلاح النفس، وتقويمها وتطهيرها من كل شائبة أو وصمة أو شبهة.

فإذا صحت سماء السر الذي في القلب، وتجلت بأسرارها المنبثقة من طبقات الستر. تنجلي الشمس المنيرة بشهود الحق بارزة من بروج الصدق.

146 – هِيَهَاتَ أَنْ يَطَا¹ بَسَاطَ الْقُدْسِ

مُكَبَّلٌ بِشَهَوَاتِ النَّفْسِ

147 – هِيَهَاتَ أَنْ يَطَا بَسَاطَ الْأَحْمَقِ

كَيْفَ يَنَالُ السِّرَّ مَنْ لَا يُصَدِّقُ

148 – هِيَهَاتَ أَنْ يَرْقَى الْمَقَامَ الْعَالِيَا

مَنْ كَانَ لِلنَّفْسِ مُطِيعاً تَالِيَا

149 – فَهَلْ يَطَا مَسَاجِدَ الْإِنَابَةِ²

مَنْ لَمْ يَزَلْ بِحَدَثِ الْجَنَابَةِ

150 – كَيْفَ تُفِيدُ الشَّكْلَ مِرَاةَ الصِّدَا

أَمْ كَيْفَ تَعْشُو مُقْلَةً فِيهَا الْقَدَا

(من 146 إلى 150) – يستبعد الناظم – على من

قَيَّدَ بِشَهَوَاتِ النَّفْسِ – أن يصل موصل الكمال، ويطأ بساط الطهارة والتراهة. ويستبعد – أيضاً – أن يَطَا ذلك البساط من وصف بالحمق؛ وعليه فكيف يحظى بامتلاك السر من لا يصدق بالحقيقة؟ ويستبعد

¹ تُقْرَأُ هَكَذَا – بدون همزة – للضرورة الشعرية.

² نقول: ناب إلى الله: بمعنى تاب. وناب فلان: لزم الطاعة لله. ومساجد الإنابة هنا تعني: مساجد الطاعة والتوبة.

— كذلك — أن يرتقي إلى المراتب العليا من سَلَمِ أمره
لمتطلبات النفس. ثم يتساءل: هل يجوز للمجنب أن
يدخل مساجد الطاعة والتوبة ويطأها بقدميه
النجستين؟. فكيف لمراة يعلوها الصدا أن تُظهِرَ
الشكل المعكوس فيها بوضوح؟ أو كيف لمقلة العين
التي تعاني من القذى أن ترى في الظلام؟

151 — عَجِبْتُ مِنْ مُسَافِرٍ يَشْكُو الظَّمَا

وَحَوْلَهُ عَذْبُ فُرَاتٍ أَيُّ مَا

152 — مَا حَلَّ وَفَدُّ الرَّاصِدِينَ مَرَّصَدًا

وَرَامَ حِزْبُ الْوَارِدِينَ مَوْرِدًا

153 — إِلَّا بِأَخْمَاصِ الْبُطُونِ وَالسَّهَرِ

وَالصَّمْتِ وَالْعُزْلَةِ عَنْ كُلِّ الْبَشَرِ

154 — وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَتَقْصِيرِ الْأَمَلِ

وَفِكْرَةِ الْقَلْبِ وَكَثْرَةِ الْعَمَلِ

155 — وَالْخَوْفِ وَالذِّكْرِ بِكُلِّ حَالِ

وَالصَّبْرِ وَالْقُوتِ مِنَ الْحَالِ

156 — وَفِعْلِ أَنْوَاعِ الْمُعَامَلَاتِ

وَفِعْلِ أَرْكَانِ الْمُجَاهَدَاتِ

157 — مِنْ بَعْدِ تَحْصِيلِ فُرُوضِ الْعَيْنِ

عِلْمًا وَأَعْمَالًا مِنْ غَيْرِ مِيْنِ

(من 151 إلى 157) — يضع الناظم في هذه الأبيات الشروط الواجب إتباعها من طرف السالك في طريق التصوف. فيبدأ بالتعجب من المسافر في تلك الطريق؛ وهو يشكو من الحاجة، ومن الضمأ؛ في الوقت الذي تتواجد حوله مياه متناهية العذوبة. ثم يجزم أنه لا يمكن تحقيق الهدف والوصول إلى المعين الدافق إلا بتحقيق عدة شروط منها: جوع البطون، وسهر الليالي، والصمت بالصيام عن الكلام، والعزلة عن الناس، والزهد في الدنيا، وتقصير الأمل في أمور الدنيا، والتفكير في شئون القلب والروح، والإكثار من الأعمال الصالحة، والخوف من العاقبة، ولزوم الذكر في جميع الأحوال والظروف، والصبر على المكارهِ والشدائد، وتناول من الطعام ما يسد القوت فقط على أن يكون ذلك من الحلال. وفعل الخير والإكثار من المعاملات الهادفة والصالحة، والتقيد بأركان المجاهدات من: تقوى واستقامة وكشف؛ كل ذلك يقوم به السالك بعد أن يقوم بفروض العين على أحسن وجه علماً وعملاً دون تردد أو تلاكؤ.

158 — فَأَيْنَ حَالُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ

مِنْ سُوءِ حَالِ فَقَرَاءِ الْيَوْمِ

159 — قَدْ ادَّعَوْا مَرَاتِباً جَلِيلَةً

وَالشَّرْعُ قَدْ تَجَنَّبُوا سَبِيلَهُ

- 160 – قَدْ نَبَذُوا شَرِيعَةَ الرَّسُولِ
فَالْقَوْمُ قَدْ حَادُوا عَنِ السَّبِيلِ
- 161 – لَمْ يَدْخُلُوا دَائِرَةَ الطَّرِيقَةِ
فَضَلَّاءٌ عَنِ دَائِرَةِ الْحَقِيقَةِ
- 162 – لَمْ يَقْتَدُوا بِسَيِّدِ الْأَنْامِ
فَخَرَجُوا عَنِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ
- 163 – لَمْ يَدْخُلُوا دَائِرَةَ الشَّرِيعَةِ
وَأَوْلَعُوا بِبِدْعِ شَنِيعَةٍ
- 164 – لَمْ يَعْمَلُوا بِمُقْتَضَى الْكِتَابِ
وَسَنَّةِ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ
- 165 – قَدْ مَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ أَوْهَامٌ
فَالْقَوْمُ إِبْلِيسٌ لَهُمْ إِمَامٌ
- 166 – كَفَاكَ فِي جَمِيعِهِمْ خِيَانَةٌ
إِنْ اخْتَالُوا الدُّنْيَا بِالذِّيَانَةِ
- 167 – وَأَنْتَهَكُوا مَحَارِمَ الشَّرِيعَةِ
وَسَلَكُوا مَسَالِكَ الْخَدِيعَةِ
- 168 – مَنْ كَانَ فِي نَيْلِ الْكَمَالِ رَاجِيًا
وَعَنِ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ نَائِيًا
- 169 – فَإِنَّهُ مُلَبَّسٌ مَفْتُونٌ
وَعَقْلُهُ مُخْتَبَلٌ مَجْنُونٌ
- 170 – هَذَا مُحَالٌ لَا يَصِحُّ أَبَدًا
لَأَنَّ سَيِّدَ الْوَرَى بَابُ الْهُدَى

(من 158 إلى 170) – يصف الناظم في هذه الأبيات أحوال المخالفين المبتدعة بقوله: أين هو حال من توفرت فيهم الشروط السابقة من المتصوفة الأتقياء؟ أين هم أمام حال أديعاء اليوم الذين يدعون لأنفسهم مراتب جليلة؟ بينما نراهم قد تجنبوا سبل الشرع بمخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهؤلاء لا يمكن اعتبارهم من أهل التصوف لأنهم تكبروا للحقيقة. ذلك لأنهم لم يقتدوا برسول الله ﷺ فخرجوا بسبب ذلك عن الدين الإسلامي. كما أنهم لم يدخلوا في نطاق الشريعة، وفضلوا الانسياق خلف البدع والأعمال الشنيعة. ثم أنهم لم يلتزموا بما ورد في كتاب الله، ولا بسنة نبيه محمد الهادي عليه السلام. لقد أصيبوا بأوهام تملك قلوبهم؛ لأن إبليس اللعين أصبح لهم إمام وقدوة. ويكفيهم عصياناً أنهم سلكوا طريق الخيانة؛ باختيارهم للمغريات الدنيوية بدلاً من الالتزام بالدين وحدود الله. حيث أنهم انتهكوا المحرمات التي قالت بها الشريعة، وساروا في طريق الخداع والرديلة. ثم يقرر بعد ذلك قائلاً: من كان يرجوا الوصول إلى درجة الكمال؛ بينما هو بعيد عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا بد أنه مفتون، وعقله

غير سليم ومجنون. ثم يصرح بقوله: هذا الأمر محال ولا يمكن أن يحدث؛ لأنه لا يصح، ولن يتم أبداً؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب الهداية ومفتاحها.

171 – وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ

مَقَالَةً صَادِقَةً جَلِيَّةً

172 – إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَطِيرُ

أَوْ فَوْقَ مَاءِ الْبَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

173 – وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ

فَأَنَّهُ مُسْتَدْرِجٌ وَبِدْعِي

174 – وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَارِقَ الرَّبَّانِي

لَتَابِعُ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ

175 – وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْإِفْكِ وَالصَّوَابِ

يُعْرَفُ بِالسُّنَّةِ وَالْكِتَابِ

176 – وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الْأُمُورِ كُلِّهَا

وَشَاهِدٌ لِأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

177 – وَالشَّرْعُ نُورُ الْحَقِّ مِنْهُ قَدْ بَدَأَ

وَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْهُدَى

(من 171 إلى 177) – يشير الناظم إلى قول بعض

السادة من المتصوفة الصادقين؛ جاء فيه: لا تصدق

أهل البدع الذين لا يلتزمون بحدود الشرع؛ مهما

حاولوا خداعك باستدراجاتهم وألغى بهم؛ حتى وإن رأيت أحدهم يطير في السماء أو يسير فوق موج البحر؛ فلا تصدقه؛ لأنه في الحقيقة مشعوذ دجال. ذلك لأن الخوارق الربانية لا تتعارض مع سنة رسول الله وتعاليم القرآن الكريم؛ بل هي تابعة لهما وصادرة عنهما. لذا فالكذب والصواب يتقرران بمقياس السنة والقرآن. فالشرع هو ميزان الأمور كافة؛ إذ يعتبر شاهداً على أصولها وفروعها. والشرع أيضاً يتجلى منه نور الحق، وتنفجر من خلاله ينابيع الهداية والتقوى.

178 – وَقَالَ بَعْضُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ

السَّالِكِينَ بِصِرَاطِ اللَّهِ

179 – مَنْ ادَّعَى مَرَاتِبَ الْجَمَالِ

وَلَمْ يَقُمْ بِأَدَبِ الْجَلَالِ

180 – فَارْفُضْهُ إِنَّمَا الْفَتَى دَجَالٌ

لَيْسَ لَهُ التَّحْقِيقُ وَالْكَمَالُ

181 – وَمَنْ تَحَلَّى بِحُلَى الْمَعَالِي

وَبِحُدُودِ اللَّهِ لَمْ يُيَالِ

182 – فَفِرَّ مِنْهُ إِنَّهُ شَيْطَانٌ

مُخَادِعٌ مُلَبَّسٌ خَوَانٌ

183 – يَا صَاحِ لَا تَعْبَأْ بِهِؤُلَاءِ

ذَوِي الْخَنَى وَالزُّورِ وَالْأَهْوَاءِ

184 – بَاعُوا بِسُخْطٍ وَضَلَالٍ وَقَلَى

لَمْ يَبْلُغُوا مَرَاتِبَ الْمَجْدِ إِلَى

185 – إِنْ تَنْظُرِ الْبَهْمُوتِ بِالْعَرْشِ يُنَاطُ

أَوْ يَلِجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ

(من 178 إلى 185) – يشير الناظم إلى قول بعض

الأولياء الصالحين القائمين بحدود الله فيقول: لا بد لمن يدعي جمال الخلق أن يلتزم بالآداب الجليلة المقررة في شرع الله. لذا فالواجب هو أن ترفض من أحل بهذا الشرط؛ لأنه كاذب دجال؛ ليس له القدرة على الارتقاء إلى مراتب الكمال. كما أن الذي حلى نفسه بأوصاف الرقي والسمو؛ ولم يعطي بالآداب لحدود الله؛ لا يستحق المخالطة ولا المصاحبة؛ لأنه يتحلى بأوصاف الشيطان المخادع الخوان؛ لذا فالمطلوب الابتعاد عنه. ثم يطلب الناظم من القارئ أن يهمل أمثال هؤلاء؛ أصحاب الفواحش والكذب والأهواء الساقطة. لأنهم ضلوا ونالوا سخط الله وغضبه؛ فتعذر عليهم الوصول إلى مراتب الجدد؛ ولن يحدث ذلك حتى يلج الجمال في سم الخياط.

186 – هَذَا زَمَانٌ كَثُرَتْ فِيهِ الْبِدَعُ

وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْخِدَعِ

- 187 – وَخَسَفَتْ شَمْسُ الْهُدَى وَأَفَلَتْ
 مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ بَزَغَتْ وَكَمُلَتْ
- 188 – وَالدِّينُ قَدْ تَهَدَّمَتْ أَرْكَانُهُ
 وَالزُّورُ طَبَّقَ الْهَوَى دُخَانَهُ
- 189 – وَظُلُمَاتُ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
 تَزَخَّرَفَتْ فِي جُمَّلَةِ الْأَوْطَانِ
- 190 – لَمْ يَيْتِقَ مِنْ دِينِ الْهُدَى إِلَّا اسْمَهُ
 وَلَا مِنْ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمَهُ
- 191 – هَيْهَاتَ قَدْ غَاضَتْ يَنَابِيعُ الْهُدَى
 وَفَاضَ بَحْرُ الْجَهْلِ وَالزَّيْغُ بَدَا
- 192 – أَيْنَ رِعَاةُ الدِّينِ أَهْلُ الْعِلْمِ
 قَدْ سَلَفُوا وَاللَّهُ قَبْلَ الْيَوْمِ
- 193 – وَهَاجَتِ الطَّائِفَةُ الدَّجَاجِلُهُ
 السَّالِكُونَ لِلطَّرِيقِ الْبَاطِلِ
- 194 – وَكَثُرَتْ أَهْلُ الدَّعَاوَى الْكَاذِبَةُ
 وَصَارَتْ الْبِدْعَةُ فِيهِمْ غَالِبَةُ
- 195 – الْقَوْمُ إِذْ زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
 قُلُوبَهُمْ فَانْسَلَخُوا وَتَاهُوا
- 196 – وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى
 لَنْ يَخْرُجَ الدَّجَالُ أَعْنِي الْأَكْبَرَا
- 197 – حَتَّى تَقُومَ قَبْلَهُ دَجَاجِلُهُ
 كُلُّ يُلُودٍ بِطَرِيقِ بَاطِلِهِ

198 – مَنْ لَمْ يُلْذَ بِالْمَنْهَجِ الْمُحَمَّدي
بَاءَ بِسُخْطِ اللَّهِ طُولَ الْأَمَدِ

(من 186 إلى 198) – يصف الناظم الزمان الذي عاش فيه؛ وهو القرن العاشر الهجري فيقول: كثرت في زمانه أشكال البدع، واضطربت أيامه بالأهوال المنطوية على الخدع. كما أفلت فيه شمس الهدى بأنوارها الساطعة؛ بعد أن كانت في زمان سابق كاملة النور. كما أن الدين الصحيح في هذا الزمن عرف تزعزعاً في أركانه؛ بسبب ما انتشر من زور وبهتان في كامل الأوطان؛ بحيث لم يتبق من الدين الإسلامي الحنيف إلا اسمه ومن كتاب الله إلا رسمه. فبعداً لهم إذ نضب معين الهداية أمام بحار الجهل والانحراف التي فاضت وعمت. ثم يتساءل: أين هم رعاة الدين والمحافظون عليه من أهل العلم الصحيح؟ ثم يجيب نفسه فيقول: لقد مضوا قبل هذا الزمن؛ الأمر الذي سمح لطائفة من الدجالين المنحرفين بالنمو والظهور؛ فتعددت بينهم المزاعم الكاذبة، وانتشرت فيهم البدع المتنوعة؛ فزاغت قلوبهم وانسلخوا عن دينهم وتاهوا. ثم يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حديث: أن الدجال الأكبر لن يظهر حتى يسبقه دجاله آخرون أتفه

منه؛ يسلكون طريقاً باطلة. ثم يقول: من لم يتبع منهج محمد عليه السلام نال غضب الله وسخطه طول الأمد.

199 – هَيْهَاتَ أَنْ يَطْمَعَ فِي نَيْلِ الْوَفَا

مَنْ حَادَ عَنْ شَرْعِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى

200 – فَإِنَّهُ هُوَ السِّرَاجُ الْأَنْوَرُ

وَبَابُ حَضْرَةِ الْإِلَهِ الْأَكْبَرُ

201 – فَكُلُّ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ سُنَّتِهِ

فَلَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ

202 – مَنْ حَادَ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَدْ غَوَى

وَفِي غِيَابَاتِ الضَّلَالِ قَدْ هَوَى

203 – الْمُصْطَفَى خَيْرٌ وَسِيْلَةٌ إِلَى

إِلَهِنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا

204 – صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا

وَمَا إِلَيْهِ قَلْبُ عَاشِقٍ صَبَا

(من 199 إلى 204) – يستبعد أن يحظى من حاد

عن شرع النبي المصطفى وسنته بنيل رضاه.

فالمصطفى هو السراج المير وباب الحضرة الإلهية؛

فمن أعرض عن سنته فلن يغدو عند الله من

أمته صلى الله عليه وسلم؛ لأن من انحرف عن

سنته وتجنبها يكون قد ضل وغوى وفي مهاوي

المهالك قد هوى. ثم يضيف قائلاً: إن أفضل وسيلة
للتقرب من الله سبحانه وتعالى هو المصطفى؛ صلى
عليه الله بقدر ما هبت ريح الصبا، وبعدد ما
خفق إليه قلب عاشق صب.

205 – يَا أَيُّهَا الْمَعْلُولُ فِي سِجْنِ الْهَوَى

أَقْبِلْ لِمَا عَلَيْهِ قَلْبُكَ انْطَوَى

206 – وَجِدَّ كُلَّ الْجَدِّ فِي اصْطِفَائِهِ

تَسْتَخْرِجِ الْكُنُوزَ مِنْ أَرْجَائِهِ

207 – وَالتَّزِمِ التَّفْوِيضَ وَالْإِنَابَةَ

فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الصَّحَابَةِ

208 – تَأَنَسَتْ قُلُوبُهُمْ بِاللَّهِ

فَأَخْلَصُوا أَوْقَاتَهُمْ لِلَّهِ

209 – وَاسْتَغْرَقُوا أَوْقَاتَهُمْ بِالطَّاعَةِ

عَلَى سَطْرِ الصَّدَقِ وَالصِّرَاحَةِ

210 – النَّاسُ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ هُجَّعُ

وَالْقَوْمُ فِيهِ سَجَّعُ وَرُكَّعُ

211 – حَثُوا مَطَايَا الْحَزْمِ فِي جَوْفِ الدُّجَا

تَطْلَعُ شَمْسُهُمْ إِذَا اللَّيْلُ سَجَا

212 – ففِي الْمُنَاجَاةِ لَهُمْ كُفُوسُ

تُحْيِي بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالنُّفُوسُ

- 213 - هُمُ الْهُدَاةُ بِهُدَاهُمْ اِقْتَدِ
إِلَى مَرَاتِبِ الْوُصُولِ تَهْتِدِي
- 214 - وَاكْشِفْ حِجَابَ السِّرِّ بِالتَّفْرِيدِ
بِالْعَالَمِ الْأُسْنَى مَعَ التَّجْرِيدِ
- 215 - تَرَى الْغُيُوبَ كُلَّهَا جَلِيَّةً
وَتَرْتَقِي لِلْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ
- 216 - وَزَالَ عَن مِرَاتِهِ كَشْفُ الْغَطَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي حِسِّهِ مُثَبَّطًا

(من 205 إلى 216) - ينادي الناظم ذلك السجين في سجن الملاذ والمقيد بأغلال الأهواء والضلال؛ فيقول له: عُدْ إلى ما يميله عليك ضميرك إذا صحا؛ واجتهد بجد وإخلاص في اصطفاء قلبك لكي تستخرج ما ينطوي عليه من كنوز؛ ثم التزم الطاعة وتفويض أمرك إلى خالقك؛ لأن هذه هي سنة الصحابة وطريقتهم في الحياة؛ حيث استأنست قلوبهم بذكر الله؛ فأضحت أوقاتهم مخصصة له سبحانه وتعالى فأخلصوا إليه وأطاعوه والتزموا في عبادته الصدق التام. ثم يصف حالهم فيقول: بينما الناس في وسط الليل المظلم نيام؛ يظل - بالمقابل - أولئك القوم المؤمنون في ركوع وسجود لله عز وجل. فهم حازمون في أعمالهم طوال الليل المظلم؛ الذي تضيئه شمسه

المنيرة. فمناجاتهم سرّاً نفحات تحيي الأرواح والنفوس؛ فهم الذين يهدون الضال للسبيل القويم؛ فالواجب هنا يقتضي أن تتقيد بهم لكي تصل إلى المراتب العليا. ثم ينصح السالك في طريق الاجتهاد طالباً منه السعي لكشف حجاب السر بالعزلة والانفراد والتجريد؛ وبذلك يمكن أن تنجلي الغيوب؛ وتحظى بالارتقاء إلى الحضرة العليا. أما الذي تبقى في حسه موبقات ما فلا تنجلي مرآته ولا ينكشف الغطاء عنها.

- 217- فَأَيُّ مَنْ أَدْمَنَ قَرَعَ الْبَابِ
 مُنْقَطِعاً عَنِ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ
 218- فَإِنَّهُ يَرْتَقِبُ الْفُتُوحَا
 حَتَّى يَصِيرَ صَدْرُهُ مَشْرُوحَا
 219- مَنْ قَطَعَ الْعَلَائِقَ النَّفْسِيَّةَ
 وَلَجَّ بَابَ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةَ
 220- فَاشْدُدْ إِزَارَ الْحَزْمِ وَالْمُجَاهَدَةَ
 عَسَاكَ تَرْقَ مِنْبَرُ الْمُشَاهَدَةَ
 221- وَقِفْ عَلَى بَابِ الْكَرِيمِ بَاكِياً
 وَكُنْ هُنَاكَ خَائِفاً وَرَاجِياً
 222- مُعْتَرِفاً بِالذَّنْبِ وَالْجِنَايَةِ
 عَسَاهُ أَنْ يَمُنَّ بِالْهِدَايَةِ

223 – فَلَيْسَ لِلْبَابِ الْكَرِيمِ غَالِقًا
إِذَا تَوَجَّهَ الْمُرِيدُ صَادِقًا
224 – وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ فِي الْأُمُورِ
شَرْطٌ بِهِ يَكُونُ قَدْحُ النُّورِ

(من 217 إلى 224) — يكمل الناظم نصحه
للسالك فيقول: إن الذي يواصل طَرْقَ باب الكشف
دون توقف؛ وداوم على ذلك؛ منقطعاً عن الاهتمام
بأسباب أخرى؛ فإنه يبقى مرتقباً فتح الباب؛ راضياً،
مطمئناً القلب والخاطر، منشرح الصدر، مبتهجاً. فكل
من انقطع عن الحركات النفسية وعلائقها المغرية
يمكن له الدخول من باب الحضرة القدسية. ولكي
تتمكن من ذلك عليك بشد إزار الحزم وضبط حزام
المجاهدة في مراتبها الثلاث: **التقوى، والاستقامة،**
والكشف. فبواسطة ذلك كله يمكن أن تحظى
بالمشاهدة والتمتع بالأنوار القدسية. عندئذ قف على
باب الله سبحانه وتعالى خائفاً، باكياً، معترفاً
بذنوبك؛ فقد يمن عليك بالهداية. لأن باباً به سبحانه
وتعالى لا يغلق؛ عندما يتوجه المريد إليه بصدق
وتقوى واستقامة. فالصدق والإخلاص شرطان
ضروريان؛ إذ بهما يتحقق قدح الزناد لإشعال النور.

- 225 – يَا عَاشِقًا فِي الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ
 اعْلَمُ بِأَنَّ الصَّفَقَاتِ غَالِيَهُ
- 226 – مَا نَالَهَا ذُو الْعَجْزِ وَالتَّوَانِي
 إِلَّا بِكَدِّ النَّفْسِ وَالْإِذْعَانِ
- 227 – فَارْحَلْ إِلَى الْمُهَيْمِنِ الْقُدُوسِ
 وَأَبْنِ عَلَى تَزْكِيَةِ النَّفُوسِ
- 228 – أَفْلَحَ وَاللَّهِ أَمْرُؤُ زَكَاهَا
 يَوْمًا كَمَا قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا
- 229 – وَأَخْرِقْ طِبَاقَ السَّبْعَةِ الْأَطْوَارِ
 لِكَيْ تَرَى دَقَائِقَ الْأَسْرَارِ
- 230 – تَرَى مِنَ السَّرِّ الْمَصُونِ عَجَبًا
 وَتَرْتَقِي فِي الدَّرَجَاتِ رُتَبًا
- 231 – وَتُبْصِرُ الشُّمُوسَ مُسْتَنِيرَةً
 جَارِيَةً فِي فَلَكِ الْبَصِيرَةِ

(من 225 إلى 231) – يقول الناظم بصيغة النداء:
 يا أيها العاشق، المحب، الراغب في الوصول إلى
 الدرجات العالية؛ اعلم بأن الوصول إليها يتطلب
 منك أن تقدم ثمنًا غاليًا. فتلك الدرجات المرغوب
 فيها لن ينالها المتهاونون والعاجزون؛ بل تتطلب كدًا
 متواصلًا وجهدًا نفسيًا دائمًا، وإذعانًا مطلقًا لشروط
 المجاهدة. فاتجه بخضوعك نحو المهيمن القدوس؛ وذلك

بترويض النفس وتنميتها وتطهيرها؛ لأن من روضها
أفلح من دسأها ومن أنقصها خاب. ثم يضيف:
ولكي ترى دقائق الأسرار لا بد من اجتياز طبقات
السبعة أطوار؛ حيث ترى العجب العجاب من السر
المصون، وتسموا في المرتبة بارتقائك الدرجات العالية.
وهناك ترى ببصيرتك الشموس المضيئة في فلکها.

232 – الْقَلْبُ كَالْمِرَاةِ لِلتَّجَلِّيِّ

يَصْفُوا بِمَا صَفَا لَهُ التَّحَلِّيِّ

233 – الْقَلْبُ عَرْشُ سِرِّهِ الرَّبَّانِي

وَحُضْرَةٌ لِلْقُرْبِ وَالتَّوَدَّانِي

234 – الْقَلْبُ هُوَ لَوْحُكَ الْمَحْفُوظُ

يَا أَيُّهَا الْمُقَرَّبُ الْمَلْحُوظُ

235 – فَاقْرَأْ سُطُورَ لَوْحِكَ الْمَكْنُونِ

يُرِيكَ سِرَّ أَمْرِهِ الْمَصُونِ

236 – الْقَلْبُ سِرُّ اللَّهِ فِي الْإِنْسَانِ¹

وَعَرْشُهُ الْمُحِيطُ بِالْأَكْوَانِ

237 – وَهُوَ مِنْ عَرْشِ السَّمَاءِ أَكْبَرُ

وَذَاكَ مَعْنَى فِي الْحَدِيثِ يُذَكَّرُ

238 – أَعْنِي حَدِيثَ الْوُسْعِ لِلتَّجَلِّيِّ

فَاعْرِفْ ذِمَامَ قَلْبِكَ الْأَجَلِّيِّ

¹ يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن في الجسد بضعة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب)).

- 239 – الْقَلْبُ مِشْكَاةُ التَّجَلِّيَّاتِ
 مَهْمَا خَلَ مِنْ جُمْلَةِ الْآفَاتِ¹
- 240 – الْقَلْبُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ
 وَفِيهِ بَابٌ مَلَكَوتِ اللَّهِ
- 241 – الْقَلْبُ مِنْ عَجَائِبِ الرَّحْمَنِ²
 أَوْدَعَهُ فِي عَالَمِ الْأَبْدَانِ
- 242 – فَالرُّوحُ³ بَابُ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ
 تَحْجُبُهُ الْعَلَائِقُ النَّفْسِيَّةُ
- 243 – وَإِنَّمَا يُفْتَحُ بِالْأَذْكَارِ
 لِحَازِمِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
- 244 – إِذَا اعْتَرَاكَ سَقَمٌ فِي الْقَلْبِ
 فَافْزَعْ إِلَى الذِّكْرِ وَكُنْ بِالرَّبِّ
- 245 – وَإِنْ تَكُنْ لَمْ تَتَّنَفَّعْ بِالذِّكْرِ
 فَأَنْدَبْ عَلَى نَفْسِكَ طُولَ الدَّهْرِ
- 246 – فَاخْلَعْ نَعَالَ الكَوْنِ جُمْلَةً وَجِي
 تَكُنْ عَلَى طُولِ الْمُنَاجَاةِ نَجِي

¹ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)).

² قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)).

³ يتداخل المعنى في الشرع حينما تستعمل كلمات: روح وقلب وعقل ونفس؛ بحيث ترتبط بمدلول واحد أحياناً. أنظر شفاء السائل، ص: 80.

- 247 – كَيْفَ تُنَادِ لِلتَّجِاجِ فِي طَوَى
وَالْقَلْبُ تَحْتَ قَهْرِ سُلْطَانِ الْهَوَى
248 – لَوْ ذَهَبَتْ عَلَى الْحِجَا أَكْدَارُهُ
لَجَاءَ بَعْدَ لَيْلِهِ نَهَارُهُ
249 – فَمَنْ رَأَى بَوَاطِنَ الْأَوَانِي
وَفَهِمَ الْأَسْرَارَ وَالْمَعَانِي
250 – مَنْ غَيَّرَ مَا كَسَبَ لَهُ يُعَانِي
فَذَلِكَ الْمَخْصُوصُ بِالتَّادِي

(من 232 إلى 250) — يعالج الناظم في هذه الأبيات موضوع القلب والروح ومكانتهما لدى الإنسان وربه. ففي البيت الأول يشبه القلب بالمرآة من حيث الوضوح والصفاء؛ كما يرى أن القلب بمثابة العرش في الجسم الإنساني لما فيه من أسرار ربانية، وماله من قدرة يمكنها تقرييك من الحضرة المقدسة. كما يعد القلب بمثابة اللوح المحفوظ؛ بما يحتويه من معرفة وبصيرة وقدرة على فك الأسرار. والقلب هو سر الله في الإنسان لما فيه من قدرات تستوعب أسرار الوجود. وقد وردت أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنوه بالقلب. ثم يقول: القلب كنز من كنوز الله. كما تعتبر الروح بمثابة الباب للحضرة

القدسية؛ ولكن العلائق النفسية تحجب ذلك الباب؛ ولكي يفتح؛ لا بد من إكثار الأذكار بالليل والنهار. فإذا أحسست بمرض في القلب؛ فما عليك إلا بالذكر والالتجاء للرب سبحانه وتعالى. وإذا لم تستفد بالذكر؛ فليس لك حظ في رحاب الله؛ فما عليك إلا نذب حظك السيئ طول حياتك. وبما أن القلب موضوع تحت سلطان الهوى؛ فلا طمع في مناجاة أو نداء. لأن العقل مقيد بما يعلوه من كدر؛ فلو تخلص منه لوضحت الرؤية ونشط العقل بطولوع النهار وانقشاع الليل.

251 – وَالْغَيْبُ مَحْجُوبٌ عَنِ النَّفُوسِ

بِهَذَيَانِ الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ

252 – لَنْ يَسْتَفِيدَ الْمَرْءُ عِلْمًا بِالْإِلَهِ

وَفِي الْحِجَى¹ لَمَحَّةٌ مِمَّنْ سِوَاهُ

253 – وَإِنْ تُرِدْ مَعْرِفَةً بِالرَّبِّ

فَارْغَبْ إِلَيْهِ صَادِقًا بِالْقَلْبِ

254 – وَلَا تُعَدَّ غَيْرُهُ مَوْجُودًا

فَتَعْتَدِي عَنْ بَابِهِ مَطْرُودًا

255 – وَكُنْ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي الدِّينِ

بِالْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْيَقِينِ

¹ الحجى: العقل والفتنة.

- 256 – وَكُنْ عَلَى حُدُودِهِ مُحَافِظاً
 وَكُنْ لِهَذَا الْهَدْيَانِ رَافِضاً
 257 – إِذْ ذَاكَ فَالْتَفَزْ عِ إِلَى التَّخَلِّي
 وَبَعْدَهُ فَافْزَعْ إِلَى التَّحَلِّي
 258 – وَلَا زِمِ الذِّكْرَ بِكُلِّ حَالٍ
 وَفِرَّ مِنْ طَوَارِقِ الْخِيَالِ
 259 – فَإِنْ يَفُتْ شَيْءٌ مِنَ الْأَنْفَاسِ
 فَذَاكَ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِفْلَاسِ
 260 – وَلَا تَزَالُ وَاقِفاً بِالْبَابِ
 وَذَاكِرًا لِلْمَلِكِ الْوَهَّابِ
 261 – حَتَّى تَرَى الْهِمَّةَ قَدْ تَجَمَّعَتْ
 وَفِكْرَةَ الْجَنَانِ¹ قَدْ تَوَسَّعَتْ
 262 – وَكُلُّ مَا يَعْشَاكَ فِي السَّبِيلِ
 مِنْ وَارِدٍ فَانْقُلْهُ لِلدَّلِيلِ

(من 251 إلى 262) – يبدأ الناظم هذا المقطع بتقرير: أن أمور الغيب ستبقى محجوبة عن النفوس؛ ما دامت منشغلة بهذين العالم المحسوس. لذا فلن يستفيد الإنسان بالعلم الذي يُعرِّفه بالإله ويقربه منه؛ ما دام قلبه منشغلاً بغيره. لأن معرفة الله تتطلب من الإنسان التقرب إليه بقلب صادق. فإذا أشركت به

¹ الجنان: القلب لاستتاره في الصدر. والجنان من كل شيء: جوفه.

وَأَمِنْتَ بِوَجُودِ غَيْرِهِ؛ طَرَدْتَ عَنِ أَبْوَابِ رَحْمَتِهِ. ثُمَّ
يُوجِهُ النَّازِمُ نَصْحَهُ لِلْقَارِئِ بِقَوْلِهِ: عَلَيْكَ بِالتَّبَصُّرِ فِي
شُئُونِ الدِّينِ؛ بِوِاسْطَةِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَالتَّحْقِيقِ الْجَيِّدِ
وَالتِّيْقِنِ مِمَّا حَقَّقْتَ فِيهِ. وَعَلَيْكَ أَنْ تَحَافِظَ عَلَى
حُدُودِ اللَّهِ، وَأَنْ تَرَفُضَ كُلَّ مَا يَسْتَدْعِي الْهَذْيَانَ أَوْ
السَّفْسَطَةَ، وَتَبْتَغِدَ عَنِ تَدَايِعَاتِ الْخِيَالِ الزَّائِفَةِ. وَعَلَيْكَ
أَيْضاً أَنْ تَلْتَزِمَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا. وَلَا تَسْمَحْ
لِنَفْسِكَ بِالتَّرَاخِي؛ حَتَّى لَا تَصِلَ بِهَا إِلَى حُدُودِ
الْإِفْلَاسِ. وَدَاوِمَ عَلَى الذِّكْرِ، وَالْوُقُوفِ عَلَى الْعُتْبَاتِ
الْمَقْدُوسَةِ؛ حَتَّى تَلْتَمِّمَ هِمَّتَكَ وَتَتَوَسَّعَ آفَاقَ قَلْبِكَ.

263 – وَذِكْرُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْبَصَائِرِ

يُوزَنُ الثَّلَاثَةُ الدَّوَائِرُ

264 – دَائِرَةُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

فَوْقَهُمَا دَائِرَةُ الْإِحْسَانِ

265 – وَذَلِكَ بِاللِّسَانِ وَالْجَنَانِ

وَالرُّوحِ وَهُوَ مَنْصِبُ الْإِحْسَانِ

266 – فَالْقَلْبُ تُرْجَمَانُهُ اللِّسَانُ

وَالرُّوحُ تُرْجَمَانُهُ الْجَنَانُ

267 – فَلَا يَزَالُ بِاللِّسَانِ يُذَكَّرُ

حَتَّى يَصِيرَ أَبَدًا لَا يَفْتُرُ

268 – حَتَّى إِذَا مَا اسْتَعْرَقَ اللِّسَانُ

فِيهِ إِلَيْهِ التَّفَتُ الْجَنَانُ

- 269 – حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ لَيْسَ يَفْتَرُ
فَيَصْنُمْتُ اللِّسَانَ وَهُوَ يَذْكُرُ
- 270 – حَتَّى إِذَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الذِّكْرُ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ صَبْرُ
- 271 – وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الْأَفْكَارِ
وَأَوْمَضَتْ سَوَاطِعُ الْأَنْوَارِ
- 272 – تَوَجَّهَ الْقَلْبُ إِلَى مَوْلَاهُ
وَلَمْ يُلِدْ بِأَحَدٍ سِوَاهُ
- 273 – وَلَا يَزَالُ ذَاكِرًا بِقَلْبِهِ
وَجَامِعًا هِمَّتَهُ بِرَبِّهِ
- 274 – حَتَّى يَصِيرَ لَفْظُهُ مُسْتَسْخَاً
وَيَرْجِعُ الْمَعْنَى بِهِ مُرْتَسِخَاً
- 275 – وَصَارَ كَالْغِذَاءِ لِلْقُلُوبِ
كَالْجِسْمِ بِالطُّعُومِ وَالْمَشْرُوبِ
- 276 – فَتَسْتَفِيقُ الرُّوحُ مِنْ إِغْمَائِهَا
وَأَنْبَثَ نُورُ الذِّكْرِ فِي أَرْجَائِهَا
- 277 – وَالَّتِ الْحَقِيقَةُ النَّفْسِيَّةُ
رَجُوعُهَا لِلْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ
- 278 – وَلَا حَتَّ أَنْوَارُ الْمُغِيَّاتِ
وَذَاكَ مَبْدَأُ الْمَكَاشِفَاتِ
- 279 – حِينَئِذٍ تَنْقَدِحُ الْأَنْوَارُ
وَتَظْهَرُ الْغُيُوبُ وَالْأَسْرَارُ

(من 263 إلى 279) – وفي هذه الآيات يعرف الناظم القراء بالدرجات التي يتبعها السالك في طريق الذكر؛ فيقول: إن الذكر المتبع من قبل أهل الفضل وأهل البصيرة يتوازن ويتوافق مع دوائر ثلاث: الدائرة الأولى هي دائرة الإسلام، والدائرة الثانية هي دائرة الإيمان، والدائرة الثالثة هي دائرة الإحسان. ويتم الذكر بواسطة ثلاثة قوى هي: اللسان، والقلب، والروح التي ترتبط بمنصب الإحسان. ويتم الذكر بتدرج؛ حيث يشرع اللسان بالذكر، ثم القلب، وأخيراً الروح؛ لأن ترجمان القلب هو اللسان، بينما يكون القلب ترجماناً للروح. وعليه يبدأ اللسان بالذكر حتى يتعود؛ ولا يتوقف إلى أن يرسخ الذكر في القلب، ويتعود عليه ويندمج به اندماجاً مطلقاً؛ عندها يتوقف اللسان عن الذكر؛ وينتقل العمل إلى القلب الذي يستولي عليه وتتسع دائرة الأفكار، وتسطع الأنوار فيه؛ فيلجأ القلب عندئذ إلى مولاه بالذكر حتى تصير الألفاظ مستنسخة وراسخة؛ فيغدو الذكر كالغذاء للقلب؛ ومثل المآكل المتنوعة والمشروبات المختلفة للجسم؛ لا يمكن الاستغناء عنه. عندها تستفيق الروح من خمودها وإغمائها؛ وذلك عندما تنبث أنوار الذكر فيها؛ فيحصل – عندئذ – ما يرجوه السالك عندما تعود الحقيقة النفسية إلى

الحضرة القدسية. فتنجلي أنوار الغيب؛ وهذا هو
منطلق الكشف. عندها تسطع الأنوار وتظهر الأسرار
والغيوب.

- 280 – وَهَاهُنَا مَوَاقِفٌ عَظِيمَةٌ
وَفَتْنٌ خُطُوبُهَا جَسِيمَةٌ
281 – تَزِلُّ فِي خُلَلِهَا¹ الْأَقْدَامُ
وَكَمْ تَضِلُّ عِنْدَهَا الْأَحْلَامُ
282 – فَإِنْ يَقِفْ بِهَا امْرُؤٌ بِهَا سَلْبٌ
وَعَنْ جَمِيعِ الدَّرَجَاتِ قَدْ حُجِبُ
283 – وَكَمْ أَخَا جَهْلٍ بِذَاكَ طُرِدَا
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِلْهُدَى
284 – فَمَنْ يَقِفْ بِفَتْنِ الْبِدَايَةِ
حُجِبَ عَنْ مَرَاتِبِ النَّهَائِيَةِ
285 – فَمَنْ يَكُنْ مَقْصُودَهُ مُتَّحِدًا
وَلَمْ يَكُنْ مُلْتَفِتًا لِمَا بَدَا
286 – فَذَاكَ بَالِغٌ إِلَى مَقْصُودِهِ
وَوَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ مَعْبُودِهِ
287 – فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ عَنْ بَصِيرَتِهِ
وَيَقْذِفُ الْأَنْوَارَ فِي سَرِيرَتِهِ
288 – وَلَا يَزَالُ جُمَّلَةَ الْأَوْقَاتِ
يَجُوبُ أَطْوَارَ التَّجَلِّيَّاتِ

¹ الخلل مفرد خلال: منفرج ما بين كل شينين.

- 289 – حَتَّى يَحِلَّ بِسَنَامِ الطُّورِ
فَيَنْتَهِي لِحِظِّهِ فِي النُّورِ¹
- 290 – وَيَنْتَهِي لِحَضْرَةِ الدُّنُوِّ
 بِقَدْرِ حِظِّهِ مِنْ الْعُلُوِّ
- 291 – فَصَارَ إِذْ ذَاكَ يُنَاجِي رَبَّهُ
 فَزَجَّ فِي بَحْرِ الْعُلُومِ قَلْبَهُ
- 292 – وَفَتَحَ الْبَابَ لَهُ فِي قَلْبِهِ
 وَصَارَ مِنْهُ آخِذًا عَنِ رَبِّهِ
- 293 – فَرُدَّ نَحْوَ مَرَكِزِ الْبِدَايَةِ
 إِذْ حَلَّ فِي دَرَجَةِ الْوِلَايَةِ
- 294 – وَصَارَ وَارِثًا عَلَى الْحَقِيقَةِ
 وَمُرْشِدًا لِسَائِرِ الْخَلِيقَةِ

(من 280 إلى 294) – يتكلم الناظم في هذه الأبيات عن المرحلة التي يصل فيها السالك إلى مرتبة الكشف؛ حيث يقول بأنها مرحلة خطيرة وعظيمة الشأن؛ ففيها قد تَزِلَّ قدم السالك في مهاوي المهالك.² لأن هذه المرحلة لا يطيقها إلا أهل التقى

¹ هذا البيت عجزه غير موزون ولا مفهوم؛ ويبدو أن الناسخ نسي كلمة؛ وقد تكون "في"؛ فيصبح الشطر هكذا:

فَيَنْتَهِي فِي لِحِظَّةِ فِي النُّورِ

² أشار ابن خلدون إلى هذا الأمر بقوله: ((قد يكون صاحب المشاهدة متجاوزاً لمقامها، متمكناً فيه؛ فيكون أثبت لهذا التجلي وأقوى على احتمالها؛ فإن المرید إذا استولى على مقام فهو ما دام يستولى عليه يتمكن فيما قبله. قال الأستاذ أبو القاسم [القشيري] في

والاستقامة الصادقة. فإن تعثر السالك في هذا الطريق ضاع وضيع أحلامه في كشف الحجاب. لأن ثمة كثير من الجهلة خابوا وطردوا وحجبوا. أما الذي صدق في سعيه ونبذ الأغراض المشبوهة وعمل في الذكر والمجاهدة بإخلاص؛ فإنه واصل إلى مقصده، ومحقق لهدفه في الكشف والوقوف بين يدي ربه. فيحظى بكشف الحجاب عن بصيرته، ويبث الأنوار في سريره. وهكذا يظل طوال أيامه يجوب أطوار التجليات، وينعم بالقرب والدينو بقدر حظه من سمو. وبذلك يفتح باب الحضرة في قلبه؛ فيغدوا أخذاً عن ربه؛ فيمنح درجة الولاية، ويصبح مرشداً وعالمًا بالحقيقة.

295 - فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الرَّجَالِ

وَأَلَّ أَمْرُهَا إِلَى الزَّوَالِ

296 - وَكَثُرَ الْمُبْسُونَ فِيهَا

وَصَارَ ذُو الْبِدْعَةِ يَدَّعِيهَا

297 - وَأَسْفَا عَلَى الطَّرِيقِ السَّابِلَةَ

أَفْسَدَهَا الطَّائِفَةُ الدَّجَاجِلَةَ

باب البوادة [البوادة أو الهواجم هي ما يفاجأ القلب للوهلة من الحزن أو السرور] ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالاً وقوة؛ أولئك هم سادة الوقت. ولما رجع من رجع منهم من هذا السفر فاتزاً بالغميمة، حاصلًا على الغاية؛ حذروا من غرر ها الطريق وخطره حتى في نفس المقصد الذي أقله النجاة. أعاننا الله؛ فإن سلم من هذا كله فقد فاز فوزاً عظيماً)). شفاء السائل، ص: 32.

- 298 - قَدْ أَحَدْتُوا طَرِيقَةَ بَدْعِيَّةٍ
وَرَفَضُوا طَرِيقَةَ الشَّرْعِيَّةِ
- 299 - يَا عَجَبًا لِرَافِضِ الشَّرِيعَةِ
وَيَدَّعِي دَرَجَةَ رَفِيعَةٍ
- 300 - وَكَيْفَ يَرْقَى سُلَّمِ الْحَقِيقَةِ
مُخَالَفٌ لِسَيِّدِ الْخَلِيقَةِ
- 301 - وَاحْسِرَةَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
قَدْ ادَّعَاهُ كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ
- 302 - قَدْ أَشْرَفُوا عَلَى كُهُوفِ الْكُفْرِ
وَسَتَّـرُوا بَدْعَتَهُمْ بِالْفَقْرِ
- 303 - وَاتَّخَذُوا مَشَائِخًا جُهَالًا
لَمْ يَعْرِفُوا الْحَرَامَ وَالْحَالَالَ
- 304 - لَمْ يَقِفُوا عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ
وَسَنَّةِ الْهَادِي رَسُولِ اللَّهِ
- 305 - فَفَرَّوهُمْ مِنْ رِعَاةِ الدِّينِ
أُولِي التُّقَى وَالْعِلْمِ وَالْيَقِينِ
- 306 - فَأَعْرَضُوا عَنْ سَبِيلِ الرَّحْمَنِ
وَاتَّبَعُوا مَسَالِكَ الشَّيْطَانِ
- 307 - وَهَدَّمُوا قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ
وَاعْتَبَرُوا خَرَائِفَ الْأَوْهَامِ
- 308 - وَعَكَّسُوا حَقَائِقَ الْأُمُورِ
وَنَصَبُوا حَبَائِلَ الْفُجُورِ

- 309 – وَأُولِعُوا بِشَهَوَاتِ النَّفْسِ
لِكُلِّ بَدْعِي لَهُمْ تَأْسٌ
- 310 – وَجَعَلُوا مِلاءَ الْبُطُونِ أَصْلَهُمْ
بَنَوْا عَلَيْهِ أَمْرَهُمْ وَسِبْلَهُمْ
- 311 – بُعْدًا لِقَوْمٍ أَلْحَدُوا فِي الدِّينِ
وَاشْتَغَلُوا بِطَاعَةِ اللَّعِينِ
- 312 – وَأُولِعُوا بِالْإِفْكِ وَالتَّلْبِيسِ
تَأْسِيًا بِشَيْخِهِمْ إِبْلِيسَ
- 313 – وَأَسْفَا عَلَى حُمَاةِ الدِّينِ
أُولِي الذِّكَا وَالْعِلْمِ وَالتَّمْكِينِ
- 314 – آهٍ عَلَى طَرِيقَةٍ قَدْ ذَهَبَتْ
وَهَدِّمَتْ أَصُولَهَا وَقُلَّبَتْ
- 315 – وَهَاجَ إِفْكَ الْمُدَّعِينَ فِيهَا
وَصَارَ مَنْ يَطْلُبُهَا سَفِيهَا
- 316 – آهٍ عَلَى طَرِيقَةِ الْكَمَالِ
أَفْسَدَهَا طَائِفَةُ الضَّالِّالِ
- 317 – آهٍ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ آلِهِ
آهٍ عَلَى طَرِيقِ حِزْبِ اللَّهِ
- 318 – طَرِيقَةٌ أَفْسَدَهَا أَهْلُ الْبِدْعِ
فَتَرَكْتَ مَهْجُورَةً لَا تُتَّبَعُ
- 319 – طَرِيقَةٌ أَفْسَدَهَا الْفُجَّارُ
فَكثُرُوا وَانْتَشَرُوا وَثَارُوا

- 320 – وَظَهَرَتْ فِي جُمْلَةِ الْبِلَادِ
طَائِفَةٌ الْبُلْعِ وَالْأَزْدِرَادِ
- 321 – قَدْ أَحْسَنَ الْوَالِدُ فِي الْعِبَارَةِ
إِذْ قَالَ قَوْلًا صَادِقَ الْإِشَارَةِ
- 322 – فَقَالَ فِي أَوْلَيْكَ الدَّجَاجِلَهُ
مَقَالَةً صَادِقَةً وَعَادِلَهُ
- 323 – وَزَنْتَهُمْ بِالشَّرْعِ فَهُوَ نَائِي
مِنْهُمْ كَمِثْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
- 324 – وَزَنْتَهُمْ بِمِنْهَاجِ الْحَقِيقَةِ
فَلَمْ أَجِدْ لَهُمْ مِنْهَا دَقِيقَهُ
- 325 – بَلْ هَتَكُوا مَحَارِمَ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ
فَنَكَبُوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
- 326 – فَكَانَ يَنْمَهُمُ إِلَى الدَّجَّانِ
فَارْحَمَهُ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
- 327 – يَا وَيْلَتِي هَذَا زَمَانُ الْبِدْعِ
مَاتَ بِهِ أَهْلُ التُّقَى وَالْوَرَعِ
- 328 – وَاحْسَرْتِي عَلَى الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ
قَدْ أَخْلَفُوا بِالْمُدَّعِينَ الْفَجْرَةَ

(من 295 إلى 328) – يعالج الناظم في هذه القطعة

موضوع الدجالين المدعين زوراً للتصوف. فيستهل القول

بالتنويه بالطريقة الصحيحة التي قال فيها أنها طريقة الرجال الصالحين؛ ولكنها زيفت وحرفت؛ فآل أمرها إلى الزوال؛ بسبب الخلط والمشابهة على أيدي المدعين من أهل البدع. ثم يتأسف على الطريقة الصحيحة التي أفسدها الدجاجلة؛ الذين أحدثوا طريقة مبتدعة، ورفضوا الطريقة الشرعية. وبعدها يتعجب من الذي يدعي المرتبة الرفيعة في الدين؛ بينما هو متنكر ورافض للشريعة. ثم يتساءل: كيف يطمع المخالف لسيد الخليفة في الرقي وتسلق سلم الحقيقة؟ وبعدها يتحسر على الصراط المستقيم؛ الذي يدعي الأفاكون والآثمون باحتيازه؛ أولئك الأفاكون الذين ستروا بدعتهم بادعاء الفقر والزهد؛ وتداروا وراء مشائخ جهلة لا يفرقون بين الحلال والحرام، ولا يحترمون حدود الله، ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأمثال هؤلاء الجهلة؛ تسببوا في نفور الناس من أهل العلم الصادق، ورعاة الدين الحنيف. وبذلك تراهم قد ابتعدوا عن السبل الواصلة بالله؛ في الوقت الذي تراهم قد سلكوا الطرق المؤدية إلى الشيطان. فوصل بهم الحال إلى تهديم أركان الإسلام؛ باعتقادهم في الخرافات والأوهام. ثم يقول عنهم أنهم عكسوا الحقائق، ونصبوا الفخاخ والمغريات لنشر الفجور. كما افتتنوا بشهوات النفس، وألحدوا في الدين، واشتغلوا

بطاعة الشيطان اللعين. ثم يتأسف على غياب العلماء المتمكنين؛ من أهل الذكاء والعلم؛ الذين أوقفوا أنفسهم على حماية الدين الحنيف. ثم يقول متأوهاً: آه على طريقة الصوفية المؤدية للكمال؛ تلك الطريقة التي أفسدها أهل الضلال والفجور؛ فتعرضت أصولها للتهديم بهياج المدعين، الكاذبين، المزورين. وهكذا ظهرت في أرجاء البلاد طائفة لا يهمها سوى البلع والازدراء. ثم يشير إلى ما قاله والده بخصوصهم فيقول: لقد صدق الوالد في وصف أولئك الدجاجلة حين قال: وزنتهم بالشرع فوجدت أنهم يعيدون عنه كبعد الأرض عن السماء. ووزنتهم بمنهاج الحقيقة فلم أجد لهم منها ذرة من الحقيقة؛ لأنهم هتكوا محارم الشرع القويم، وخرجوا عن الصراط المستقيم. ثم يقول: يا ويلتي هذا زمان البدع؛ الذي غاب فيه أهل التقى والورع؛ ثم يتحسر على الكرام البررة الذين استخلفوا واستبدلوا بالفجرة والمدعين للعلم.

329 – وَجَدَنِي الْعَدُولُ يَوْمًا بَاكِيًا

وَبِحَدِيثِ سَادَتِي مُنَادِيًا

330 – وَأَسْفًا بَادُوا فَمَنْ لِي مُرْشِدًا

فَقَالَ جَاهِلًا بِأَمْرِي مُنْشِدًا

331 – يَا أَيُّهَا النَّائِيهِ فِي الْبَيْدَاءِ

مَا لِي أَرَاكَ دَائِمَ الْبُكَاءِ

- 332 - أَرَاكَ نَائِحاً عَلَى الْآثَارِ
وَالطَّلَلِ الْبَالِي رُسُومَ الدَّارِ
- 333 - مَهْلًا عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ
أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَكَ الْمُنُونُ
- 334 - فَقُلْتُ إِنِّي يَا أَخِي أَنُوحُ
عَلَى فِرَاقِ سَادَتِي أَصِيحُ
- 335 - قَدْ رَحَلُوا قَاطِبَةً وَذَهَبُوا
طُرّاً وَمَا عَلِمْتُ أَيَّنَ ذَهَبُوا
- 336 - وَلَا أزالُ هَكَذَا مُسْتَمْسِكاً
عَسَى دَلِيلُ الْقَوْمِ يَسْمَعُ الْبُكَاءَ
- 337 - وَإِنْ أُمَّتُ أَمُوتُ فِي هَوَاهُمْ
إِذْ لَيْسَ لِي مِنْ سَادَةٍ سِوَاهُمْ
- 338 - وَأَسْفَا عَلَى الرَّجَالِ الْكَامِلِينَ
قَدْ ذَهَبُوا بَيْنَ الْعِبَادِ خَامِلِينَ
- 339 - فَسُتِرُوا بِظُلُمَاتِ الْبِدَعِ
فَلَمْ يَبَيِّنْ صَادِقٍ مِنْ مُدَّعٍ
- 340 - وَذَهَبُوا وَاللَّهِ فِيمَنْ ذَهَبَا
وَسَكَّنُوا بِالْفَلَواتِ وَالرُّبَى

(من 329 إلى 340) — يقول الناظم في هذه

الآيات: أن أحدهم ممن يجهل أمره؛ قد لامه على
بكائه لغياب شيوخه الموجهين المرشدين؛ إذ قال له:

ما لي أراك تائهاً في البيداء، ودائم البكاء، تنوح على
 الآثار والأطلال البالية؛ هلاًّ أشفت على نفسك -
 يا مسكين - من الأسقام والموت. فأجابته الناظم
 قائلاً: أنه يبكي على فراق شيوخه؛ الذين رحلوا
 بكاملهم دون أن يعلم مكان إقامتهم؛ ثم أضاف: فإذا
 مت فسأمت حياً فيهم. ثم يتأسف على الرجال
 الكاملين؛ الذين اختاروا سبيل الخمول؛ ولكن
 حجتهم ظلمات البدع، وهكذا؛ اختلط الأمر؛ فلم
 يعد فرق بين الصادق والمدّع؛ وعلى هذا فقد
 اختار الشيوخ الصادقون الذهاب إلى الفلوات والروابي.

341 - وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةَ بِالْبِدَعِ

وَمَا يُنَى عَلَيْهِ أَصْلُ الْمُدَّعِي

342 - فِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُوقِ

عَجَائِبُ فَائِقَةُ الرَّثُوقِ

343 - ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ كُلَّ حِينٍ

عَلَى أَجَلٍ مَنْ أَتَى بِالْدِّينِ

345 - مُحَمَّدٍ سُلْطَانَ أَهْلِ الْحَضْرَةِ

وَأَلِهِ أَجَلٌ كُلُّ زُمْرَةٍ

346 - فِي أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ قَدْ نَجَزُ

مِنْ عَاشِرِ الْقُرُونِ قُلْ هَذَا الرَّجَزُ

(من 341 إلى 346) – وفي الختام ينصح الناظم
كل من يرغب في الإطلاع، ومعرفة أهل البدع
وأعمالهم؛ أن يقرأ كتاب **الزروق الفاسي**؛ لأن به
عجائب ذات منعة وعز كبيرين.

خامساً - الرائية في مدح الرسول لى الله عليه وسلم:

تفضل الأستاذ محمد يزيد العلوي فمحنى نسخة من القصيدة الرائية للعلامة عبد الرحمن الأخصري؛ مأخوذة من أحد المخطوطات؛ كان قد جلبها من غرداية زميله الأستاذ سعد السعود خشاب. وهي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الوعظ. نظمها من البحر البسيط؛ وهي في 163 بيتاً. ويبدو أن مستوى النسخ كان ضعيفاً للغاية؛ ويتجلى ذلك من خلال الأخطاء الإملائية، والخط الرديء. ومع هذا فقد حاولت تحقيقها وشرح بعض مفرداتها؛ فأرجو من الله التوفيق، وأتمس من القارئ العذر إذا ما خانني الحظ.

وقبل الشروع في قراءة القصيدة؛ أعرف القارئ الكريم بأن الناسخ أخفق في نسخها بشكل صحيح؛ وعليه فقد اضطرت إلى وضع خط تحت الشطر أو البيت المضطرب؛ بفعل كلمات غير مفهومة أو خلل في الوزن. وقد حاولت إصلاح الأخطاء بما تيسر. ونظراً لانعدام نسخة أخرى يمكن بواسطتها المقارنة والتحقق؛ فقد اكتفيت بوضع تلك الخطوط لكي يتسنى فيما بعد التحقق منها؛ إذا ما توفرت نسخة أو أكثر من القصيدة.

الحمد لله طول الدهر والعمر
 ثم الصلاة على المختار من مُضَرِ
 يا ثاقب النور¹ ما أسناك من قمر
 هل اطلعت على أرض بها وطري
 ألفت صب الهوى يوماً بعلمه
 جهلاً بحب لما في الجهل من ضرر
 يا سايح الطرف ما للطرف ساجحة
 تغدوا البطاح ولا تشكوا من الضجر²
قلا الصبابة لي والعينُ قد فصلت³
 وما وجدت لهذا العين من أثر
 ومن مفارقة المحبوب قد بلغت
نفسى التراقي⁴ لولا سابق القدر
 إني أبيت من الأشواق في كمد
 وما سئمت من (التخميم)⁵ والسهر

¹ يا ثاقب النور: أي يا ذا النور الثاقب.

² سَاحَ الماء جرى على وجه الأرض؛ فهو ماء سائح. الطَّرْفُ: العين؛ وطرف طرفاً عينه: أصابها بشيء فدمعت. الطَّرْف بكسر الطاء: الخيل الكريمة العتيقة. سبَح سبْحاً: أبعد في السير. غَدَا غُدُوًّا: ذهب غدوة: أي انطلق. البَطَاحُ مفردها بطحاء: مسيل واسع برممال وحصى.

³ قَلا: لوعة وحرقة. والصبابة: الشوق والحنين. العَيْنُ (بكسر العين) - هنا - هي بقر الوحش. فصلت: نقول: فصل فلان عن البلدة: خرج منها.

⁴ المقصود هنا بالتراقي: التعوذ عند المرض أو الإصابة بشيء مكروه. وقد خالفت هذه الكلمة القياس.

⁵ كتبها الناسخ: "الأخمام" ويبدو أنها "التخميم"؛ وهي كلمة عامية معناها: التفكير. وهي تخالف المعنى الفصيح لكلمات: خمم وخمامة: أي القمامة.

فليس مثلي من السَّهَّار من أحد
 كيف السَّامة للعشاق من (سمر)¹
 قد هب ريح الصَّبَا والقلب منه حَدَى
 وعاد حال الصَّبَا في المهد من صغر²
 قف يا حَمَام على ربع شغفت به
 واحمل سلامي إلى المحبوب واختبر
 جاش الحَمَام خلال الدار محتفلاً
 وخالف القلب في أشواقه التُّكْر
 لما رأيت حمام الدار سطحه³
 شوق التلاقي إلى الأوطان والوكر
 تضرم القلب من أشواقه أسفاً
 وعدت مثل تريف⁴ العقل من سَكْر
 غنى حمام الهوى بالشوق مضطرباً
 فأضرم القلب نار الوجد بالسحر
 فالقلب مضطرم والروح نائحة
 (والبثُّ يؤلمني فالحزن كالإبر)⁵
 والنفس مني لذيد العيش فارقتها
 وأسلمت نومها العينان في السهر

¹ كتبها الناسخ "سهر". وربما تكون "سمر"؛ لأن ضرب البيت السابق "والسهر".

² الصَّبَا بنصب الصاد المشددة: الريح الشرقية. الصَّبَا بكسر الصاد المشددة: الصغر.

³ سطحه: صرعه، وأضجعه.

⁴ يقال: رجل مُتْرِفٌ: إذا أبطرتَه النعمة وسعة العيش. والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها. وكلمة تريف مخالفة للقياس.

⁵ هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون. يمكن قراءته كما جاء بين قوسين.

فاشْتد حالي فما دائي بمنكشف
ولا سمعت عن المحبوب من خبر
فأصبحت بعده الأزواج باكية
لما أهاج نسيم الوجد بالسحر
والعين مني قد انْهَلَّتْ مدامعها
جوف الدجى¹ لتريق الدمع كالمطر
يا عاذل الصّب إن الحب قاهره
كيف الحبيب سرى في السمع والبصر
إن الصباية لا تخفى غوائلها
وأمرها من قديم الدهر والعُصْر
وكم محب قديم الشوق جرعه
كأس الحِمَام² فما للعمر ذا بطر
فالقلب مني بنار الشوق مشتعل
ما زال قلب شديد الحزن منكسر
واهتزت الروح بالأشواق واضطربت
وأثرَ الحب فيها أيما أثر
إن قلت أي حبيب قد شغفت به
أقول هذا حبيب الله في البشر

¹ جوف الدجى: بطن الليل وأعماقه.

² الحِمَام بكسر الحاء: الموت.

محمد خير من يمشي على قدم
خير الورى سيد الأملاك والندر¹
هذا محمد المخصوص بالشرف
من جاء بالروح والتوسيع والبشر²
هذا المقرب هذا المستغاث به
هذا شفيع الورى في الموقف النكر
هذا رسول كريم ما له كفو
هذا المفضل هذا سيد البشر
أما الجمال فلا تدرك نهايته
(فالبدر يسمو إذا ينأى عن البصر)³
أزكى الخليفة⁴ ذو جيد ومبتسم
أصفا من الذهب الإبريز والدرر
وفي الجوار⁵ تلالا⁶ من تبسمه
نور كبرق يرى من فيه ذي العطر
وإن سألت عن الأخلاق والشيم
فليس فوق كتاب الله من خير⁷

¹ الندر: ما شذ، وما فصح وجاد من الكلام. ونقول: نادرة الزمان: أي وحيد عصره.
² البشر هنا: السرور والبشاشة والخبر المفرح.
³ هذا الشطر غير مفهوم ومختل الوزن ويمكن قراءته كما جاء بين قوسين.
⁴ نقول: زكاه الله: أي طهره.
⁵ الكلمة هنا هي "جدار" ولكنها غير مفهومة؛ ويمكن وضع كلمة "جوار" بدلا منها.
⁶ اضطر الشاعر إلى استبدال "تلالا" بكلمة "تلالا" بدون همزة لكي يستقيم الوزن.
⁷ لأن خلقه القرآن صلى الله عليه وسلم؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها.

يزهو بوجه كريم البسط مبتهج
 بالعفو ملتحف كالبدر منسفر¹
 متوج برداء العز مكتنف
 بالحسن متصف أسنا من القمر
 هو النبي الذي جلت محاسنه
 وما لبهجتَه مَثَلٌ من الصور
 أكرم بآية ما أبدت أنامله
 من خير ماء لذيذ الطعم منهمر²
 والانشقاق لهذا البدر مترلة³
 على الكواكب ما أسناه من قمر
 تأسف الجذع⁴ إنكاراً لفرقتَه
 وحن مثل حنين الطُّرْفِ والجزر⁵
 وآية الغار لا تخفى عجائبها⁶
 لما اقتفاه رجال الكفر في نفر
 والعنكبوت بباب الغار قد نسجت⁷
 وفي الحمامة آية لمعتبر⁸

¹ مُنْسَفِرٌ: منكشف ومشرق ومضيء.

² إشارة إلى معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حين وضع يده أو أصابعه في إناء قليل الماء؛ فتوضأ منه كل من كان معه.

³ إشارة لمعجزة انشقاق القمر.

⁴ إشارة إلى معجزة حنين الجذع لرسول الله.

⁵ كلمة جزر هنا تبعث على الشك في ضرورة وضعها. ومع هذا يمكن شرحها بالشاة التي تساق إلى النحر. أما الطُّرْفُ بكسر الطاء فهي: الخيل الكريمة العتيقة.

⁶ إشارة إلى معجزة غار ثور الذي اختفى فيه رسول الله مع أبي بكر.

⁷ إشارة للعنكبوت التي نسجت بيتها في مدخل غار ثور.

⁸ إشارة للحمامة التي بنت عشها في مدخل الغار أيضاً.

لما رأى خيفة الصديق قال له
الله مَعْنَا فلا تخشى من الضرر¹
وكم تمنى أبو بكر يرافقه
قد نال والله ما يرجوه من وطر
يا فوزه قد حوى في الخلد مترلة
مع الرسول بدار البسط والسرر
وكم أزال من الداء العليل (قذى)²
ما كلَّ عنه فحول الطب والفكر
رمى الحصى بعد تسييح براحته³
حتى أصاب من الكفار ذا بصر
فضاق ذرعا رجال الكفر وانهمزوا
كل يولي على الأعقاب والدبر
الله أيده بالرعب منتصر⁴
فراع⁵ منه جميع البدو والحضر
في كل معترك للحرب يغلبهم
ياذن رب عزيز النصر مقتدر
يعلو أمام عُلات⁶ المجد مركبه
هُم الكواكب والمختار كالقمر

¹ الأفضل كلمة "تجزع" بدلاً من تخشى.

² الكلمة بدت كأنها "قد" ولكنها هنا لا معنى لها. لذا يمكن أن تكون "قذى".

³ إشارة إلى معجزة تسييح الحصى في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

⁴ أي أيده بما كان ينتاب أعدائه من رهبة؛ فيرتدعون.

⁵ فراع منه: ففزع منه.

⁶ علاة في المجد: الأعلون في المجد.

أكرم (بجند)¹ سيوف المجد وشحهم
لِلَّهِ دَرُّ سِيُوفِ اللّهِ مِنْ نَفَرٍ
مِنْ كُلِّ سَامٍ شَدِيدِ الْبَطْشِ مَمْتَشِطٍ
فِي الْحَرْبِ مَغْتَبِطٍ لِلَّهِ مُنْتَصِرٍ
كَاللِّيثِ يَبِغِ الْوَعْيَى بِالْقَهْرِ مُتَصِفٍ
لِلْأَمْرِ مُمْتَثِلٍ لِلْحَرْبِ مُعْتَبِرٍ
وَبِالْجُنُودِ مِنَ الْأَمْلاكِ أَيْدِهِ
كَذَاكَ رِيحَ الصَّبَا فِي سَاعَةِ الْعَصْرِ
فِي قَرِيضَةٍ مَا أَقْرَضْتَ مِنْ مَجْنٍ²
فِي خَبِيرِ السُّوءِ مَا جَرَبْتَ مِنْ خَيْرٍ
إِذَا الشَّهَادَةُ فِي بَدْرِ فَهَلْ طَلَعَتْ
فِيكَ الْبَدُورُ مِنَ الْأَبْطَالِ وَالْغُرُرِ
فِي خَبِيرِ الْوَعْيَى يَا ذَا الْخَطُوبِ فَهَلْ
سَمِعْتَ فِيكَ خَبِيرَ السُّهُمِ وَالْوَتْرِ
وَيَا بْنَ حَرْبِ أَبَا سَفْيَانَ مَا شَهِدْتَ
عَيْنَاكَ مِنْ عَقَبَاتِ الْحَرْبِ مِنْ خَبِيرٍ
مَا زَالَ يَهْوِي إِلَى الْهَيْجَاءِ خَلْفَهُمْ
كَاللِّيثِ يَهْوِي إِلَى الْأَنْعَامِ وَالْحَمْرِ

¹ يبدو أن الكلمة هنا هي "جند" وليس "تجد" كما كتبت في الأصل.

² بنو قرصة: فرقة من يهود المدينة. ما أقرضت من مجن: أي ما جازيت به أصحاب الخير بالشر والمجون.

حتى أنيل بنصر الله نصرته
فما أقام لدار الشكر من أثر
طوبى لطيبة قد طابت جوانبها
ما غرّ أرض ثواها سيد البشر
فيا سراقه¹ ما للطرف جائمة
على القوائم في بطحاء كالحجر
فيا رُكَّانة² ما ألفت فيك قوى
لما سمعت خطاب الصدق للحجر
خرت بإثر تمام السير ساجدة
للمصطفى أدباً سبحان ذي القدر
ويا حذيفة³ أبصرت من عجب
ويا قتادة⁴ ماذا نلت في (البصر)⁵
يا طيبة المجد ما أعلاك من بلد
يا بلدة المصطفى يا خيرة المدر

¹ هو سراقه بن مالك بن جُعشم؛ الذي اقتفى أثر الرسول لما هاجر؛ فعجز عن إعادته إلى مكة؛ بسبب تعثر فرسه وغرق قوائمه في أرض صخرية؛ وذلك كلما هم بإطلاق سهم من سهامه.

² هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف. قال لرسول الله - عندما التقى به في جبل من جبال مكة - إني أطلبك للمصارعة؛ فإن صرعتني آمنت بأتك صادق في نبوتك. فصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه.

³ هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان العبسي؛ يعرف بين الصحابة "بصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ وهو الذي أرسله عليه السلام في غزوة الخندق لروية حال الأحزاب؛ فرجع بخبر رحيلهم.

⁴ ربما كان هو قتادة بن النعمان بن يزيد الظفري الأنصاري؛ كان قد فقد عينه في إحدى الغزوات؛ فتعلقت بعرق تدلا منها؛ فأعاد الرسول صلى الله عليه وسلم حدقته بيده الكريمه إلى موضعها ودعا له؛ فأبصر.

⁵ كتبت "البطر" وربما كانت في لأصح هي: "البصر" لكي يتضح المعنى.

لله در أناس العز قد سكنوا
بها فليس لهم كفو من البشر
وكيف لا ورسول الله حل بها
يا فوزها بضريح مثمر عطر
مني سلام إلى قوم بها قطنوا
هم الأكابر والسادات للبشر
لقد عجت لآيات بمولده
جاءت بخط على الآفاق منتشر
فالشهب ثاقبة والجن هاتفة
والنار خامدة لله من عبر
وعرش إبليس قد (انعى حزبه أسفا)¹
وأشعر الجن والكهان بالخبر
(أهل)² الصوامع والأحبار قد شهدوا
على اليقين بما ألفوه في الزبر
وفي شفاعته العظمى شهادتها
للمصطفى بكمال غير مستتر
فما برحت إمام الرسل³ مرتقبا
إلى مقام علا بالصلب⁴ مشتهر

¹ صدر البيت هذا غير مفهوم ولا موزون؛ لذا يمكن قراءته كما جاء بين قوسين لكي ينسجم مع سياق البيت.

² كلمة غير مفهومة؛ لذا يمكن وضع كلمة "أهل" بدلاً منها.

³ إشارة إلى إمامته الصلاة بالأنبياء والرسل خلال المعراج.

⁴ الصُّلْبُ: فقرات الظهر. والصُّلْبُ: الحسب. والصُّلْبُ: الشديد.

ثم انثيت على متن البراق ولم
تستكمل الليل بين (القدس والمدر)¹
أنت النبي الذي حقت نبوءته
في صلب آدم بل في اللوح والزبر
وبالغ² الله في التنويه مادحهم
سطر يُرى تحت ساق العرش مستطر
ويذكر اسمك باسم الله مقترنا
فهذه غاية التعظيم والفخر
وليس فوق كتاب الله معجزة
تغن اللبيب عن البرهان والنظر
قد كل وصف فما تغني المدائح في
من خصه الله بالتفضيل في البشر
ماذا أعبر في مدح الرسول فقد
أعيا ثناه رجال العلم والفكر
لو أن جملة ما في الكون من نسَم
أقلامها كل ما في الأرض من شجر
أو البحار مداد الكتب ما كتبوا
من الثناء سوى كالرشف من مطر

¹ الشطر ناقص كلمة؛ ربما كانت "القدس"؛ وثمة كلمة أخرى غير واضحة؛ لذا قد يكون استكمال الشطر كما جاء بين قوسين.

² ربما يكون الناسخ هو الذي وضع هذه الكلمة.

لكل مدحي له في الحشر ينفعني
إذا الجحيم تلاقي الناس بالشرر
عسى أنال نصيبا من شفاعته
يوم القيامة في أهوالها الكبر
ومن يكن برسول الله معتصما
يفز بركن منيع الركن (والأطر)

حاشى الرسول يصيب المستغيث به
ريب المنون بحفظه الله لم يضر
أعجب بما في خطاب الضب من عجب¹
لبيك يا خير خلق الله في الخبر
والظبي والذئب والأنعام قد نطقت²
نطق الجماد ونطق العير والشجر
إن الكواكب في الأفلاك سائحة
كل يصلي على المختار من مضر
كذا الحجارة قد جاءت تحيتها
للمصطفى وسلام السقف والجدر
وانظر ترى عجبا في حسن سيرته
فليس يشبهها شيء من السير

¹ إشارة إلى معجزة شهادة الضب برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
² إشارة إلى معجزات أخرى: كسؤال الظبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلقها لكي ترضع صغارها وتعود. وشهادة الذئب برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشكوى البعير لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قلة العلف وكثرة العمل. وشكوى الطيور له بسبب أخذ بيضها. وسجود غنم بعض الأنصار له. وكثير من هذا.

يا سيد الخلق ويا خير الأنام ويا
 ذا المعجزات وذا الآيات والعبير
 قد اصطفاك إله العرش خالقنا
 وخصك الله بالتعظيم والزبر
 وبعلاك جميع الرسل قد شهدت
(ووافق) الحسن والتعظيم كل سري¹
 دعوت للخلق عام القحط إذ سألوا
 منك الدعاء فزال القحط بالمطر
 والله ما هبطت كفك إذ رفعت
 حتى أراق فجاج السهل والوعر
 (دام الحباً مغرقاً للأرض في زمن)²
 لولا دعاؤك لم ييرح بمنهمر
(فأوقف) الغيث حول الناس (إذ غمهم)³
 كي لا يكون له في الناس من ضرر
 أسرى بك الله من بيت الحرام إلى
 بيت مباركة بالقلس مشتهر
 وبشركك (وفود)⁴ الأنبياء بها
 لك البشارة يا ذا الفخر (والأثر)⁵

¹ سري: صاحب مروءة وسخاء. الكلمة الأولى غير واضحة؛ ويمكن قراءتها (ووافق).

² هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون. لذا يمكن قراءته كما جاء بين قوسين. (كلمة الحباً) تعني: السحاب الكثيف المقترّب من الأرض.

³ هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون؛ لذا يمكن قراءته كما جاء بين قوسين.

⁴ بقعة من الحبر غطت هذه الكلمة؛ ويمكن أن تكون "وفود" أو "جموع".

⁵ الكلمة في عروض البيت غير واضحة. يمكن أن تكون: "والسير" أو "والأثر".

(ومن) هناك وقيتَ السمعَ مخترقاً¹

مع الأفاضل روح القدس في زمر

2

ومنذ ألفيت نفسي في سرادقه

ضفرت منه بجاه غير منتظر

يا سيي يا رسول الله ليس لنا

إلا حماك لدى الأهوال والوزر

فيا حبيبي ويا ذخري ويا أملي

يا شفيع الورى في الضيق والخطر

ويا رجائي ويا عزي ويا سندي

ويا عمادي ومن أقضي به وطري

ما لي شفيع ولا من أستغيث به

سواك يا سيد الأملاك والبشر

هذا عبيدكم³ الجاني ينوح أحنا

قلب كئيب من الزلات منكسر

هذا عبيدكم ملقى ببابكم

يرجوا شفاعتكم يا خير منتصر

¹ الكلمة الأولى في الصدر عليها بقعة من الحبر؛ ويمكن أن تكون "ومن".

² هذا البيت غير واضح ولا مفهوم. يمكن قراءته هكذا:

لعل أضفر من عقيب مدانحه بموقف ومقام السعد للمدخر

³ استعمل صيغة التصغير لكلمة عبدكم.

مالي مقام ولا جاه ألوذ به
يوما سواك حبيب الله في الندر
إذا مررت على الأهوال خذ بيدي
يا سيدي ليس لي صبر¹ على سقر
يا ذا الجلال ويا ذا الفضل والكرم
نج عبيدك يا رب من السعر²
وامنح عبيدك يا مولاي مغفرة
تمحي الذنوب ولا تبقي ولا تذر
قد مر عمري في الهوى وفي طرب
وفي اتباع الهوى يا ضيعة العمر
واسوءتا كيف ألقى الله، ذا الزلل³
إني المقر ما في الكون من وزر
فليس ينجو بذاك اليوم من أحد
إلا رجال التقى، ويح لمقتصر
مني القطيعة والرحمن ذو كرم
وما امثلت ولم أصغ لمزدجر
كيف النجاة وما قدمت من عمل
أنجو به يوم لا عذر لمعتذر

¹ الأفضل هنا كلمة "جهد"؛ لأن عبارة "ليس لي صبر" قد تعطي معنى معاكس.

² سَعْرٌ؛ مفردها السعير: لهب النار. والسَعْرُ: الجنون.

³ كذا... والله أعلم

يا صامد القلب يا مغرور بالأمل
يا ذاهب الوقت في لهو وفي خطر
مالي أراك على الزلات منعكفا
كأنما لإله العرش لم تحشر
بعد الخروج من الدنيا ترى ندما
ولو دخلت إلى دار النعيم جر¹
تقول بعد خروجك يا أسفا
وأطول حزني على ما فات من عمر
لم أكتسب عملا في البعث ينفعني
ولا جمعت شؤون الزاد للسفر
مات الرجال وما أبقى الزمان سوى
قوم قلوبهم أقسى من الحجر
عُمِّي البصائر إن مروا بموعظة
مروا كسائمة الأنعام والحمير
فاحذرهم أبداً واحذر مجالسهم
هُمُ الشياطين كن منهم على حذر
وفِرَّ من قرناء السوء مجتهداً
واصحب رجال التقى تصفو من القدر
وفِرَّ من علماء السوء إنهم
في البعث أول من يُلقى على سقر

¹ الجري: الوكيل والضامن.

يا ويح من لم يكن بالعلم ذا عمل
يا طول حسرته إن كان ذا خطر
والجاهلون من العباد أكثرهم
على الضلال فكن منهم على حذر
فالقوم قد ختلوا الدنيا بأخرة
ألقوا بأنفسهم بالجهل في الغرر
لكنهم ستروا بالفقر بدعتهم
هم الزنادقة الضُّلال في البشر
باعوا الفريضة بالمندوب يا عجبا
ما لِلْفَرَاشِ¹ رمى بالنفس في السعر
لا تطمئن إلى الدنيا وزخرفها
فإن غايتها كاللمح بالبصر
وكن منيبا إلى الرحمن متقيا
طوبى لمرأى منيب القلب مذكر
فاعلم بأن سراح القلب فكرته
والقلب تغمره الأنوار بالفكر
واعلم بأن صفاء القلب أربعة
بالورع والصمت والإفراد² والسهر²

¹ إشارة إلى الفراشات التي لا تكف عن الدوران حول ضوء القنديل حتى تسقط في لهيبه.
² هذه الصفات اتبعها المتصوفة؛ ويقصد منها: 1 - الورع وهو مجاهدة التقوى عندهم. 2 - ثم الصمت وهم الصيام عن الكلام وتعويضه بالذكر. 3 - ثم الإفراد: وهو الإفراد والعزلة. 4 - ثم السهر: وهو قضاء الليل بالذكر والتأمل.

عليك بالذكر فاستمسك به أبداً
فالذكر مشغلة للقلب في الخير
الغافلون هم الموتى قلوبهم
والذاكرون هم الأحياء في البشر
فلازم الذكر باسم الله مجتهداً
إن شئت صدرك بالأنوار يسفر
إن الرجال به العلاء وصلوا
وعلموا قدر سرّ القلب والفكر
وناظروا ملكوت اللوح واطلعوا
على عجائب صنع الله والقدر
شمس الشهود لهم تبدو إذا غربت
شمس النهار فباعوا النوم بالسهر
طوبى لتابعهم يغشوا مراتبهم
ويبصر الدر في أصدافه القشر
فافعل بما فعلوا تظفر بما ظفروا
وجاهد النفس في الأعمال وابتدر
ولا تكن لهواء¹ النفس متبعاً
فيطمس القلب ما يغشاه من كدر
وراقب الله إن الله مطلع
عليك في جملة الأنفاس والفكر

¹ يقصد بهذه الكلمة "هوى" وليس "هواء"؛ وقد اضطر لذلك.

والحافظين الكرام الكاتبين جَلا¹
 ما ليس يغني فكن منه على حذر
 وفِرَّ من سبل الشيطان معتصما
 بالله في كل ما تقفوه² من أثر
 وعالج النفس إن النفس مائلة
 للفخر فاعتصم بالله واصطبر
 وقف بربك إن الله ذو كرم
 وأَمَلًا قَداحك بالقرآن والذكر
 يا سابع اليوم ما للصبح تقطع³
لولا ارتقيت على الألواح⁴ والأسر
 ما جاب صعب فجاج القدس غير فتي
(مشمر طوقه الجد بالأزر)⁵
 وكل موعظة ليست بنافعة
 إلا لِمَرِيٍّ⁶ سليم الصدر مؤتمر
 يا غافلون عن الرحمن فانتبهوا
(متنافسون) في الدنيا على خطر⁷

¹ جلا يجلو جلاء الأمر: كشفه وأظهره.

² تقفى الشيء: اختاره.

³ سَبَّحَ: في الكلام أكثر منه. وسَبَّحَ: قال سبحانه الله. ومعنى الشطر هو: يا أيها المسبح طول اليوم؛ مالك تقطع تسبيحك..؟

⁴ لوح الجسد جمع ألواح: عظمه.

⁵ هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون؛ لذا يمكن قراءته كما جاء بين قوسين.

⁶ هي امرئ؛ ويبدو أنه اضطر لكسر القياس.

⁷ هذا الشطر غير موزون بسبب كلمة "المتنافسون"؛ لذا يمكن قراءتها "متنافسون"؛ بسكون التاء.

لا حول لي طمحت نفسي بما عملت
بما أمرت وما قلبي بمذكر
زلة وما عملت نفسي بموعظة
فيا خسارة ما ضيعت من عمر
لكن لي طمعا في الله يرحمني
وفي شفاعته خير الخلق من مضر
عليه أزكى صلاة الله يصحبها
أزكى التحية بالأصالة والبكر
ثم الرضى عن سَدَاتٍ¹ المجد سادتنا
وصحب الرسول ومن يقف على أثر
ما هبت الريح من أرض الحجاز وما
أوى الحجيج مقام الركن والحجر

وهذه أيضاً بعض المقطوعات والأبيات المتفرقة
التي نظمها العلامة عبد الرحمن الأخرى؛ نثتها
هنا لعلها تكون مفيدة.

يا طالبا ربه بصدق
بإدراك وإن جلت الخطوب
واقصد كريما بلا تـوان
فسائل الله لا يخيب

¹ أسقط ألف المد بعد السين للضرورة.

غيره:

ولا تأسفن على الدنيا وزينتها
وأرح فؤادك من هم ومن حزن
وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير القطن والكفن

غيره:

ألم تر أن الله قال لمريم
إليك فهزي الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أحني الجذع من غير هز
ولكن كل شيء له سبب

غيره:

عجبا للمسيح بين النصارى
حين قالوا أن الإله أبوه
ثم قالوا ابن الإله إله
ثم قاموا بجهلهم عبدوه

سادساً - القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني:

الله المقتدر الأزل سبحانه هو الصمد
سبحانه جلّ عن المثل لله الحمد على نعم
الفرد الجبار الأزل فهدي برسول الله إلى
منها الإرشاد إلى السبل صلوات الله عليه مدى
أزكى ما كان من الملل زكاه الله وفضله
مرّ الإصباح مع الأصل في ليل أسرى الله به
وحباه مقام القاب علي فرقى مرقى ورأى عجبا
للعرش كما في الذكر تُلي وتباشرت الأملاك به
وأنيّل مقاما لم ينل بين الأملاك يطاق به
والروح مشيعها فقل عرج المختار لمرتبة
يسراً لك يا خير الرّسل إذ ذاك أتم الله له
جبريل إليها لم يصل فحباه مقاما فاق به
ما حوّله من منتحل يا خيبة من لم يقتفه
أرباب العزم من الرّسل وجميع الخلق تلوذ به
ولسنته لم يمتثل تالله لأن شفاعته
يوم الأهوال من الوجل بل أول من ينشق له
لمقدمة والرسل تلي ورسول الله مفاخره
قبر ويحلى بالحلل وحنين الجذع له عجب
ومحاسنه لم تشتمل فتوضاً منه ثلاثمائة
والماء بكفه منهمل ورووا وكذلك مشتمل

ألف مع نصف الألف رووا
والألف بصاع قد شبعوا
وكذا الأشجار له نطقت
وفضائل أحمد لو كتبت
كلّ الكتاب وما وصلوا
يا خير الخلق عبّيدكم
في جاهك إن له طعما
فلعل بفضل شفاعتكم
يا ربي لطفك يا صمد
فاغفر للعبد جنائيه
يا نفسي توبي ولا تهني
فعسى ينجيني من المحن
لا تأتي النفس إلى عمل
وإذا ما تأتي لمعصية
فتجارها لمهاكها
وزكاء النفس مُخالفها
ومتابعها لا بدّ له
وخبث النفس وطائعها
لا تقتفها فيما قصدت
والحي يصون جوارحه
والميت القلب من أهملها
والفكر سراج القلب ولا

وانشق له بدر فقل
والصاع جميعا لم يزل
كالضبّ وذئب والحمل
في وقر الألف من الإبل
لفضائله طول الدول
يخشى ما قارف من زلل
في نيل الجنة ذو أمل
يوقى ما خاف من الثقل
إني في لطفك ذو أمل
أنت الغفار لذي الزلل
في تقوى الله وفي العمل
وعذاب النار المشتعل
إلا بالعجز وبالكسل
تأتي بالحرص وبالجدل
فاحذرهما أيما تميل
وموافقها فعلى خلل
يشقى لو فاق على زجل
تلقيه على ضنك الوحل
وبطاعة ربك فاشتغل
عما تأتيه من الزلل
حتى تلقيه على وحل
كنا عن ذلك في شغل

وحجاب الغفلة مكتنف
وقلوب الخلق بها وقعت
شمر عن ساق الجدد ولا
وهلاك المرء وعلته
فعليك بتقوى الله أخي
في هذي الدار لنا أمل
من عاش اليوم يموت غدا
ما فوق الموت لنا عبر
لو يدري المرء عواقبه
ما ذاق لذيد العيش ولا
لكن المرء بصيرته
وصنيع المرء مجالسه
واعبد مولاك بلا وهن
من قدم شيئاً يلحقه
من خاف مقام الله نجا
ومراقبة الرحمن هدى
وإذا ما جئت لمعصية
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَبَّارَ دَرَى
فالله رقيبٌ مُطَّلِعٌ
فاحذر مولاك ونقمته
إياك وأن تغتر أخي
ثم اذكر هول القبر وما

بالقلب فأى الفكر يلي
ظلماتٌ من سوء العملِ
تمهل فالحسرة في المهل
وخسارت طول الأمل
واحذر من زيغة المَلَلِ
والموت يحيى قبل الأمل
والحكم ينفذ بالأجل
لكن الغفلة لم تزل
من هول الموت وما سيلى
نوماً وانكب إلى العمل
من حجاب الغفلة في ظلل
في القبر فجاهد وامثل
جاهد في الذكر وفي العمل
من بعد الموت على عجل
والويل لعبد لم يجل
تنجي الإنسان من الزلل
فاحذر مولاك على عجل
ورأى ما تصنع من عمل
وعليك شهود لم تحل
واخشع من ربك ذا خجل
بالحلم أو ببساط المهل
تلقى في الحشر من الغلل

واشفق عن نفسك ليس لها
 إن شئت هوى كن ذا جلد
 ما أظلم ذا الإنسان وما
 يعصى مولاه وحوّله
 واحذر كيد الشيطان أخي
 والنفس تقود لشهوتها
 ومثال النفس وشهوتها
 وهواء النفس مخالفها
 من يملك أمر النفس نجح
 وشوّاه لظي نزعته
 ودع الدنيا وزخارفها
 فازهد فيها واقصر أملا
 من آثرها عن آخرة
 سوط² في الجنة يفضلها
 ما منها للإنسان سوى
 فأنرك حبّ الدنيا وكن
 والفترة³ في الأعمال هوى
 والعامل يقفو سنة من
 والناس اليوم على هوة¹

من عذاب جهنم من قبل¹
 للنار وإلاّ فاعتدل
 أطغاه وما أعصاه قل
 خيراً جمّاً لما يزل
 إن الشيطان لذو حيل
 ليكون لها الشيطان ولي
 كذباب أمّ إلى عسل
 يعلو في الجنة عن زحل
 ومتابعتها في النار صلي
 أكلته أكل القتل
 وحبائلها ذات الحيل
 فمحبته رأس الزلل
 مأواه جهنم لم يحل
 بخذافرها إن تكتمل
 كفن في قبر منسدل
 عنها بالطاعة في شغل
 تبقى أسفاً لما يزل
 فاق الأعلام من الرّسل
 في دينهم وعلى خلل

¹ نسخ هذا البيت بخلل في الوزن؛ ويستقيم بالشكل التالي
من نار جهنم من قبل

² هكذا.

³ أي الفتور.

فعليك بنفسك فارتقها
 ولج الخلوات لتألفها
 وجليسك إن يكسبك هوى
 وجليس المرء مشارك
 وغواية الإنس أشهرهم
 وخيار الناس أجلهم
 وأشر الناس أدلهم
 أصحاب من شئت فأنت له
 وعقوق الوالد يوقع في
 ووصايا الله بطاعتهم
 فاحتل عن نفسك مجتهدا
 وعليك بجوع مع سهر
 ودع الجهال وختلهم
 الجهل عمى والعلم هدى
 ما نال مقام المجد فتى
 فعليك بأهل العلم إذا
 واحذر علماء سوء فقد
 حفظوا الأقوال وما عملوا
 ما حرفتهم إلا لعبا
 أرباب قلوب قاسية
 لا نطق لذكر الله لهم
 لا يكسبون العلم سوى
 وتبتل للمولى تصل
 ومن أهل الغفلة فانعزل
 فجلوسك معه من الزلل
 وجليس سوء من العلل
 قرناء سوء فلا تمل
 علما وجهادا في العمل
 لطريق الشر من السبل
 تبع ولما يهواه تل
 إسقاط الباري فامثل
 في الذكر مكررة النقل
 وعن الضلال فلا تسل
 والصمت وإلا فانعزل
 تزداد هدى والقلب علي
 يهدي الإنسان إلى السبل
 إلا بالعلم وبالعمل
 عملوا بالعلم هدى تنل
 خصوا بالإفك وبالخطل
 بالعلم فساء القوم قل
 ولحوم الناس بلا قتل
 للطاعة أصلا لم تمل
 إلا باللهو وبالهزل
 لرياء الناس وللجدل

طمس الأقوال تملقهم يصلون النار كما وردا
فاترك أفعالهم أبدا حاش علماء الخير أولي
فعليك أخي بِمَجَالِسِهِمْ وادخل في المنقطعين إلى
واتل القرآن بفكر حجي والزم عملا بمواعظه
ما فوق كتاب الله هدى وكتاب الله تلاوته
إن شئت رياضاً موقنة والحدود العين وفاكهة
فعليك بسيرة سيدنا إن شئت الجنة فاجتهد
اعمل ما شئت فأنت به وشباب المرء غنيمته
تبألفتي قد ضيعه واعبد لا أمنا ولا قنطا
من صام الحر وقام به وكواعب فيه مخدرة
إن شئت جحيما محرقة ومقامع ليس لها مثل
لولة السوء ذوي الخلل من قبل أولي الأوثان قل
وخذ الأقوال ولا تمل حظ في العلم وفي العمل
واظفر بمحبتهم تصل مولاهم واقصر في الأمل
آناء الليل بلا كلل وزواجه المنهاج تلي
لأولي الأبواب ذوي الوجل تهديك إلى أهدى السبل
وحدائق في الفردوس قل فاتل القرآن بكل تل
طه المختار من الرسل في تقوى الله بلا ملل
مجزي في يوم النكل سعد الشبان أولى العمل
وحديث الخمس له امثلي تجزي بالجنة والحلل
يرقى مرقى في الخلد علي ودهاق الكوب من العسل
وحميما منه البطن ملي وسلاسل والأغلال تلي

وعذاب ليس له طرف
فعليك بتقوى الله تنل
ورضى وخياما مشرقة
وحلى وثيابا رائقة
والحي يلين بموعظة
فحذار الناس وما صنعوا
ويل للناس من الحكم
إذ تنفضح الأسرار به
وتحدث الأرض بما وقعا
وتجى الأشهاد بما شهدت
ويجازى المرء بما عملا
وبكاء الناس إذا كثروا
ويفيض الدمع من الندم
بل يفتقر الإنسان إلى
يتمنى الخلق رجوعهم
وجهنم ترمي بالشرر
والناس يكلمهم عنق
ويجوز الخلق على الركب
وتهيج النار بصيحتها
وتفور تكاد تميّز من
وإذا زفرت للخلق بدت
ولها زعاقات مدهشة

فاعص مولاك ولا تسل
في الخلد قبابا لم تحل
بالحور مغنجة المقل
كالسندس يا لك من حلل
والميت بألف لم ينل
فالناس اليوم على خلل
في يوم الحسرة والنكل
وترى عورات ذوي الزلل
للخلق عليها من العمل
وتفر الناس إلى الرسل
لا ظلم اليوم على رجل
والطفل يشيب من الوجل
ويفيح المرء من العلل
مثقال الذر من العمل
وتمنوا شيئا لم ينل
كالقصر على شكل الجمل
من النار يعلو كالجبل
فزعا من هول ذي ثقل
وتغيظها عند الشعل
غيظ أولى الأجرام تلي
تصطك بإذن الله قل
ولها أمواج كالظلل

لولا حلم المولى مكرت
وجهنم سودا مظلمة
فإذا جاء المختار لها
نجانا الله وعاملنا
من حق عليه القول شفي
أعظم بورود الخلق إلى
ذو لون أصفى من لبن
من مسك أطيب رائحة
ومسير الشهر مسافته
لا يظماً شاربه أبدا
ويذاد التارك سنته
يا حسرة أهل الزيغ إذا
ويقول رسول الله لهم
واذكر هول الميزان وما
تأتي صحف متطايرة
هذي صحف لك تقرأها
وصراط أرق من شعر
من فوق جهنم منتصب
وجميع الخلق تعبوره
وينجي الله برحمته
وزلازل يوم البعث أتت
وكتاب الله وسنته

بجميع الخلق بلا مهل
أبدا لا تفتّر من شعل
خمدت إذ ذاك من الخجل
باللطف ووفق للعمل
والأمر مُقاضي في الأزل
حوض المختار من الغلل
ومذاق أحلى من عسل
كالنجم كؤسا فامثل
كزوايا أربع معتدل
وهناك رسول الله يلي
الراغب عنها ذو الحيل
يتبرأ منهم حين يلي
سحقا سحقا لذوي الميل
في أخذ الصحف من الوجل
من تحت العرش إلى الرجل
فيها ما قلت من العمل
أمضى من سيف منصقل
وله عقبات فامثل
بقضاء الله فلا تخل
من شاء ويوبق ذا الزلل
جمال كتاب الله تلي
فرقان الحق من الخلل

ولسان المرء محاربه
ويفوه المرء بموقفة
يهوى في النار بها حِقبا
يهجوها الناطق هيئة
من أحسن طاعته طلبا
من أم رياء الناس غوى
لا يبقى الله له عملا
والعجب هلاك المرء وقد
وعليك بحفظ السمع تفرز
فالسمع إذا ما أهمل في
وفساد الدين وآفاته
وذووا الأطماع لهم شبه
وزكاة القلب سلامته
إن الأكدار إذا ركدت
وكنوز القلب يصادفها
من ما ط صدئ المرآة رأى
من جاب رحاب النفس وقد
إذ حل بواد القدس وقد
حاذي حضرات القدس وقد
فلنعم فتى يرتاض فضا
ما حل بساط القدس فتى
ما طاق السير أخو عرج

إذ كم قد أوبق من رجل
تنهد بها شم الجبل
تمضيه بسخط الله قل
وتفوق الشامخ في الثقل
للشهرة خاب ولم ينل
قلب وبسخط الله بُلي
بل يفضحه يوم الوجمل
يردي الإنسان بلا مهل
بنجاة القلب من العلل
سمع برصاص النار ملي
طمع يغشاه ولم ينل
بذباب الجيفة في المثل
من حجاب الغفلة والزلل
في قلب المرء فذاك يُلي
من شاء الله بلا حيل
أشكال الكون لذي مقل
ألقى النعلين على عجل
ما آنس منه النور خل
أمسى إذ ذاك في حلل
ء عرصات القلب إلى النهل
يصبو للراحة والكسل
ما طاق الحرب أخو فشل

هل يستمعون الصم دعا
من عاق النفس عوائدها
وزكاة النفس طهارتها
وعلاج النفس رياضتها
ومراقبة المولى وحضو
من دان لأمر الله نجاة
من صح له الإخلاص رقي
حكم ظهرت لما انفجرت
وفقيد دليل يرشده
عجبا لفتى يشكو ظمأ
وشهود الحق وبهجته
فإذا دلكت شمس وخبث
من غاص بذكر القلب بدا
من شد عرى حزم وسرى
أسلك أثرا تريح سفرا
أجري نهرا واسقي شجرا
من سام حمى الجبار عمى
وبناشئة الأسحار أخي
من بات يقوم بمخمصة
وتبيت الحور تطوف به
ورياض الجنة مسكنة
وعماد الدين ومركزه

هل يهدي العمي إلى السبل
يعلو شاوا في القدس علي
مما تقواه من الخطل
بمجاهدة فلتعتدل
ر القلب مقاليد الغل
والويل لمن لم يمثل
درجات القدس وبالرجل
في القلب ينابيع النحل
تهديه صلاة للسبل
ويخوض بماء منهمل
لأخي قلب حي وجل
ظهرت وربت قبل الدلل
كاليم رأى الياقوت جلي
يقضي وطرا مهما يصل
واعتق عبدا تنجو تنل
تجني ثمرا تحت الظلل
والنفس رمى في منسفل
لتنال تفز بالهور جلي
أضحى بحجاء منسقل
فيما يروى عن خير ولي
يجزى بنعيم مكتمل
في الصدق وفي الإخلاص جل

أخلص لله مراقبة
هيئات أولوا الإخلاص عفوا
صم بكم عمي حُمُر
لا تنفع فيهم وعظة
جعلوا دين المولى هزوا
شهوات النفس عبادتهم
يسعون إلى الشهوات كما
ملك الشيطان قلوبهم
هذا زمن قد غاض به
ونجوم الدين لقد أفلوا
وظلام الباطل منتشر
ومعاص الله قد انتشرت
هاج الفساق وقد كثروا
قد غر الناس وأوبقهم
وهجوم الساعة مقترب
وديوك الدلجة قد صرخوا
رحل الأقوام فيا أسفا
وثبات المركب قد ظعنوا
قد مات عني الأبطال وما
وبدت في الناس دجاجلة
لحطام الناس لقد نصبوا
والناس اليوم قد انتهكوا

واصدق في القول وفي العمل
وبقى في الوقت ذووا الخلل
كخشاش الأرض وكالجعل
مما في القلب من الخطل
فالقوم لهم إبليس ولي
والكل ملء البطن ملي
يسعى الحيوان إلى الأكل
فهووا في مهواة الزلل
ينبوع الحق ولم يسئل
من بعد ضياء مكتمل
عم الآفاق ولم يزل
وبدت في الناس بلا خجل
في الناس وقل أولوا العمل
أنظار الله إلى أجل
والناس توسع في الأمل
ودنى الإصباح لمرتجل
وأطول بكائي في الطلل
وبقيت أكابد في نكل
تركوا في الثلة من بطل
أبناء البدعة والخيل
شبكات الطاعة والعمل
حرمات الدين فلا تطل

والعبد بضرب السوط يلي	والحرُّ برمز العين كفى
بتعاقب الأعصر والدول	والدهر يفيد المرء هدى
للعاقل مهمى يمثل	وشموس العبرة مشرقة
نفسى بمقالي من عمل	قد وهنت بذاك وما عملت
عملت بالخير فيا وجلي	للخير تخص الغير وما
سقم ويعالج ذا العلل	مثلي كطبيب حل به
بالذنب وأوزار الثقل	يا رب عبيدك معترف
مولاي ومن ذا غيرك لي	ورجائي فيك يؤانسني
يده من سيء العمل	فاغفر لعبيدك ما اكتسبت
أزكى الشفعاء لذي الزلل	لحبيبك أحمد سيدنا
وسلاما ذا أرج حفل	صلوات الله عليه تفي
وأسود الحرب أولوا النحل	وعلى الأبطال صحابته
وأبي عمرو والليث علي	وأبي بكر وأبي حفص
مشكاة الناس ذوي العمل	هذه كلمات مُشْرِقة
جمع حجج وقت المثل	نجزت بربيع الآخر من

سابعاً - الجواهر المكنون في الثلاثة فنون:

الجواهر المكنون في الثلاثة فنون (البيان والمعاني
والبديع)؛ أرجوزة نظمها الأَخْضَرِي؛ ويصل عدد
أبياتها إلى 291 بيتاً. وهي عبارة عن منظومة لخص

فيها كتاب "التلخيص في علوم البلاغة"؛ لجلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني.¹ وهذا ما صرح به الأخضري نفسه حين قال:

فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدٍ
مُهَذَّبٍ مُنْقَحٍ سَدِيدٍ
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ "التَّلْخِيصِ"
جَوَاهِرًا بَدِيعَةً التَّلْخِيصِ
سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
وَمَا أَلَوْتَ الْجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ

إذن فقد صرح الأخضري بأنه قد اتبع الترتيب نفسه؛ الذي وضعه القزويني؛ غير أنه اجتهد بالتهذيب - كما قال - ولم يكتف بالاقتباس والشرح. وبالمقارنة المتأنيئة بين كتاب القزويني ومنظومة الأخضري يتبين أنه - بالفعل - اتبع معظم الترتيب الموضوع في كتاب "التلخيص"؛ وقد قام بنظم المحتويات الملخصة بمهارة فائقة؛ حتى أنه عالج بعض القضايا بطريقة واضحة وبعناوين أكثر دلالة؛ مثل: تخصيصه عنواناً للإسناد العقلي؛ الذي كان مدمجاً

¹ وهو أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر؛ ولد بالموصل سنة 666 هـ/739م وتوفي بدمشق سنة 1268 هـ/1338م. فقيه شافعي وأديب؛ تولى القضاء في عدة أماكن. من مؤلفاته أيضاً "الإيضاح" وهو شرح للتلخيص، و"السور المرجانيمن شعر الأرجاني".

عند القزويني في محتوى الإسناد الخبيري ككل. كما حرص على إعادة تبويب موضوع "أحوال المسند إليه"؛ بغرض تقريب الفكرة وتوضيحها لتلاميذه؛ فقام بإنشاء فصل بعنوان: "الخروج عن مقتضى الظاهر"؛ بينما عولج هذا الموضوع في كتاب "التلخيص" مدججاً وبشكل غامض. ومجمل القول؛ فالأمثلة على ذلك عديدة ولا يتسع المجال للخوض فيها.

المهم أن هذه المنظومة وجدت عناية كبيرة من قبل العلماء وطالاب العلم؛ فنقلت واستظهرت وشرحت؛ كما طبعت في مصر. وقد تولى الأخضري بنفسه شرح "الجواهر المكنون"؛ فأجزل له شرحاً كبيراً فاق التلخيص للقزويني؛ وهو بالمكتبة الوطنية الجزائرية؛ ولكنه غير منقح؛ ويبدو أن الزمن لم يمهل الأخضري للقيام بذلك. وعليه فقد اهتم بهذا الشرح عدد من العلماء في المغرب والمشرق؛ مثل: أحمد بن مبارك العطار القسنطيني الذي كتب "نزهة العيون" وعبد الكريم الفكون القسنطيني الذي حاول تبييض المخطوط الخام "للجواهر المكنون"؛ ومحمد بن محمد علي ابن موسى الثغري الجزائري الذي كتب: "موضح السر المكنون على الجواهر المكنون"؛ ويوجد - كما يقول الشيخ عبد الرحمن

الجيلالي - هذا الشرح مع شرح الأخصري بإحدى زوايا مدينة معسكر؛ في حي بابا علي.¹ وكان الثغري معجباً للغاية بمنظومة الأخصري وبشرحها عليه؛ إلا أنه أشار - كما ذكر ابن الفكون - إلى حالة الشرح الذي لم يكمل الأخصري تنقيحها. وقد تولى - أيضاً - بعض علماء المشرق شرح "الجواهر المكنون"؛ منهم: أحمد الدمهوري. وجملة القول فإن منظومة "الجواهر المكنون" للأخصري ستعرض كاملة في قسم الملاحق؛ فنتمنى أن تعود بالفائدة على القارئ الكريم.

سَمِّيَتْهُ (بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ)
 فِي صَدَفِ الثَّلَاثَةِ الْفُنُونِ
 وَاللَّهَ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ نَافِعًا
 لِكُلِّ مَنْ يَقْرُوهُ وَرَافِعًا
 وَأَنْ يَكُونَ فَاتِحًا لِلْبَابِ
 لِجُمْلَةِ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ

المقدمة

فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ أَنْ يَخْلُصَ مِنْ
 تَتَافُرِ غَرَابَةِ خُلْفِ زُكَيْنِ

¹ أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 80 - 81. وتاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 173 - 175.

وَفِي الْكَلَامِ مِنْ تَنَافُرِ الْكَلِمِ
وَضَعْفِ تَأْلِيفِ وَتَعْقِيدِ سَلِمِ
وَذِي الْكَلَامِ صِفَةً بِهَا يُطِيقُ
تَأْدِيَةَ الْمُقْصُودِ بِاللَّفْظِ الْأَنِيقِ
وَجَعَلُوا بِلَاغَةَ الْكَلَامِ
طِبَاقَهُ لِمُقْتَضَى الْمَقَامِ
وَحَافِظُ تَأْدِيَةِ الْمَعَانِي
عَنْ خَطَا يُعْرِفُ بِالْمَعَانِي
وَمَا مِنَ التَّعْقِيدِ فِي الْمَعْنَى يَبْقِي
لَهُ الْبَيَانُ عِنْدَهُمْ قَدْ انْتَقِي
وَمَا بِهِ وَجُوهٌ تَحْسِينِ الْكَلَامِ
تُعْرِفُ يُدْعَى بِالْبَدِي وَالسَّلَامِ

الفن الأول: علم المعاني

عِلْمٌ بِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ يُرَى
لَفْظًا مُطَابِقًا وَفِيهِ ذِكْرًا
إِسْنَادٌ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ مُسْنَدٌ
وَمُتَعَلِّقَاتٌ فِعْلٌ تُورَدُ
قَصْرٌ وَإِنْشَاءٌ وَفَصْلٌ وَصَلٌ أَوْ
إِجَازٌ أَطْنَابٌ مُسَاوَاةٌ رَأَوْا

الباب الأول: الإسناد الخبري

الحُكْمُ بِالسَّلْبِ أَوْ الْإِيجَابِ
إِسْنَادُهُمْ وَقَصْدُ ذِي الْخِطَابِ
إِفَادَةُ السَّامِعِ نَفْسَ الْحُكْمِ
أَوْ كَوْنُ مُخْبِرٍ بِهِ ذَا عِلْمٍ
فَأَوَّلُ فَائِدَةٌ وَالثَّانِي
لَا زِمُّهَا عِنْدَ ذَوِي الْأَذْهَانِ
وَرَبَّمَا أَجْرِي مُجْرَى الْجَاهِلِ
مُخَاطَبٌ إِنْ كَانَ غَيْرَ عَامِلٍ
كَقَوْلِنَا لِعَالِمٍ ذِي غَفْلَةٍ
الذِّكْرُ مُفْتَاخُ لِبَابِ الْحَضْرَةِ
فَيَنْبَغِي اقْتِصَارُ ذِي الْإِخْبَارِ
عَلَى الْمَفِيدِ خَشْيَةَ الْإِكْثَارِ
فَيُخْبِرُ الْخَالِي بِلَا تَوْكِيدِ
مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُكْمِ ذَا تَرْدِيدِ
فَحَسَنٌ وَمُنْكَرٌ الْإِخْبَارِ
حَتَّمْ لَهُ بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ
كَقَوْلِهِ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ
فَزَادَ بَعْدُ مَا اقْتَضَاهُ الْمُنْكَرُونَ

لِلْفُظِّ الْإِيتِدَاءَ ثُمَّ الطَّلَبِ
ثُمَّتِ الْإِنْكَارَ الثَّلَاثَةَ أَنْسَبِ
وَاسْتُحْسِنَ التَّأَكِيدُ إِنْ لَوَّحْتَ لَهُ
بِخَبَرِ كَسَائِلِ فِي الْمَنْزِلَةِ
وَأَلْحَقُوا أَمَارَةَ الْإِنْكَارِ بِهِ
كَعَكْسِهِ لِنُكْتَةِ لَمْ تَشْتَبِهَ
بِقَسَمٍ قَدْ إِنْ لَامُ الْإِيتِدَاءِ
وَأُنَوِّنِي التَّوَكِيدِ وَاسْمِ أَكْثَرًا
وَالنَّفْيِ كَالْإِثْبَاتِ فِي ذَا الْبَابِ
يَجْرِي عَلَى الثَّلَاثَةِ الْأَلْقَابِ
بِأَنَّ كَأَنَّ لَامٍ أَوْ بَاءٍ يَمِينُ
كَمَا جَلِيسُ الْفَاسِقِينَ بِالْأَمِينِ

فصل في الإسناد

وَلِحَقِيقَةِ مَجَازٍ وَرَدًا
لِلْعَقْلِ مَنْسُوبِينَ أَمَّا الْمُبْتَدَأُ
إِسْنَادُ فِعْلٍ أَوْ مُضَاهِيهِ إِلَى
صَاحِبِهِ كَفَازَ مَنْ تَبَّأَ
أَقْسَامُهُ مِنْ حَيْثُ الْإِعْتِقَادُ
وَوَاقِعُ أَرْبَعَةٌ تُفَادُ

وَالثَّانِ أَنْ يُسْنَدَ لِلْمَلَابِسِ
لَيْسَ لَهُ يُبْنَى كَثُوبٍ لِابْسِ
أَقْسَامُهُ بِحَسَبِ التَّوَعَيْنِ فِي
جُزْأَيْهِ أَرْبَعُ بِلَا تَكْلُفِ
وَوَجَبَتْ قَرِينَةٌ لَفْظِيَّةٌ
أَوْ مَعْنَوِيَّةٌ وَإِنْ عَادِيَّةٌ

الباب الثاني: في المسند إليه

يُحَذَفُ لِلْعِلْمِ وَالِاخْتِبَارِ
مُسْتَمِعٍ وَصِحَّةِ الْإِنْكَارِ
سْتَرٍ وَضَيْقِ فُرْصَةٍ إِجْلَالِ
وَعَكْسِهِ وَنَظْمِ اسْتِعْمَالِ
كَحَبِّذَا طَرِيقَةَ الصُّوفِيَّةِ
تَهْدِي إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْعَلِيَّةِ
وَإِذْكَرُهُ لِلأَصْلِ وَالِإِحْتِيَاظِ
غَبَاوَةٍ إِيْضَاحِ انْبِسَاطِ
تَلْذُّذِ تَبَرُّكِ إِعْظَامِ
إِهَانَةِ تَشْوِيقِ نِظَامِ
تَعَبُّدِ تَعْجُّبِ تَهْوِيلِ
تَقْرِيرِ أَوْ إِشْهَادِ أَوْ تَسْجِيلِ

وَكُونُهُ مُعَرَّفًا بِمُضْمَرٍ
 بِحَسَبِ الْمَقَامِ فِي النَّحْوِ دُرِي
 وَالْأَصْلُ فِي الْمُخَاطَبِ التَّعْيِينُ
 وَالتَّرْكُ لِلشُّمُولِ مُسْتَبِينُ
 وَكُونُهُ بَعْلَمٍ لِيُخَصَّصَ
 بِذِهْنِ سَامِعٍ بِشَخْصٍ أَوَّلًا
 تَبَرُّكٌ تَلَذُّذٌ عِنَايَةٌ
 إِجْلَالٌ أَوْ إِهَانَةٌ كِنَايَةٌ
 وَكُونُهُ بِالْوَصْلِ لِلتَّفْخِيمِ
 تَقْرِيرٌ أَوْ هُجْنَةٌ أَوْ تَوْهِيمٌ
 إِيمَاءٌ أَوْ تَوَجُّهُ السَّامِعِ لَهُ
 أَوْ فَقْدِ عِلْمِ سَامِعٍ غَيْرِ الصَّلَةِ
 وَبِإِشَارَةٍ لِكَشْفِ الْحَالِ
 مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ أَوْ اسْتِحْهَالِ
 أَوْ غَايَةِ التَّمْيِيزِ وَالتَّعْظِيمِ
 وَالْحَطِّ وَالتَّنْبِيهِ وَالتَّفْخِيمِ
 وَكُونُهُ بِاللَّامِ فِي النَّحْوِ عُلْمٌ
 لَكِنَّ الاسْتِغْرَاقَ فِيهِ يَنْقَسِمُ
 إِلَى حَقِيقِيٍّ وَعُرْفِيٍّ وَفِي
 فَرْدٍ مِنَ الْجَمْعِ أَعَمٍّ فَاقْتُفِي
 وَبِإِضَافَةٍ لِحَصْرِ وَاخْتِصَارِ
 تَشْرِيْفِ أَوَّلٍ وَثَانٍ وَاحْتِقَارِ

تَكَافُؤُ سَامَةً إِخْفَاءُ
وَحَثُّ أَوْ مَجَازُ اسْتِهْزَاءُ
وَنَكْرُوَا إِفْرَادًا أَوْ تَكْثِيرًا
تَنْوِيعًا أَوْ تَعْظِيمًا أَوْ تَحْقِيرًا
كَجَهْلٍ أَوْ تَجَاهُلٍ تَهْوِيلٍ
تَهْوِينٍ أَوْ تَلْيِيسٍ أَوْ تَقْلِيلٍ
وَوَصْفُهُ لِكَشْفٍ أَوْ تَخْصِيصٍ
ذَمٌّ ثَنًا تَوْكِيدٍ أَوْ تَنْصِيصٍ
وَأَكْذُوبًا تَقْرِيرًا أَوْ قَصْدًا الْخُلُوصُ
مِنْ ظَنٍّ سَهْوٍ أَوْ مَجَازٍ أَوْ خُصُوصٍ
وَعَطْفُوهَا عَلَيْهِ بِالْيَّانِ
بِاسْمٍ بِهِ يَخْتَصُّ لِلْيَّانِ
وَأَبْدَلُوهَا تَقْرِيرًا أَوْ تَخْصِيصًا
وَعَطْفُوهَا بِنَسَقٍ تَفْصِيصًا
لِأَحَدِ الْجُزْأَيْنِ أَوْ رَدًّا إِلَى
حَقٍّ وَصَرَفٍ الْحُكْمِ لِلَّذِي تَلَا
وَالشَّكِّ وَالشَّكِيكَ وَالْإِبْهَامِ
وَعَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ
وَفَصْلُهُ يُفِيدُ قَصْرَ الْمُسْنَدِ
عَلَيْهِ كَالصُّوفِيِّ وَهُوَ الْمُهْتَدِي
وَقَدَّمَوهَا لِلْأَصْلِ أَوْ تَشْرِيفٍ
لِخَبَرٍ تَلْذُّذٍ تَشْرِيفٍ

وَحَطُّ اهْتِمَامٍ أَوْ تَعْظِيمٍ
تَفَاوُلٍ تَخْصِيصٍ أَوْ تَعْمِيمٍ
إِنْ صَاحَبَ الْمُسْنَدُ حَرْفَ السَّلْبِ
إِذْ ذَاكَ يَقْتَضِي عُمُومَ السَّلْبِ

فصل: في الخروج عن مقتضى الظاهر

وَحَرَجُوا عَنْ مُقْتَضَى الظَّوَاهِرِ
كَوَضْعِ مُضْمَرٍ مَكَانَ الظَّاهِرِ
لِنُكْتَةِ كَبَعَثٍ أَوْ كَمَالِ
تَمْيِيزِ أَوْ سُخْرِيَةِ إِجْهَالِ
أَوْ عَكْسِ أَوْ دَعْوَى الظُّهُورِ وَالْمَدْدِ
لِنُكْتَةِ التَّمْكِينِ كَ "اللَّهُ الصَّمَدُ"
وَقَصْدِ الإِسْتِعْطَافِ وَالإِرْهَابِ
نَحْوِ "الْأَمِيرُ وَقِفْ بِالْبَابِ"
وَمِنْ خِلَافِ الْمُقْتَضَى صَرَفُ الْمَرَادِ
ذِي نُطْقٍ أَوْ سُؤْلِ لِغَيْرِ مَا أَرَادَ
لِكَوْنِهِ أَوْلَى بِهِ وَأَجْدَرًا
كَقِصَّةِ الْحَجَّاجِ وَالْقَبَعَثَرِيِّ
وَالإِلْتِفَاتِ وَهُوَ الإِنْتِقَالُ مِنْ
بَعْضِ الْأَسَالِيبِ إِلَى بَعْضِ قَمِينِ

وَالْوَجْهُ الْإِسْتِجْلَابُ بِالْخِطَابِ
وَنُكْتَةٌ تَخْتَصُّ بَعْضَ الْبَابِ
وَصَيْغَةُ الْمَاضِي لَاتٍ أَوْرَدُوا
وَقَلَّبُوا لِنُكْتَةٍ وَأَنْشَدُوا
وَمَهْمَمِهِ مُغْبِرَةٌ أَرْجَاؤُهُ
كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

الباب الثالث: المسند

يُحَذَفُ مُسْنَدٌ لِمَا تَقَدَّمَ
وَالْتَزَمُوا قَرِينَةَ لِيُعْلَمَ
وَذِكْرُهُ لِمَا مَضَى أَوْ لِيُرَى
فِعْلاً أَوْ اسْمًا فَيُفِيدُ الْمُخْبِرَ
وَأَفْرَدُوهُ لِإِنْعَادِ التَّقْوِيَةِ
وَسَبَبُ كَ "الزُّهْدُ رَأْسُ التَّرَكِيهِ"
وَكَوْنُهُ فِعْلاً فَلِلتَّقْيِيدِ
بِالْوَقْتِ مَعَ إِفَادَةِ التَّحْدِيدِ
وَكَوْنُهُ اسْمًا لِلثَّبُوتِ وَالِدَّوَامِ
وَقَيَّدُوا كَالْفِعْلِ رَعِيًّا لِلتَّمَامِ
وَتَرَكُوا تَقْيِيدَهُ لِنُكْتَةٍ
كَسْتُرَةٍ أَوْ انْتِهَازِ فُرْصَةٍ

وَخَصَّصُوا بِالْوَصْفِ وَالْإِضَافَةِ
 وَتَرَكُوا لِمُقْتَضِ خِلَافَتِهِ
 وَكَوْنِهِ مُعَلَّقًا بِالشَّرْطِ
 فَلَمَعَانِي أَدْوَاتِ الشَّرْطِ
 وَنَكَّرُوا إِتْبَاعًا أَوْ تَفْخِيمًا
 حَطًّا وَفَقْدَ عَهْدٍ أَوْ تَعْمِيمًا
 وَعَرَّفُوا إِفَادَةَ لِلْعِلْمِ
 بِنِسْبَةٍ أَوْ لِأَزْمٍ لِلْحُكْمِ
 وَقَصَّروا تَحْقِيقًا أَوْ مُبَالَغَةً
 بِعُرْفِ جِنْسِهِ كـ "هِنْدُ الْمُبَالَغَةِ"
 وَجُمْلَةً لِسَبَبٍ أَوْ تَقْوِيَةٍ
 كـ "الذِّكْرُ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَةِ"
 وَأَسْمِيَّةَ الْجُمْلَةِ وَالْفِعْلِيَّةَ
 وَشَرَطُهَا لِلنُّكْتَةِ الْجَلِيَّةِ
 وَأَخَرُوا أَصَالََةً وَقَدَّمُوا
 لِقَصْرِ مَا بِهِ عَلَيْهِ يُحْكَمُ
 تَنْبِيهِ أَوْ تَفَاوُلٍ تَشَوُّفٍ
 كَفَازَ بِالْحَضْرَةِ ذُو تَصَرُّفٍ

الباب الرابع: في متعلقات الفعل

وَالْفِعْلُ مَعَ مَفْعُولِهِ كَالْفِعْلِ مَعَ
فَاعِلِهِ فِيمَا لَهُ مَعَهُ اجْتِمَاعُ
وَالْغَرَضُ الْإِشْعَارُ بِالتَّلَبُّسِ
بِوَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِيهِ فَآتَسِ
وَوَاحِدٌ قَاصِرٌ كَقَاصِرٍ يُعَدُّ
مَهْمَا يَكُ الْمَقْصُودُ نِسْبَةً فَقَدْ
وَيُحْذَفُ الْمَفْعُولُ لِلتَّعْمِيمِ
وَهُجْنَةٌ فَاصِلَةٌ تَفْهِيمِ
مِنْ بَعْدِ إِبْهَامٍ وَالْإِخْتِصَارِ
كَ"بَلَغَ الْمَوْلِعَ بِالْأَذْكَارِ"
وَجَاءَ لِلتَّخْصِيصِ قَبْلَ الْفِعْلِ
تَهْمُومِ تَبْرُكٍ وَفَضْلِ
وَإِحْكَمِ لِمَعْمُولَاتِهِ بِمَا ذُكِرَ
وَالسَّرُّ فِي التَّرْتِيبِ فِيهَا مُشْتَهَرٌ

الباب الخامس: القصر

تَخْصِيصُ أَمْرٍ مُطْلَقاً بِأَمْرٍ
هُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِالْقَصْرِ

يَكُونُ فِي الْمَوْصُوفِ وَالْأَوْصَافِ
وَهُوَ حَقِيقِيٌّ كَمَا إِضَافِي
لِقَلْبٍ أَوْ تَعْيِينٍ أَوْ إِفْرَادٍ
كَأَنَّمَا تَرَقَى بِالِاسْتِعْدَادِ
وَأَدْوَاتُ الْقَصْرِ إِلَّا إِنَّمَا
عَطْفٌ وَتَقْدِيمٌ كَمَا تَقَدَّمَا

الباب السادس: في الإنشاء

مَا لَمْ يَكُنْ مُحْتَمِلًا لِلصِّدْقِ
وَالْكَذِبِ الْإِنْشَاكَ "كُنْ بِالْحَقِّ"
وَالطَّلْبُ اسْتِدْعَاءُ مَا لَمْ يَحْضُرْ
أَقْسَامُهُ كَثِيرَةٌ سَتَجَلِي
أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَدُعَاءٌ وَنِدَاءٌ
تَمَنُّ اسْتِفْهَامٌ اعْطِيتَ الْهُدَى
وَاسْتَعْمَلُوا كَلَيْتَ لَوْ وَهَلْ لَعَلَّ
وَحَرْفَ حَضٍّ وَلِلِاسْتِفْهَامِ هَلْ
أَيُّ مَتَى أَيَّانَ أَيْنَ مَنْ وَمَا
وَكَيْفَ أَنَّى كَمْ وَهَمْزٌ عَلِمَا
وَالْهَمْزُ لِلتَّصْدِيقِ وَالتَّصَوُّرِ
وَبِالَّذِي يَلِيهِ مَعْنَاهُ حَرِي

وَهَلْ لِتَصْدِيقِ بَعْكَسٍ مَا غَبَرُ
وَلَفْظُ الْإِسْتِفْهَامِ رَبَّمَا عَبَرُ
لِأَمْرِ اسْتِبْطَاءٍ أَوْ تَقْرِيرِ
تَعْجُّبٍ تَهَكُّمِ تَحْقِيرِ
تَنْبِيهِ اسْتِبْعَادٍ أَوْ تَرْهِيْبِ
إِنْكَارِ ذِي تَوْبِيخٍ أَوْ تَكْذِيبِ
قَدْ يَجِي أَمْرًا وَنَهْيًا وَنِدَا
فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ لِأَمْرِ قُصْدَا
وَصِيغَةُ الْإِخْبَارِ تَأْتِي لِلطَّلَبِ
لِفَالٍ أَوْ حِرْصٍ وَحَمَلٍ وَأَدَبٍ

الباب السابع: الفصل والوصل

الفصلُ تَرْكُ عَطْفِ جُمْلَةٍ أَتَتْ
مِنْ بَعْدِ أُخْرَى عَكْسَ وَصَلٍ قَدْ ثَبَّتْ
فَافْصِلْ لَدَى التَّوَكِيدِ وَالْإِبْدَالِ
لِنُكْتَةٍ وَنِيَّةِ السُّؤَالِ
وَعَدَمِ التَّشْرِيكِ فِي حُكْمِ جَرَى
أَوْ اخْتِلَافِ طَلْبًا أَوْ خَبْرًا
وَفَقْدِ جَامِعٍ وَمَعَ إِيْهَامِ
عَطْفِ سِوَى الْمُقْصُودِ فِي الْكَلَامِ

وَصِلْ لَدَى التَّشْرِيكِ فِي الإِعْرَابِ
وَقَصْدِ رَفْعِ اللَّبْسِ فِي الجَوَابِ
وَفِي اتِّفَاقِ مَعَ الإِتِّصَالِ
فِي عَقْلِ أَوْ فِي وَهْمٍ أَوْ خِيَالِ
وَالْوَصْلِ مَعَ تَنَاسُبِ فِي اسْمٍ وَفِي
فِعْلٍ وَفَقْدِ مَانِعٍ قَدْ اصْطَفَيْ

الباب الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة

تَأْدِيَةُ المَعْنَى بِلَفْظٍ قَدْرِهِ
هِيَ المَسَاوَاةُ كَسِرِّ بِذِكْرِهِ
وَبِأَقْلٍ مِنْهُ إِيجَازٌ عِلْمٌ
وَهُوَ إِلَى قَصْرِ وَحَذْفٍ يَنْقَسِمُ
كَ"عَنْ مَجَالِسِ الفُسُوقِ بَعْدًا
وَلَا تُصَاحِبُ فَاسِقًا فَتَرْدَى"
وَعَكْسُهُ يُعْرَفُ بِالإِطْنَابِ
كَ"الزَّمْ - رَعَاكَ اللهُ - قَرَعَ البَابِ"
يَجِيءُ بِالإِضْحَاحِ بَعْدَ اللَّبْسِ
لِشَوْقٍ أَوْ تَمَكُّنٍ فِي النَّفْسِ
وَجَاءَ بِالإِغْيَالِ وَالتَّذْيِيلِ
تَكْرِيرِ اعْتِرَاضٍ أَوْ تَكْمِيلِ

يُدْعَى بِالِاخْتِرَاسِ وَالتَّثْمِيمِ
وَقَفْوِ ذِي التَّخْصِيصِ ذَا التَّعْمِيمِ
وَوَصْمَةِ الْإِخْلَالِ وَالتَّطْوِيلِ
وَالْحَشْوِ مَرْدُودٌ بِلَا تَفْصِيلِ

الفن الثاني: علم البيان

فَنُ الْبَيَانِ عِلْمٌ مَا بِهِ عُرِفَ
تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِطُرُقٍ مُخْتَلِفٍ
وُضُوحُهَا وَاحْصُرُهُ فِي ثَلَاثَةٍ
تَشْبِيهِ أَوْ مَجَازٍ أَوْ كِنَايَةٍ

فصل في الدلالة الوضعية

وَالْقَصْدُ بِالِدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ
عَلَى الْأَصَحِّ الْفَهْمِ لَا الْحِسِّيَّةِ
أَقْسَامُهَا ثَلَاثَةٌ مُطَابَقَةٌ
تَضْمُنُ التِّزَامَ أَمَّا السَّابِقَةُ
فَهِيَ الْحَقِيقَةُ لَيْسَ فِيَّ فَنُّ الْبَيَانِ
بَحْثٌ لَهَا وَعَكْسُهُ الْعَقْلِيَّتَانِ

الباب الأول: التشبيه

تَشْبِيهُنَا دَلَالَةً عَلَى اشْتِرَاكِ
أَمْرَيْنِ فِي مَعْنَى بَالَةٍ أَتَاكَ
أَرْكَانُهُ أَرْبَعَةٌ وَجْهٌ أَدَاهُ
وَطَرْفَاهُ فَاتَّبَعَ سُبُلَ النَّجَاهِ
فَصَلُّ وَحَسِيَّانِ مِنْهُ الطَّرْفَانُ
أَيْضاً وَعَقْلِيَّانِ أَوْ مُخْتَلِفَانِ
الْوَجْهُ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ
وَدَاخِلًا وَخَارِجًا تُلْفِيهِ
وَخَارِجٌ وَصَفٌ حَقِيقِيٌّ جَلَاً
بِحِسِّ أَوْ عَقْلِ وَنَسْبِيٌّ تَلَاً
وَوَاحِدًا يَكُونُ أَوْ مُؤَلَّفًا
أَوْ مُتَعَدِّدًا وَكُلُّ عُرْفَا
بِحِسٍّ أَوْ عَقْلِ وَتَشْبِيهِ نُمِي
فِي الضِّدِّ وَالتَّلْمِيحِ لِلتَّهْكُمِ

فصل: في أداة التشبيه وغايته وأقسامه

أَدَاتُهُ كَأَنَّ مِثْلُ
وَكُلُّ مَا ضَاهَاهُ ثُمَّ الْأَصْلُ

إِيْلَاءُ مَا كَالْكَافِ مَا شُبِّهَ بِهِ
 بَعْكَسٍ مَا سِوَاهُ فَاعْلَمْ وَأَنْتَبِهْ
 وَغَايَةَ التَّشْبِيهِ كَشْفُ الْحَالِ
 مِقْدَارٍ أَوْ مَكَانٍ أَوْ إِصْصَالِ
 تَزْيِينٍ أَوْ تَشْوِيهِ اهْتِمَامِ
 تَنْوِيهِ اسْتِظْرَافٍ أَوْ إِيْهَامِ
 رُجْحَانُهُ فِي الْوَجْهِ بِالْمَقْلُوبِ
 كَ "الْلَيْثُ مِثْلُ الْفَاسِقِ الْمَصْحُوبِ"
 وَبِاعْتِبَارِ الطَّرْفَيْنِ يَنْقَسِمُ
 أَرْبَعَةً تَرْكِيبًا أَفْرَادًا عَلِيمٌ
 وَبِاعْتِبَارِ عَدَدِ مَلْفُوفٍ أَوْ
 مَفْرُوقٍ أَوْ تَسْوِيَةِ جَمْعٍ رَأْوًا
 وَبِاعْتِبَارِ الْوَجْهِ تَمْثِيلٌ إِذَا
 مِنْ مُتَعَدِّدٍ تَرَاهُ أَحْذَا
 وَبِاعْتِبَارِ الْوَجْهِ أَيْضًا مُجْمَلٌ
 خَفِيٌّ أَوْ جَلِيٌّ أَوْ مُفَصَّلٌ
 وَمِنْهُ بِاعْتِبَارِهِ أَيْضًا قَرِيبٌ
 وَهُوَ جَلِيٌّ الْوَجْهِ عَكْسُهُ الْغَرِيبُ
 لِكَثْرَةِ التَّفْصِيلِ أَوْ لِنُدْرَةِ
 فِي الذِّهْنِ كَ "التَّرْتِيبِ فِي كُنْهَيْتِي"
 وَبِاعْتِبَارِ آلَةٍ مُؤَكَّدٌ
 بِحَذْفِهَا وَمُرْسَلٌ إِذْ تُوجَدُ

وَمِنْهُ مَقْبُولٌ بِغَايَةِ يَفِي
وَعَكْسُهُ الْمَرْدُودُ وَالتَّعْسُفُ
وَأَبْلَغُ التَّشْبِيهِ مَا مِنْهُ حُذِفُ
وَجْهٌ وَآلَةٌ يَلِيهِ مَا عُرِفُ

الباب الثاني: الحقيقة والمجاز

حَقِيقَةٌ مُسْتَعْمَلٌ فِيهَا وَضِعُ
لَهُ بَعْرِفِ ذِي الْخِطَابِ فَاتَّبِعْ
ثُمَّ الْمَجَازُ قَدْ يَجِيءُ مُفْرَدًا
وَقَدْ يَجِيءُ مُرَكَّبًا فَالْمُبْتَدَأُ
كَلِمَةٌ غَايَرَتِ الْمَوْضُوعَ مَعُ
قَرِينَةٌ لِعُلُقَةٍ نَلَّتِ الْوَرَعُ
كَاخْلَعِ نَعَالَ الْكُونِ كَيْ تَرَاهُ
وَعُضُّ طَرْفِ الْقَلْبِ عَنْ سِوَاهُ
كِلَاهُمَا شَرْعِيٌّ أَوْ عُرْفِيٌّ
نَحْوُ ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّوفِيِّ
أَوْ لُغَوِيٌّ وَالْمَجَازُ مُرْسَلٌ
أَوْ اسْتِعَارَةٌ فَأَمَّا الْأَوَّلُ
فَمَا سِوَى تَشَابُهِ عِلَاقَتِهِ
جُزْءٌ وَكُلٌّ أَوْ مَحَلٌّ آتَهُ

ظَرْفٌ وَمَظْرُوفٌ مُسَبَّبٌ سَبَبٌ
وَصَفٌ لِمَاضٍ أَوْ مَالٍ مُرْتَقِبٌ

فصل في الاستعارات

وَالِاسْتِعَارَةُ مَجَازٌ عُلِقَتْهُ
تَشَابُهُ كَ "أَسَدٍ شَجَاعَتُهُ"
وَهِيَ مَجَازٌ لُغَةٌ عَلَى الْأَصَحِّ
وَمُنَعَتْ فِي عِلْمٍ لِمَا اتَّضَحَ
وَفَرْدًا أَوْ مَعْدُودًا أَوْ مُؤَلَّفًا
مِنْهُ قَرِينَةٌ لَهَا قَدْ أَلْفَا
وَمَعَ تَنَافِي طَرْفَيْهَا تَتَمِّي
إِلَى الْعِنَادِ لَا الْوِفَاقِ فَاعْلَمِ
ثُمَّ الْعِنَادِيَّةُ تَلْمِيحِيَّةٌ
تُلْفَى كَمَا تُلْفَى تَهَكُّمِيَّةٌ
وَبَاعْتِبَارِ جَامِعِ قَرِيْبِهِ
كَقَمَرٍ يَقْرَأُ أَوْ غَرِيْبِهِ
وَبَاعْتِبَارِ جَامِعِ وَطَرْفَيْهِ
حِسًّا وَعَقْلًا سِيِّئَةً بَغَيْرِ مِيْنِ
وَاللَّفْظُ إِنْ جَنَسًا فَقُلْ أَصْلِيَّةٌ
وَتَبَعِيَّةٌ لَدَى الْوَصْفِيَّةِ

وَالْفِعْلُ وَالْحَرْفُ كَحَالِ الصُّوفِيِّ
يَنْطِقُ أَنَّهُ الْمُنِيبُ الْمُوفِيُّ
وَأُطْلِقَتْ وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَقْتَرِنْ
بِوَصْفٍ أَوْ تَفْرِيعِ أَمْرٍ فَاسْتَبِينَ
وَجُرِّدَتْ بِإِلْتِقِ بِالْفَصْلِ
وَرُشِّحَتْ بِإِلْتِقِ بِالْأَصْلِ
نَحْوُ ارْتَقَى إِلَى سَمَاءِ الْقُدْسِ
فَفَاقَ مَنْ خَلْفَ أَرْضِ الْحِسِّ
أَبْلَغَهَا التَّرْشِيحَ لِابْتِنَائِهِ
عَلَى تَنَاسِيِ الشَّبْهِ وَانْتِفَائِهِ

فصل في التحقيقية والعقلية

وَذَاتُ مَعْنَى ثَابِتٍ بِحِسِّ أَوْ
عَقْلٍ فَتَحْقِيقِيَّةٌ كَذَا رَأَوْا
كَأَشْرَقَتْ بِصَائِرِ الصُّوفِيَّةِ
بِشَّمْسِ نُورِ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ

فصل في المكنية

وَحَيْثُ تَشْبِيهِ بِنَفْسٍ أُضْمِرًا
وَمَا سِوَى مُشَبَّهِ لَمْ يُذَكَّرَا
وَدَلٌّ لَازِمٌ لِمَا شُبَّ بِهِ
فَذَلِكَ التَّشْبِيهُ عِنْدَ الْمُتَّبِعِ
يُعْرَفُ بِاسْتِعَارَةِ الْكِنَايَةِ
وَذِكْرُ لَازِمٍ بِتَخْيِيلِيَّةٍ
كَأَنْشَبَتْ مَنِيَّةً أَظْفَارَهَا
وَأَشْرَقَتْ حَضْرَتُهَا أَنْوَارَهَا

فصل في تحسين الاستعارة

مُحْسِنُ اسْتِعَارَةٍ تَدْرِيبُهُ
يُدْعَى بِوَجْهِ الْحُسْنِ لِلتَّشْبِيهِ
وَالْبُعْدُ عَنِ رَائِحَةِ التَّشْبِيهِ فِي
لَفْظٍ وَلَيْسَ الْوَجْهُ أَلْغَاظًا قُفِي

فصل في تركيب المجاز

مُرَكَّبُ الْمَجَازِ مَا تَحَصَّلَ
فِي نِسْبَةٍ أَوْ مِثْلِ تَمَثِيلٍ جَلَا
وَإِنْ أَبِي اسْتِعَارَةً مُرَكَّبٌ
فَمَثَلًا يُدْعَى وَلَا يُنَكَّبُ

فصل في تغيير الإعراب

وَمِنْهُ مَا إِعْرَابُهُ تَغْيِيرًا
بِحَذْفِ لَفْظٍ أَوْ زِيَادَةِ تُرَى

الباب الثالث: الكناية

لَفْظٌ بِهِ لِأَزْمٍ مَعْنَاهُ قُصِدَ
مَعَ جَوَازِ قُصْدِهِ مَعَهُ يَرِدُ
إِلَى اخْتِصَاصِ الْوَصْفِ بِالْمَوْصُوفِ
كَ"الْخَيْرُ فِي الْعُزْلَةِ يَا ذَا الصُّوفِي"
وَنَفْسُ مَوْصُوفٍ وَوَصْفٍ وَالْعَرَضُ
إِيضًا اخْتِصَارًا أَوْ صَوْنًا عَرَضُ

أَوْ انْتِفَاءِ اللَّفْظِ لِاسْتِهْجَانِ
وَنَحْوِهِ كَ "اللَّمْسِ وَالْإِثْيَانِ"

فصل في مراتب المجاز الكنى

ثُمَّ الْمَجَازُ وَالْكُنَى أْبْلَغُ مِنْ
تَصْرِيحٍ أَوْ حَقِيقَةٍ كَذَا زُكِنُ
فِي الْفَنِّ تَقْدِيمُ اسْتِعَارَةٍ عَلَى
تَشْبِيهِهِ أَيْضًا بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ

الفن الثالث: علم البديع

عِلْمٌ بِهِ وَجُوهٌ تَحْسِينِ الْكَلَامِ
يُعْرَفُ بَعْدَ رَعْيِ سَابِقِ الْمَرَامِ
ثُمَّ وَجُوهٌ حُسْنِهِ ضَرْبَانِ
بِحَسَبِ الْأَلْفَازِ وَالْمَعَانِي

الضرب الأول: المعنوي

وَعُدَّ مِنْ أَلْقَابِهِ الْمُطَابَقَةُ
تَشَابُهُهُ الْأَطْرَافِ وَالْمُوَافَقَةُ

وَالْعُكْسُ وَالتَّسْهِيمُ وَالْمُشَاكَلَةُ
 تَزَاوُجٌ رُجُوعٌ أَوْ مُقَابَلَةٌ
 تَوْرِيَةٌ تُدْعَى بِإِيهَامٍ لِمَا
 أُرِيدَ مَعْنَاهُ الْبَعِيدُ مِنْهُمَا
 وَرُشِّحَتْ بِمَا يُلَائِمُ الْقَرِيبَ
 وَجُرِّدَتْ بِفَقْدِهِ فَكُنْ مُنِيبٌ
 جَمْعٌ وَتَفْرِيقٌ وَتَقْسِيمٌ وَمَعٌ
 كِلَيْهِمَا أَوْ وَاحِدٌ جَمْعٌ يَقَعُ
 وَاللَّفُّ وَالنَّشْرُ وَالِاسْتِخْدَامُ
 أَيْضاً وَتَجْرِيدٌ لَهُ أَقْسَامٌ
 ثُمَّ الْمُبَالَغَةُ وَصَفٌ يُدْعَى
 بُلُوغُهُ قَدْرًا يُرَى مُمْتَنِعًا
 أَوْ تَابِعًا وَهُوَ عَلَى أَنْحَاءٍ
 تَبْلِيغٌ إِغْرَاقٌ غَلُوبٌ جَائِي
 مَقْبُولٌ أَوْ مَرْدُودٌ التَّفْرِيعُ
 وَحُسْنُ تَعْلِيلٍ لَهُ تَنْوِيحٌ
 وَقَدْ أَتَوْا فِي الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ
 بِحُجَجٍ كَمَهْيَعِ الْكَلَامِ
 وَأَكَّدُوا مَذْحًا بِشِبْهِ الذَّمِّ
 كَالْعُكْسِ وَالِإِدْمَاجِ مِنْ ذَا الْعِلْمِ
 وَجَاءَ الْإِسْتِتْبَاعُ وَالتَّوْجِيهُ مَا
 يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ

وَمِنْهُ قَصْدُ الْجَدِّ بِالْهَزْلِ كَمَا
يُشْنَى عَلَى الْفَخُورِ ضِدًّا مَا اعْتَمَا
وَسُوقُ مَعْلُومٍ مَسَاقَ مَا جُهْلُ
لِنُكْتَةٍ تَجَاهُلُ عَنْهُمْ نُقِلُ
وَالْقَوْلُ بِالْمُوجِبِ قُلْ ضَرْبَانِ
كَالْأَهْمَا فِي الْفَنِّ مَعْلُومَانِ
وَالْإِطْرَادُ الْعَطْفُ بِالْآبَاءِ
لِلشَّخْصِ مُطْلَقًا عَلَى الْوَلَاءِ

الضرب الثاني: اللفظي

مِنْهُ الْجِنَاسُ وَهُوَ ذُو تَمَامٍ
مَعَ اتِّحَادِ الْحَرْفِ وَالنَّظَامِ
وَمُتَمَاتٍ لَا دُعَىٰ إِنْ ائْتَلَفَ
نَوْعٌ وَمُسْتَوْفَىٰ إِذَا النَّوْعُ اخْتَلَفَ
لَنْ يَعْرِفَ الْوَاحِدُ إِلَّا وَاحِدًا
فَاخْرُجْ عَنِ الْكَوْنِ تَكُنْ مُشَاهِدًا
وَمِنْهُ ذُو التَّرْكِيبِ ذُو تَشَابُهٍ
خَطًّا وَمُفْرُوقٌ بِلَا تَشَابُهٍ
وَإِنْ بِهِيَّةِ الْحُرُوفِ اخْتَلَفَا
فَهُوَ الَّذِي يَدْعُوْنَهُ الْمُحَرَّفَا

وَنَاقِصٌ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْعَدَدِ
 وَشَرْطُ خُلْفِ النَّوْعِ وَاحِدٌ فَقَدْ
 وَمَعَ تَقَارُبِ مُضَارِعِ أَلْفٍ
 وَمَعَ تَبَاعُدِ بِلَاحِقٍ وَصِفٍ
 وَهُوَ جِنَاسُ الْقَلْبِ حَيْثُ يَخْتَلِفُ
 تَرْتِيبُهَا لِلْكَلِّ وَالْبَعْضُ أَضِيفُ
 مُجَنِّحاً يُدْعَى إِذَا تَقَاسَمَا
 يَيْتاً فَكَانَا فَاتِحاً وَخَاتِماً
 وَمَعَ تَوَالِي الطَّرْفَيْنِ عُرْفَا
 مُزْدَوِجاً كُلُّ جِنَاسٍ أَلْفَا
 تَنَاسُبُ اللَّفْظَيْنِ بِاشْتِقَاقِ
 وَشَبْهِهِ فَذَلِكَ ذُو التَّحَاقِ
 وَيَرُدُّ التَّجْنِيسُ بِالِإِشَارَةِ
 مِنْ غَيْرِ أَنْ يُذَكَّرَ فِي الْعِبَارَةِ
 وَمِنْهُ رَدُّ عَجْزِ اللَّفْظِ عَلَى
 صَدْرِ فَنِي نَشْرٍ بِفَقْرَةٍ جَلَا
 مُكْتَنِفَاً وَالنَّظْمُ الْأَوَّلُ أَوَّلَا
 أَحْرَ مِصْرَاعٍ فَمَا قَبْلُ تَلَا
 مُكَرَّراً مُجَانِساً وَمَا التَّحَقُّقُ
 يَأْتِي كَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ

فصل في السجع

وَالسَّجْعُ فِي فَوَاصِلِ فِي النَّثْرِ
مُشَبَّهَةٌ قَافِيَةٌ فِي الشُّعْرِ
ضُرُوبُهُ ثَلَاثَةٌ فِي الْفَنِّ
مُطَرَّفٌ مَعَ اخْتِلَافِ الْوِزْنِ
مُرْصَعٌ إِنْ كَانَ مَا فِي الثَّانِيَةِ
أَوْ جُلُّهُ عَلَى وَفَاقِ الْمَاضِيَةِ
وَمَا سِوَاهُ الْمُتَوَازِي فَادْرِي
كَ"سُرْرٍ مَرْفُوعَةٍ فِي الذِّكْرِ"
أَبْلَغُ ذَلِكَ مُسْتَوْفَمَا يُرَى
فِيهِ الْقَرِيبَتَيْنِ الْأُخْرَى أَكْثَرًا
وَالْعَكْسُ إِنْ يَكْثُرُ فَلَيْسَ يَحْسُنُ
وَمُطَلَقًا أَعْجَازُهَا تُسَكَّنُ
وَجَعَلَ سَجْعَ كُلِّ شَطْرٍ غَيْرَ مَا
فِي الْآخِرِ التَّشْطِيرُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ

فصل في الموازنة

ثُمَّ الْمَوَازِنَةُ وَهِيَ التَّسْوِيَةُ
لِفَاصِلِ فِي الْوِزْنِ لَا فِي التَّقْفِيَةِ

وَهِيَ الْمُمَاتِلَةُ حَيْثُ يَتَّفِقُ
فِي الْوِزْنِ لَفْظٌ فَقَرْتَيْهِ فَاسْتَفِقُ
وَالْقَلْبُ وَالتَّشْرِيعُ وَالتَّزَامُ مَا
قَبْلَ الرَّوِيِّ ذِكْرُهُ لَنْ يَلْزَمَا

السَّرِقَاتُ

وَأَخَذُ شَاعِرٍ كَلَامًا سَبَقَهُ
هُوَ الَّذِي يَدْعُوْنَهُ بِالسَّرِقَةِ
وَكُلُّ مَا قُرِّرَ فِي الْأَبَابِ
أَوْ عَادَةٍ فَلَيْسَ مِنْ ذَا الْبَابِ
وَالسَّرِقَاتُ عِنْدَهُمْ قِسْمَانِ
خَفِيَّةٌ جَلِيَّةٌ وَالثَّانِي
تَضُمُّنُ الْمَعْنَى جَمِيعًا مُسَجَّلًا
إِرَادَةُ انْتِحَالِ مَا قَدْ نُقِلَ
بِحَالِهِ وَالْحَقُّوا الْمُرَادِفَا
بِهِ وَيُدْعَى مَا أَتَى مُخَالَفَا
لِنُظْمِهِ إِغَارَةٌ وَحُمْدَا
حَيْثُ مِنَ السَّابِقِ كَانَ أَجْوَدَا
وَأَخَذَهُ الْمَعْنَى مُجَرَّدَا دُعِي
سَلْخَا وَإِلْمَامَا وَتَقْسِيمَا فَعِي

السرقفة الخفية

وَمَا سِوَى الظَّاهِرِ إِن تَغَيَّرَا
مَعْنَى بوجهِ مَا وَمَحْمُوداً يُرَى
لِنَقْلِ أَوْ خَلَطِ شُمُولِ الثَّانِي
وَقَلْبِ أَوْ تَشَابُهِ المَعَانِي
أحوَالُهُ بِحَسَبِ الخَفَاءِ
تَفَاضَلَتْ فِي الحُسْنِ وَالشَّاءِ

الاقتباس

وَالِاقتِبَاسُ أَن يُضْمَنَ الكَلَامُ
قُرْآنًا أَوْ حَدِيثَ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ
وَالِاقتِبَاسُ عِنْدَهُمْ ضَرْبَانِ
مُحَوَّلٌ وَثَابِتٌ المَعَانِي
وَجَائِزٌ لِوَزْنِ أَوْ سِوَاهُ
تَغْيِيرُ نَدْرِ اللَّفْظِ لِأَمَعْنَاهُ

التضمنين والحل والعقد

وَالأَخْذُ مِنْ شِعْرٍ بِحَذْفِ مَا خَفِيَ
تَضْمِينُهُمْ وَمَا عَلَى الأَصْلِ يَفِي
لِنُكْتَةٍ جَلِيَّةٍ وَاعْتِفِرًا
يَسِيرٌ تَغْيِيرٌ وَمَا مِنْهُ يُرَى
بَيْتًا فَأَعْلَى بِاسْتِعَانَةِ عُرْفِ
وَشَطْرًا أَوْ اذْنَى بِإِيدَاعِ أُلْفِ
وَالعَقْدُ نَظْمُ النَّثْرِ لَا بِالإِقْتِبَاسِ
وَالْحَلُّ نَثْرُ النَّظْمِ فَأَعْرِفِ القِيَّاسِ
وَاشْتَرَطُوا الشُّهُرَةَ فِي الكَلَامِ
وَالْمَنْعُ أَصْلُ مَذْهَبِ الإِمَامِ

التلميح

إِشَارَةٌ لِقِصَّةِ شِعْرٍ مَثَلُ
مِنْ غَيْرِ ذِكْرِهِ فَتَلْمِيحٌ كَمَلُ

تذنيب بالألقاب من الفن

مِنْ ذَلِكَ التَّوْشِيحُ وَالتَّرْدِيدُ
تَرْتِيبُ اخْتِرَاعٍ أَوْ تَعْدِيدُ
كَالتَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ
السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ لَسَّاجِدُونَ
تَطْرِيْزٌ أَوْ تَدْيِيْجٌ اسْتِشْهَادُ
إِيضَاحٌ ائْتِلَافٌ اسْتِطْرَادُ
إِحَالَةٌ تَلْوِيْحٌ أَوْ تَخْيِيلُ
وَفُرْصَةٌ تَسْمِيْطٌ أَوْ تَعْلِيْلُ
تَحْلِيَّةٌ أَوْ نَقْلٌ أَوْ تَخْتِمُ
تَجْرِيْدٌ اسْتِقْلَالٌ أَوْ تَهَكُّمُ
تَعْرِِيْضٌ أَوْ إِلْغَازٌ اِرْتِقَاءُ
تَنْزِيْلٌ أَوْ تَأْنِيْسٌ أَوْ إِيْمَاءُ
حُسْنُ الْبَيَانِ وَصَفٌ أَوْ مُرَاجَعَةٌ
حُسْنُ تَخَلُّصٍ بِلا مُنَازَعَةٍ

فصل: فيما لا يعد كذبا

وَلَيْسَ فِي الْإِيهَامِ وَالتَّهَكُّمِ
وَلَا التَّغَالِي بِسِوَى الْمُحَرَّمِ

مِنْ كَذِبٍ وَفِي الْمِزَاحِ قَدْ لُزِبُ
بِحَيْثُ لَا مِنْهُ يُعَدُّ مِنَ الْكَذِبِ

خاتمة

وَيَبْغِي لِصَاحِبِ الْكَلَامِ
تَأْتِقُ فِي الْبِدْءِ وَالْحِتَامِ
بِمَطْلَعِ حَسَنِ وَحُسْنِ الْفَالِ
وَسَبِّكَ أَوْ بَرَاعَةِ اسْتِهْلَالِ
وَالْحُسْنِ فِي تَخْلُصٍ أَوْ اقْتِضَابِ
وَفِي الَّذِي يَدْعُوهُ فَضْلَ الْخِطَابِ
وَمَنْ سِمَاتِ الْحُسْنِ فِي الْحِتَامِ
إِرْدَافُهُ بِمُشْعِرِ التَّمَامِ
هَذَا تَمَامُ الْجُمْلَةِ الْمُقْصُودَةِ
مِنْ صِفَةِ الْبَلَاغَةِ الْمَحْمُودَةِ
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ طَوْلَ الْأَمْدِ
عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى (مُحَمَّدٍ)
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ
مَا غَرَّدَ الْمُشْتَقُّ بِالْأَسْحَارِ
وَحَرَّ سَاجِدًا إِلَى الْأَذْقَانِ
يَبْغِي وَسِيلَةً إِلَى الرَّحْمَنِ

تَمَّ بِشَهْرِ الْحِجَّةِ الْمَيْمُونِ
تَثْمِيْمُ نِصْفِ عَاشِرِ الْقُرُونِ

ثامناً: - السلم المرونق:

"السلم المرونق" منظومة من بحر الرجز؛ أنجزها الأخصري في 144 بيتاً؛ وقد لخص فيها "علم المنطق والحكمة" ببراعة كبيرة؛ بغرض إفادة تلاميذه، وتعليمهم أهم القضايا التي عاجلها علم المنطق. وبذلك تتضح مكانة الأخصري العلمية والمنهجية. كما قام الأخصري - بنفسه - بإعداد شرح لمنظومة "السلم المرونق". وقد طبع المتن وشرحه معاً في مصر. كما طبعت المنظومة - لوحدها - عدة مرات في مصر.

وقد تولى - أيضاً - شرح منظومة "السلم المرونق" عدد من علماء المغرب والمشرق ك: مصر والسودان والهند؛¹ حيث طبعت وتناولها الناس بالحفظ والدرس. ففي المشرق شرحت من قبل: إبراهيم الباجوري،² ومحمد الأنباي،³ ومحمد التفاني. أما في الجزائر؛ فأهم شرح لمنظومة "السلم المرونق" كان

¹ أنظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 159 - 160.

² وهو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري؛ فقيه شافعي ولد سنة 1198 هـ/1784م؛ في قرية باجور التابعة للمنوفية بمصر؛ وتولى مشيخة الأزهر؛ ثم توفي سنة 1277 هـ/1860م. من مؤلفاته أيضاً: "حاشية على مختصر السنوسي" في المنطق، و"التحفة الخيرية" وهي حاشية على الشنشورية في الفرائض، و"تحفة المريد على جوهرة التوحيد"، وغيره.

³ هو شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الأنباي؛ فقيه شافعي؛ ولد في القاهرة سنة 1240 هـ/1824م، وتوفي بها سنة 1313 هـ/1896م؛ تقلد مشيخة الأزهر مرتين؛ من مؤلفاته أيضاً: "حاشية على رسالة الصبان" في البيان، و"تقرير على حاشية السجاعي على شرح القطر لابن هشام" في النحو، وغيره.

من قبل سعيد بن إبراهيم قدورة،¹؛ هذا بالإضافة إلى المستشرق الفرنسي لوسيانى²؛ الذي أعد - أيضاً - تحقيقاً وشرحاً "للسلم المرونق".

وهكذا؛ ففي الوقت الذي يقف علماء آخرون ضد تدريس المنطق والكتابة فيه - لاعتقادهم أنه من العلوم العقلية؛ التي تتعارض مع المعتقد الديني - نرى الأخضري يقف في صف العلماء المتتورين؛ الذين يؤيدون تدريس المنطق؛ لما فيه من فوائد. وقد أشار الأخضري بنفسه لهذا الأمر حين قال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَخْرَجَنَا
نَتَائِجَ الْفِكْرِ لِأَرْبَابِ الْحِجَابِ
وَحَطَّ عَنْهُمْ مِنْ سَمَاءِ الْعَقْلِ
كُلَّ حِجَابٍ مِنْ سَحَابِ الْجَهْلِ
حَتَّى بَدَتْ لَهُمْ شُمُوسُ الْمَعْرِفَةِ
رَأَوْا مُخَدَّرَاتِهَا مُنْكَشِفَةً

إلى أن يقول:

(وَبَعْدُ): فَالْمَنْطِقُ لِلْجَنَانِ
نَسْبَتُهُ كَالنَّحْوِ لِلْسَّانِ

¹ هو فيه مالكي ومفتي الجزائر؛ ولد بالجزائر وتوفي بها سنة 1066 هـ/1656م. من مؤلفاته أيضاً: "شرح الصغرى للسوسى"، و"شرح على جوهرة التوحيد للقاتي".

² Luciani, J.D. (1851 - 1932)؛ وهو من علماء القانون؛ ولكنه اهتم بتحقيق ونشر عدد من المخطوطات العربية؛ في الجزائر وباريس.

فَيَعْرِضُ الْأَفْكَارَ عَنْ غِيِّ الْخَطَا
 وَعَنْ دَقِيقِ الْفَهْمِ يَكْشِفُ الْغَطَا
 فَهَآكَ مِنْ أَصُولِهِ قَوَاعِدَا
 تَجْمَعُ مِنْ فُنُونِهِ فَوَائِدَا
 سَمِيَّتُهُ: "بِالسُّلَمِ الْمُرَوِّقِ"¹
 يُرْقَى بِهِ سَمَاءُ عِلْمِ "الْمَنْطِقِ"
 وَاللَّهُ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَالِصَا
 لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ لَيْسَ قَالِصَا²
 وَأَنْ يَكُونَ نَافِعَا لِلْمُبْتَدِي
 بِهِ إِلَى الْمَطَوَّلَاتِ يَهْتَدِي
 وَالْخُلْفُ فِي جَوَازِ الْإِشْتِغَالِ
 بِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالِ
 فَابْنُ الصَّلَاحِ وَالنَّوَاوِي حَرَّمَا
 وَقَالَ قَوْمٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَا
 وَالْقَوْلَةُ الْمَشْهُورَةُ الصَّحِيحَةُ
 جَوَازُهُ لِكَامِلِ الْقَرِيحَةِ
 مُمَارِسِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ
 لِيَهْتَدِي بِهِ إِلَى الصَّوَابِ

¹ كتب في النسخة التي بين يدي: "السلم المنورق" ويبدو أن ذلك حدث بسبب التصحيف.

² أي ليس منقبضاً ولا منكشراً

فصل: في أنواع العلم الحادث

إِدْرَاكُ مُفْرَدٍ تَصَوُّرًا عُلْمٌ
وَدَرَكُ نِسْبَةٍ بِتَصْدِيقٍ وَسِمٌ
وَقَدِّمِ الْأَوَّلَ عِنْدَ الْوَضْعِ
لَأَنَّهُ مُقَدَّمٌ بِالطَّبَعِ
وَالنَّظَرِي مَا أَحْتَاجُ لِلتَّأْمُلِ
وَعَكْسُهُ هُوَ الضَّرُورِيُّ الْجَلِي
وَمَا بِهِ إِلَى تَصَوُّرٍ وَصِلُ
يُدْعَى بِقَوْلٍ شَارِحٍ فَلْتَبْتَهَلُ
وَمَا لِتَصْدِيقٍ بِهِ تُوصِّلُ
بِحُجَّةٍ يُعْرَفُ عِنْدَ الْعُقَلَا

فصل: في أنواع الدلالة الوضعية

دِلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى مَا وَافَقَهُ
يَدْعُونَهَا دِلَالَةَ الْمُطَابَقَةِ
وَجُزْئِهِ تَضَمُّنًا وَمَا لَزِمَ
فَهُوَ التِّزَامُ إِنْ بَعَقِلَ التُّزِمَ

فصل: في مباحث الألفاظ

مُسْتَعْمَلُ الْأَفْظَانِ حَيْثُ يُوجَدُ
إِمَّا مُرَكَّبٌ وَإِمَّا مُفْرَدٌ
فَأَوَّلُ مَا دَلَّ جُزْؤُهُ عَلَى
جُزْءٍ مَعْنَاهُ بَعَكْسِ مَا تَلَا
وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ أَعْنِي الْمَفْرَدَا
كُلِّيٌّ أَوْ جُزْئِيٌّ حَيْثُ وَجِدَا
فَمَفْهُمُ اشْتِرَاكِ الْكُلِّيُّ
كَأَسَدٍ وَعَكْسُهُ الْجُزْئِيُّ
وَأَوَّلًا لِلذَّاتِ إِنْ فِيهَا أَنْدَرَجُ
فَأَنْسَبُهُ أَوْ لِعَارِضٍ إِذَا خَرَجُ
وَالْكُلِّيَّاتُ خَمْسَةٌ دُونَ انْتِقَاصُ
جِنْسٌ وَفَصْلٌ عَرَضٌ نَوْعٌ وَخَاصُ
وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٌ بِلَا شَطَطُ
جِنْسٌ قَرِيبٌ أَوْ بَعِيدٌ أَوْ وَسَطُ

فصل في نسبة الألفاظ للمعاني

وَنِسْبَةُ الْأَفْظَانِ لِلْمَعَانِي
خَمْسَةٌ أَقْسَامٌ بِلَا نُقْصَانِ

تَوَاطُؤُ تَشَاكُكُ تَخَالُفُ
وَالِشْتِرَاكُ عَكْسُهُ التَّرَادُفُ
وَاللَّفْظُ إِمَّا طَلَبٌ أَوْ خَبَرٌ
وَأَوَّلُ ثَلَاثَةِ سُدُكْرُ
أَمْرٌ مَعَ اسْتِعْلَاً وَعَكْسُهُ دُعَا
وَفِي التَّسَاوِي فَالْتِمَاسُ وَقَعَا

فصل: في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية

الْكُلُّ حُكْمٌ عَلَى الْمَجْمُوعِ
كَكُلِّ ذَاكَ لَيْسَ ذَا وَقُوعِ
وَحَيْثُمَا لِكُلِّ فَرْدٍ حُكْمًا
فَإِنَّهُ كَلِّيَّةٌ قَدْ عُلِمَا
وَالْحُكْمُ لِلْبَعْضِ هُوَ الْجَزْئِيَّةُ
وَالْجُزْءُ مَعْرِفَتُهُ جَلِيَّةُ

فصل: في المعارف

مُعْرِفٌ عَلَى ثَلَاثَةِ قَسَمٍ
حَدٌّ وَرَسْمِيٌّ وَلَفْظِيٌّ عُلِمَ

فَالْحَدُّ بِالْجِنْسِ وَفَصْلٌ وَقَعَا
والرسم بالجنس وخاصة معا
وَنَاقِصُ الْحَدِّ بِفَصْلٍ أَوْ مَعَا
جِنْسٍ بَعِيدٍ لَا قَرِيبٍ وَقَعَا
وَنَاقِصُ الرَّسْمِ بِخَاصَّةٍ فَقَطْ
أَوْ مَعَ جِنْسٍ أَبْعَدِ قَدِ ارْتَبَطُ
وَمَا بِلَفْظِيٍّ لَدَيْهِمْ شَهْرًا
تَبْدِيلُ لَفْظٍ بِرَدِيفٍ أَشْهَرًا
وَشَرْطُ كُلِّ أَنْ يُرَى مُطَّرِدًا
مُنْعَكِسًا وَظَاهِرًا لَا أَبْعَدَا
وَلَا مُسَاوِيًا وَلَا تَجَوُّزًا
بِلَا قَرِينَةٍ بِهَا تُحِرِّزَا
وَلَا بِمَا يُدْرَى بِمَحْدُودٍ وَلَا
مُشْتَرِكٍ مِنَ الْقَرِينَةِ خَلَا
وَعِنْدَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْمَرْدُودِ
أَنْ تَدْخُلَ الْأَحْكَامُ فِي الْحُدُودِ
وَلَا يَجُوزُ فِي الْحُدُودِ ذِكْرُ أَوْ
وَجَائِزٌ فِي الرَّسْمِ فَادِرٌ مَا رَوَّوَا

باب القضايا وأحكامها

مَا احْتَمَلَ الصَّدَقَ لِذَاتِهِ جَرَى
بَيْنَهُمْ قَضِيَّةٌ وَخَبْرًا
ثُمَّ الْقَضَايَا عِنْدَهُمْ قِسْمَانِ
شَرْطِيَّةٌ حَمَلِيَّةٌ وَالثَّانِي
كَلِيَّةٌ شَخْصِيَّةٌ وَالْأَوَّلُ
إِمَّا مُسَوَّرٌ وَإِمَّا مُهْمَلٌ
وَالسُّورُ كَلِيَّةٌ وَجَزِيَّةٌ يُرَى
وَأَرْبَعُ أَقْسَامُهُ حَيْثُ جَرَى
إِمَّا بِكُلِّ أَوْ بِنَعْضٍ أَوْ بِإِلَّا
شَيْءٍ وَلَيْسَ بَعْضٌ أَوْ شِبْهُ جَلًّا
وَكَلِّهَا مُوجِبَةٌ وَسَالِبَةٌ
فَهِيَ إِذْنٌ إِلَى الثَّمَانِ آيَةٍ
وَالْأَوَّلُ الْمَوْضُوعُ فِي الْحَمَلِيَّةِ
وَالْآخِرُ الْمَحْمُولُ بِالسُّوِّيَّةِ
وَإِنْ عَلَى التَّعْلِيْقِ فِيهَا قَدْ حُكِمَ
فَإِنَّهَا شَرْطِيَّةٌ وَتَنْقَسِمُ
أَيْضًا إِلَى شَرْطِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ
وَمِثْلَهَا شَرْطِيَّةٌ مُنْفَصِلَةٌ

جُزَاهُمَا مُقَدَّمٌ وَتَالِي
 أَمَّا يَيَانُ ذَاتِ الْإِتِّصَالِ
 مَا أُوجِبَتْ تَلَاذُمَ الْجُزْأَيْنِ
 وَذَاتِ الْإِنْفِصَالِ دُونَ مَيْنِ
 مَا أُوجِبَتْ تَنَافُرًا بَيْنَهُمَا
 أَقْسَامُهُمَا ثَلَاثَةٌ فَالتُّعْلَمَا
 مَانِعُ جَمْعٍ أَوْ خُلُوعٍ أَوْ هُمَا
 وَهُوَ الْحَقِيقِيُّ الْأَخْصُ فَاعْلَمَا

فصل: في التناقض

تَنَاقُضٌ خُلْفُ الْقَضِيَّتَيْنِ فِي
 كَيْفٍ وَصِدْقٍ وَاحِدٍ أَمْرٌ قُفِي
 فَإِنْ تَكُنْ شَخْصِيَّةً أَوْ مُهْمَلَةً
 فَتَقْضُهَا بِالْكَيفِ أَنْ تُبَدِّلَهُ
 وَإِنْ تَكُنْ مَحْضُورَةً بِالسُّورِ
 فَانْقُضْ بِضِدِّ سُورِهَا الْمَذْكُورِ
 وَإِنْ تَكُنْ مُوجِبَةً كُلِّيَّةً
 نَقِضْهَا سَالِبَةً جُزْئِيَّةً
 وَإِنْ تَكُنْ سَالِبَةً كُلِّيَّةً
 نَقِضْهَا مُوجِبَةً جُزْئِيَّةً

فصل: في العكس المستوي

العكسُ قلبُ جزأيِ القضيَّةِ
مع بقاء الصِّدقِ والكيفيَّةِ
والكمِّ إلاَّ الموجبَ الكلِّيَّةِ
فَعَوَضُهَا الْمَوْجِبَةُ الْجُزْئِيَّةِ
والعكسُ لازمٌ لغيرِ ما وجدَ
به اجتماعُ الخسيتينِ فاقْتَصِدْ
ومثلها المهملةُ السليَّةُ
لأنَّها في قُوَّةِ الجزئيَّةِ
والعكسُ في مرَّتَبِ بالطَّبعِ
وليسَ في مرَّتَبِ بالوَضْعِ

باب: في القياس

إنَّ القياسَ مِنْ قَضَايَا صُورًا
مُسْتَلْزَمًا بِالذَّاتِ قَوْلًا آخَرَ
ثُمَّ القياسُ عِنْدَهُمْ قِسْمَانِ
فَمِنْهُ مَا يُدْعَى بِالِاقْتِرَانِي

وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى النَّيْجَةِ
 بِقُوَّةٍ وَاخْتَصَّ بِالْحَمَلِيَّةِ
 فَإِنْ تُرِدْ تَرْكِيئَهُ فَرَكِّبَا
 مُقَدِّمَاتِهِ عَلَى مَا وَجَبَا
 وَرَتَّبِ الْمُقَدِّمَاتِ وَأَنْظُرَا
 صَاحِبَهُمَا مِنْ فَاسِدٍ مُخْتَبِرَا
 فَإِنَّ لَأَزِمَ الْمُقَدِّمَاتِ
 بِحَسَبِ الْمُقَدِّمَاتِ آتِ
 وَمَا مِنْ الْمُقَدِّمَاتِ صُغْرَى
 فَيَجِبُ أَنْدِرَاجُهَا فِي الْكُبْرَى
 وَذَاتُ حَدٍّ أَصْغَرُ صُغْرَاهُمَا
 وَذَاتُ حَدٍّ أَكْبَرُ كُبْرَاهُمَا
 وَأَصْغَرُ فَذَلِكَ ذُو أَنْدِرَاجِ
 وَوَسَطٌ يُلْغَى لَدَى الْإِنْتِاجِ

فصل: في الأشكال

الشُّكْلُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ
 يُطْلَقُ عَنْ قَضِيَّتِي قِيَاسِ
 مِنْ غَيْرِ أَنْ تُعْتَبَرَ الْأَسْوَارُ
 إِذْ ذَاكَ بِالضَّرْبِ لَهُ يُشَارُ

وَلِلْمُقَدَّمَاتِ أَشْكَالٌ فَقَطُّ
 أَرْبَعَةٌ بِحَسَبِ الْحَدِّ الْوَسَطِ
 حَمَلٌ بِصُغْرَى وَضَعُهُ بِكُبْرَى
 يُدْعَى بِشَكْلِ أَوَّلٍ وَيُدْرَى
 وَحَمْلُهُ فِي الْكُلِّ ثَانِيًا عُرْفٌ
 وَوَضَعُهُ فِي الْكُلِّ ثَالِثًا أَلْفٌ
 وَرَابِعُ الْأَشْكَالِ عَكْسُ الْأَوَّلِ
 وَهِيَ عَلَى التَّرْتِيبِ فِي التَّكْمُلِ
 فَحَيْثُ عَنْ هَذَا النَّظَامِ يُعَدَّلُ
 فَفَاسِدُ النَّظَامِ أَمَّا الْأَوَّلُ
 فَشَرْطُهُ الْإِجَابُ فِي صُغْرَاهُ
 وَأَنْ تُرَى كَلِيَّةً كُبْرَاهُ
 وَالثَّانِي أَنْ يَخْتَلِفَا فِي الْكَيْفِ مَعَ
 كَلِيَّةِ الْكُبْرَى لَهُ شَرْطٌ وَقَعُ
 وَالثَّلَاثُ الْإِجَابُ فِي صُغْرَاهُمَا
 وَأَنْ تُرَى كَلِيَّةً إِحْدَاهُمَا
 وَرَابِعُ عَدَمُ جَمْعِ الْخِسْتَيْنِ
 إِلَّا بِصُورَةٍ فِيهَا تَسْتَبِينُ
 صُغْرَاهُمَا مُوجِبَةً جُزْئِيَّةً
 كُبْرَاهُمَا سَالِبَةً كَلِيَّةً
 فَمُنْتَجَجٌ لِأَوَّلِ أَرْبَعَةٍ
 كَالثَّانِ ثُمَّ ثَالِثٌ فَسِتَّةٌ

وَرَابِعٌ بِخَمْسَةٍ قَدْ اُنْتَجَا
وَعَيْرُ مَا ذَكَرْتُهُ لَنْ يُنْتَجَا
وَتَتَّبِعُ النَّتِيجَةَ الْأَخْسَّ مِنْ
تِلْكَ الْمُقَدَّمَاتِ هَكَذَا زُكِنُ
وَهَذِهِ الْأَشْكَالُ بِالْحَمَلِيِّ
مُخْتَصَّةٌ وَلَيْسَ بِالشَّرْطِيِّ
وَالْحَذْفُ فِي بَعْضِ الْمُقَدَّمَاتِ
أَوْ النَّتِيجَةِ لِعِلْمِ آتِ
وَتَنْتَهِي إِلَى ضَرُورَةٍ لِمَا
مِنْ دَوْرٍ أَوْ تَسْلُسُلٍ قَدْ لَزِمَا

في القياس الاستثنائي

وَمِنْهُ مَا يُدْعَى بِالِاسْتِثْنَائِيِّ
يُعْرَفُ بِالشَّرْطِيِّ بِإِلا امْتِرَاءِ
وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى النَّتِيجَةِ
أَوْ ضِدَّهَا بِالْفِعْلِ لَا بِالْقُوَّةِ
فَإِنْ يَكُ الشَّرْطِيُّ ذَا اتِّصَالٍ
أَنْتَجَ وَضَعُ ذَاكَ وَضَعُ التَّالِيِ
وَرَفَعُ تَالِ رَفَعُ أَوَّلٍ وَلَا
يَلْزَمُ فِي عَكْسِهِمَا لِمَا اُنْتَجَلِي

وَإِنْ يَكُنْ مُنْفَصِلًا فَوَضِعْ ذَا
يُنْتِجُ رَفَعَ ذَاكَ وَالْعَكْسُ كَذَا
وَذَاكَ فِي الْأَخْصِ ثُمَّ إِنْ يَكُنْ
مَانِعَ جَمَعَ فَبِوَضْعِ ذَا زُكِنَ
رَفَعَ لِذَاكَ دُونَ عَكْسٍ وَإِذَا
مَانِعَ رَفَعَ كَانَ فَهُوَ عَكْسُ ذَا

فصل: في لواحق القياس

وَمِنْهُ مَا يَدْعُونَهُ مُرَكَّبًا
لِكَوْنِهِ مِنْ حُجَجٍ قَدْ رُكِّبَا
فَرَكَبْنَاهُ إِنْ تُرِدُ أَنْ تَعْلَمَاهُ
وَأَقْلِبْ نَتِيجَةَ بِهِ مُقَدَّمَاهُ
يَلْزَمُ مِنْ تَرْكِيبِهَا بِأُخْرَى
نَتِيجَةَ إِلَى هَلُمَّ جَرًّا
مُتَّصِلُ النَّتَائِجِ الَّذِي حَاوَى
يَكُونُ أَوْ مَفْصُولُهَا كُلُّ سَوَا
وَإِنْ بِجُزْئِيٍّ عَلَى كُلِّيٍّ اسْتَدِلَّ
فَذَا بِالِاسْتِقْرَاءِ عِنْدَهُمْ عَقْلُ
وَعَكْسُهُ يُدْعَى الْقِيَاسَ الْمُنْطَقِيَّ
وَهُوَ الَّذِي قَدَّمْتَهُ فَحَقَّقْ

وَحَيْثُ جُزئِيٌّ عَلَى جُزءٍ حُمِلُ
لِجَامِعِ فَذَاكَ تَمثِيلُ جُعِلُ
وَلَا يُفِيدُ الْقَطْعَ بِالِدَّلِيلِ
قِيَاسُ الْإِسْتِقْرَاءِ وَالتَّمثِيلِ

أقسام الحججة

وَحُجَّةٌ نَقْلِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ
أَقْسَامُ هَذِي خَمْسَةٌ جَلِيَّةٌ
خَطَابَةٌ شِعْرٌ وَبُرْهَانٌ جَدَلٌ
وَخَامِسٌ سَفْسَطَةٌ نَلَتْ الْأَمْلُ
أَجَلُّهَا الْبُرْهَانُ مَا أُفِّفَ مِنْ
مُقَدِّمَاتٍ بِالْيَقِينِ تَقْتَرِنُ
مِنْ أَوْلِيَّاتٍ مُشَاهَدَاتٍ
مُجَرَّبَاتٍ مُتَوَاتِرَاتٍ
وَخَدْسِيَّاتٍ وَمَحْسُوسَاتٍ
فَتَلُوكَ جُمْلَةٌ الْيَقِينِيَّاتِ
وَفِي دِلَالَةِ الْمُقَدِّمَاتِ
عَلَى النَّيْجَةِ خِلَافٌ آتٍ
عَقْلِيٌّ أَوْ عَادِيٌّ أَوْ تَوَلَّدُ
أَوْ وَاجِبٌ وَالْأَوَّلُ الْمُؤَيَّدُ

خاتمة

وَخَطَأُ الْبُرْهَانِ حَيْثُ وَجِدَا
فِي مَادَّةٍ أَوْ صُورَةٍ فَالْمُبْتَدَأُ
فِي اللَّفْظِ كَاشْتِرَاكِ أَوْ كَجَعَلِ ذَا
تَبَايُنٍ مِثْلَ الرَّدِيفِ مَأْخِذًا
وَفِي الْمَعَانِي لِالْتِبَاسِ الْكَاذِبَةِ
بِذَاتِ صِدْقٍ فَافْهَمِ الْمُخَاطَبَةُ
كَمِثْلِ جَعَلِ الْعَرَضِيِّ كَالذَّاتِي
أَوْ نَاتِجِ إِحْدَى الْمَقْدَمَاتِ
وَالْحُكْمِ لِلْجِنْسِ بِحُكْمِ النَّوْعِ
وَجَعَلِ الْقَطْعِيَّ غَيْرَ الْقَطْعِي
وَالثَّانِي كَالخُرُوجِ عَنِ أَشْكَالِهِ
وَتَرَكُ شَرْطِ النَّتِجِ مِنْ إِكْمَالِهِ
هَذَا تَمَامُ الْعَرَضِ الْمُقْصُودِ
مِنْ أُمَّهَاتِ الْمَنْطِقِ الْمُحْمُودِ
قَدْ أَنْتَهَى بِحَمْدِ رَبِّ الْفَلَقِ
مَا رُمِّيَتْهُ مِنْ فَنِّ عِلْمِ الْمَنْطِقِ
نَظَمَهُ الْعَبْدُ الذَّلِيلُ الْمُفْتَقِرُ
لِرَحْمَةِ الْمَوْلَى الْعَظِيمِ الْمُقْتَدِرِ

الأَخْضَرِيُّ (عَابِدُ الرَّحْمَنِ)
 الْمُرْتَجِي مِنْ رَبِّهِ الْمَنَانِ
 مَغْفِرَةً تُحِيطُ بِالذُّنُوبِ
 وَتَكْشِفُ الْغَطَا عَنِ الْقُلُوبِ
 وَأَنْ يُشِينَا بِجَنَّةِ الْعَالَا
 فَإِنَّهُ أَكْرَمُ مَنْ تَقَضَّالَا
 وَكُنْ أَخِي لِلْمُبْتَدِي مُسَامِحَا
 وَكُنْ لِإِصْلَاحِ الْفَسَادِ نَاصِحَا
 وَأَصْلِحِ الْفَسَادَ بِالتَّأْمَلِ
 وَإِنْ بَدِيهَةً فَلَا تُبَدِّلِ
 إِذْ قِيلَ كَمْ مُزَيَّفٍ صَاحِحَا
 لِأَجْلِ كَوْنِ فَهْمِهِ قَبِيحَا
 وَقُلْ لِمَنْ لَمْ يَنْتَصِفْ لِمَقْصَدِي
 الْعُذْرُ حَقٌّ وَاجِبٌ لِلْمُبْتَدِي
 وَلِبْنِي أَحَدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً
 مَعْدِرَةٌ مَقْبُولَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ
 لَا سِيَّمَا فِي عَاشِرِ الْقُرُونِ
 ذِي الْجَهْلِ وَالْفَسَادِ وَالْفُتُونِ
 وَكَانَ فِي أَوَائِلِ الْمَحَرَّمِ
 تَأْلِيفُ هَذَا الرَّجَزِ الْمُنْظَمِ
 مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ
 مِنْ بَعْدِ تِسْعَةِ مِنَ الْمِئِينَ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَرْمَدًا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ خَيْرٍ مَنْ هَدَى
وَأَلِيهِ وَصَحْبِهِ الثَّقَاتِ
السَّالِكِينَ سُبُلَ النَّجَاةِ
مَا قَطَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ أَبْرُجًا
وَوَطَّعَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ فِي الدُّجَى

تاسعاً: - منظومة السراج في علم الفلك:

وهذه المنظومة المسماة بـ "السراج" في الفلك. وجدت من شرحها؛ لأهميتها وفائدتها؛ إذ تولى شرحها تلميذ الأخصري؛ وهو عبد العزيز بن أحمد ابن مسلم الفارسي، ثم تلاه الشيخ سحنون بن عثمان الميذوي الونشريسي؛ الذي شرح أيضاً منظومة "السراج" تحت عنوان "مفيد المحتاج في شرح السراج" وقد طبع في مصر سنة 1324 هـ/1906م. وفي الجزائر بواسطة المطبعة الثعالبية. كما طبع المتن وشرحه في الجزائر أيضاً. وبعدها تعددت الشروح على السراج مروراً بشرح سحنون الونشريسي. ومن بين تلك الشروح "جوهر المحتاج في شرح السراج".

ويفتتح الأخصري منظومته هذه هكذا:

الحمد لله العلي الحق	المالك الوهاب رب الخلق
نحمده جل على الأنعام	بنعمة الإيمان والإسلام
ثم الصلاة على محمد	خير الورى المشرف الممجد
وآله وصحبه وعترته	وكل من وقره من أمته
وبعد فاعلم أن علم الفلك	علم عزيز من أجل مسلك
أعني الذي تدري به الأوقات	والفجر والقبلة والساعات
ومابه تطرق للغيب	فذلك الحرام دون ريب
واعلم بأن العلم بالنجوم	علم شريف ليس بالمدموم
لأنه يفيد في الأوقات	كالفجر والأسحار والساعات
وهكذا يليق بالعباد	حين قيامهم إلى الأوراد
فليس يدري جاهل ما قد قضى	في الليل جملة فرمما انقضى
فهاك منه ضابطا يا من سلك	سميته السراج في علم الفلك
وقد بدأت يا أخي هذا الكتاب	بنبذ لطيفة من الحساب
وإنما بالله أستعين	بأنه المهيمن المعين

فصل

واعلم أن الجهل بالأوقات	جهل بأمر الصوم والصلاة
فالعلم بالأوقات فرض يقبل	لأنه به يتم العمل

فأول الظهر الزوال قد عرف وقامة للعصر بعد ما ألف
والمغرب الغروب وقت متحد وللعشاء شفق إذا فقد
والفجر بالفجر الأخير الصادق المستطيل الضوء في المشارق
والأول الكاذب بالعيان مرتفع كذنب السرحان
ومستطيل الضوء كالغمامة تعرفه بهذه العلامة
يغتر كل جاهل وغافل به ويدريه اللبيب العاقل

فصل في معرفة ساعات النهار بالأقدام

وتعرف الساعات بالأقدام في جملة الشهور والأيام
فالساعة الأولى (بكـ) تعرف وبعدها التي (يب) توصف
لثالث الساعات ست يافتى رابعها ثلاثة كذا أتى
وقدمان يافتى للخامسة وقدم منفرد للسادسة
وسابع الساعات مثل السادسة وثامن الساعات مثل الخامسة
وهكذا اعكس ما بقى واعتبر واجمع إلى الزوال كل ما ذكر
واعرف حروفه وهي اثنا عشر يحود جب بجد وحي تعتبر
لكل شهر واحد منها علم واقسم على أيامه نقطا فهم
وهكذا في النقص والزيادة وذلك ما قد اقتضته العادة
والاعتدال يوم يويافتي من مارس واشتبر قد ثبنا
كذا رجوع الشمس من دجنبرا وشهر ينيه فكن معتبرا

فصل

للعصر سبعة من الأقدام مع الزوال جملة الأيام
وما بقى من النهار قد عرف ثلاث ساعات خلا سدساً ألف
وزد على ظل الزوال قدماً للظهر مع نصف وربع فاعلما

فصل في بُدِّ مِنَ الْحَسَابِ

ويدخل الربيع من فبراير ليلة يه فالتكن مثايرا
ليز ميب يدخل المصيف ومثله من غشتج الخريف
ويدخل الشتاء في نونرا ليلة يو فاستمع ودبرا

فصل

ويعرف المجهول في الأيام بقدر حرف الشهر والأيام
خذ ما مضى من شهرك العجمي وزد عليه نقط حرفه الذي عهد
واطرحه طرح سبعة فما بقي سبعاً أو أدنى فاستمع وحقق
فابدأ به من يوم ذاك العام فما انتهى فيه من الأيام
فذاك عين يومك المجهول وكالشهور جملة الفصول

فصل في معرفة السنة الكبيسة

ودخل النيروز بالثلاثية
عام ثمان وثلاثين سنة
فاحسب وكبس خامس الأعوام
حتى إذا بلغت عام ند
عاما وصير سادس الأعوام
وفيه وجه آخر فاعلم ذكر
واطرح من المجموع قل خمسين
واضرب في ياء ما بقي فما اجتمع
وما بقي أقل من طرح فإن
اسقط لذي القرنين نقط شين
وما بقي فاطرحه طرح أربع
وعدة الحسوم سبع تدخل
وتدخل الليالي منه دجنبرا
وهكذا السمائم المشهورة
ويدخل النيسان من أبريلا
وهي سبعة من الليالي
وعاشوراء عاشر المحرم
وكان مولد الرسول الصادق
ومولد المسيح من دجنبرا

في سنة الكبس فخذ مقالة
من بعد تسعمائة مينة
من سنة الكبس على الدوام
وعام فز فازدلف وعد
مثل الكبس فاستمع كلام
فخذ سنين هجرة بالمنكسر
وأربعاً فاعلم من المئين
فاطرح ثلاثين ثلاثين تطع
تجاوز العشر فكبس قد زكن
ونقط عام مع نقط سين
فإن بقي طرح فكبس فلتع
ليلة ياء من ربيع تقبل
ليلة يب منه كن معتبرا
من شهر يليز كذا مذكورة
ليلة كز فاعرف الدليلا
وغيثها مبارك ذو بال
وقيل يوم تاسع فالتعلم
ليلة يب من ربيع السابق
ليلة كد منه قدما شهرا

واعلم بأن السبعة الأيام المتغى صيامها في العام
ليلة يه كان من شعبانا ويوم كز من رجب قد كانا
لأن فيه بعث الرسول صلى عليه ربنا الجليل
وثالث الأيام يه ذي القعدة كذاك يوم تاسع للحجة
ومثل ذاك ثالث المحرم وعاشر له فحصل واعلم

فصل في معرفة سنين ذي القرنين

وإن ترد سنين ذي القرنين خذ ما لهجرة من السنين
وعامك الموجود إن به دخل اكتبرج فاحسبه وإلا فاختزل
ثم ترد أعجمية أجل فواحد من كل لـج يختزل
وما يرى أدنى فلا إسقاط فيه وما بقي من بعد ذا فزد عليه
من النين قدر غين مع لـج ثم لذي القرنين كلما خرج

فصل في معرفة أول يوم من الشهر العربي

وإن ترد أول يوم الشهر العربي فاستمع لشعري
خذ نقط حرف شهرك الذي فقد وابدأ بيوم عامك الذي عهد
فحيث ما قد انتهى لك العدد فذاك يوم الشهر فاستمع تفد
حروفه أجد وزجهو أبد لكل شهر واحد نلت العدد
وعدة الشهور الأعجمية خذها إليك جملة جلية

يناير مارس مايه يليه قل
 لاء لها فبراير كح شهر
 فصل وإن ترد يا صاح تعقل
 خذ نقط حرف شهرك المقصود
 فحيث ما انتهى لك التعداد
 حروفه أددز به زجود حو
 وللفصول خشه مع رصد
 الحاء للخريف والشين للشتا
 للصيف ثم افعل كما تقررا
 غشت اكبر دجنبر نقل
 واجعل ثلاثين لغير ما ذكر
 بأي يوم كل شهر يدخل
 وابدأ بيوم عامك المعهود
 فذاك يوم شهرك المراد
 لكل شهر واحد كذا رووا
 الهاء والذال معاً للعدد
 والراء للربيع والصاد أتى
 وحصل العلم تكن معتبرا

فصل في معرفة أس السنة العجمية

وإن ترد تعرف أس عامك
 وإن يكن آخره يوم الأحد
 وإن يكن في العام كبس فالتزد
 وشسه وربع يوم للسنة
 وسند وخمس يوم سدس
 فانظر إلى دجنبر في ذلك
 فالأس واحد وقس ما لم تزد
 في الأس واحداً وحصل واجتهد
 العجمية فخذها متقنة
 للعربي وبذا يكبس

فصل في ترحيل الشمس على المنازل

وإن ترد ترحيل شمس فاعلما
 على المنازل فخذها محكما

خذ ما مضى من ذلك الفصل أجل
 فاجعله إطراحا لكل منزل
 وما بقي أقل من طرح فما
 فأول الربيع فرغ أول
 وللخريف صرفة معلومة
 وشفهص يجمع كل ما ذكر
 وهي تقيم عند كل منزلة
 الا بجهة فيوم زائد
 ورد له يومين ثم ما حصل
 يج وكن مبتدئا بالأول
 قد قطعت من منزل قد علما
 وهقعة للصيف لا تبدل
 وللشياء شولة مفهومة
 فسبعة لكل فصل فاعتبر
 ثلاثة وعشرة مكملة
 فيها لأجل الصيف فابغ الفائدة

فصل في ترحيل الشمس على البروج

وإن ترد ترحيلها على البروج
 فخذ من أبريل إلى همارك
 واطرح ثلاثين ثلاثين الجميع
 فكل طرح كامل لواحد
 وما الذي قد قطعت من الدروج
 وزد عليه تسعة يا سالك
 وابدأ بأول البروج يا سميع
 ما لم يصل فدرج من واحد

فصل في ترحيل القمر على المنازل

إن ترد يا صاح ترحيل القمر
 خذ ما مضى من شهرك العربي تفد
 واعط ليلة لكل منزل
 على المنازل فلذ بما اشتهر
 وابدأ بمنزلة شمس في العدد
 وهو يرى لكل منزل جل

أو بإزائه وربما انحرف لأن لاتساع بينهما اختلف

فصل في ترحيل القمر على البروج

وإن ترد ترحيله على البروج وما الذي قد قطعه من الدروج
خذ ما مضى من شهرك العربي وزد عليه مثله وخمسة تجدد
لكل برج خمسة من ذلك وابدأ ببرج الشمس في حسابك
فإن بقي واحد فانتبهه فست أدراج مضت له به
وإن بقي اثنان فائنا عشر من الدروج ثم قس ما غبر
واعلم بأن البدر يستهل بثالث للشمس يستحل
ومن هنا في الازدياد يشرع في كل يوم نصف سبع يسطع
وهكذا في النقص ثم يرجع يسير ليلتين ثم يطلع
ويرجع النقص ليه في القمر وثامن العشرين ربما ظهر
والشهر كامل إذا ما ظهرا لذا النهار وناقص إن لم يرا

فصل في معرفة ساعات الليل

وتعرف الساعات بالمنازل في الليل مهما قمت فلتقابل
وانظر إلى توسط النجوم وابدأ من الشمس إلى المعلوم
أعني التي في وسط السماء واطرح من المجموع نقط حاء
واضرب في ست ما بقي فما خرج فاطرحه طرح سبعة ولا حرج

لكل طرح ساعة وما يرى
ويين كل منزل ومنزل
وإن يكن ما بينها توسط
وإن يكن في القبلة الغمام
فاحسب من الشمس إلى الذي بدا
واعمل على المعلوم فيه ترتقي
فاحسب من المتزلة التي تلي
وقس على المعلوم في هذا النمط
نظيره في الغرب فالتبادر
للنطح غفر بطنه الزباني
والدبر إن قلبه نظير
وهنعة نعائم لديها
ونثرة تذبح سعد الأبلع
لزبرة أخبية تظلمها
عواؤها فرغا مؤخرًا تلي
شاميهما من نطحها إلى السمك
وهكذا البروج منه شامي
شاميهما من حملها للسنبلة
فحملها رقيه الميزان
جوزاؤها للقوس قد تشير
وأسد لدوها قد نفرا

أقل من طرح فأسباع ترى
ستة أسباع بأمر منجل
من القضا فبالتحري مقسط
فبالطوع كلها ترام
واطرح من المجموع به أبدا
وإن يكن في قبة ومشرق
شمسًا لساقط بلا طرح قل
وإن بدا نجم من الشرق سقط
وهذه الأيات في النظائر
ثرية الإكليل قد أباني
وهقعة لشولة تشير
وللذراع بلدة تلايها
وجبهة من السعود الأرفع
وصرفة فرغ مقدم لها
وبطن حوت للسمك الأعزل
ويماني ما سواه قد أتاك
ويمني فاستمع نظامي
ويمني ما عداها قد انجلي
وثورها بعقرب بيان
سرطانها لجديها نظير
عذراؤها تطرد حوتا مدبرا

فصل في معرفة القطب ومعرفة التوسط والاستدلال بالقطب على القبلة

القطب كوكب خفي حوله نجم سني النور حكمه له
وهو مقيم ما له من حركة لكنه استقر وسط السمكة
وهي التي بنات نعش حولها والفرقدان كوكب رأس لها
ذنبها الجدي بذاك يوصف عند المنجمين طراً يعرف
وانظر إلى الجنوب كل يميني والقطب بين منكبك قد بني
وكل شام بين شرق وجنوب والقطب عن يسار منكب يؤب
فذاك خط قبلة لدينا سبحان من به علينا

فصل في معرفة الطالع

وطالع البروج بالنهار يعرف باساعة يا ذا القاري
لكل برج ساعتين فاجعل وابدأ ببرج الشمس في التنقل
وحيث ما انتهيت في الحساب فذاك طالع بلا ارياب
وإن أردت طالع المنازل فاجعل لكل ساعة يا عاقل
متزلة وسدها وابدأ بما ذكرته وافعل بما تقدمما
فزحل في كل برج يعرج بقدر لام أشهراً فيخرج
والمشتري عاماً فخذ يقينا وأحمر خمسا وأربعينا

والشمس شهرا كاملا والزهرة
 وكاتب يقيم سبعة عشر
 والقمر المنير يسري ليلتين
 واعلم بأن جملة الدراري
 وجملة الأفلاك بالعكس تسير
 فهذه عدتها كما ترى
 أسبوعها في السير بدر يا فتى
 بقدر ما يكون بعد الكوكب
 في كل برج قدر كوثبت
 في كل برج دائماً كذا استقر
 وثلثا من ليلة بغير مين
 مسيرها للشرق باشتهرار
 لمغرب بقدره الله القدير
 لكل دري سماء شهرا
 لأنه أقربها كما أتى
 يكون قدر مكثه فرتب

فصل في ذكر عدد خدام الشمس وكيفية سيرها في الفلك وفيه فوائد

أنشأ ربي منشئ الأفلاك
 مع ثلاثمائة يجرونها
 ووكل الإله رقيائل
 يجرونها في عجلة من نور
 بظهر بحر زاخر من ماء
 والبحر من أسفله مكفوف
 كجريان السهم يجري فاعتبر
 فجلهم عند الغروف خلفها
 وإن أراد الله بالكسوف
 للشمس ستين من الأملاك
 في رابع الأفلاك يخدمونها
 بهم كذا أتى عن الأوائل
 وهي بظهر الفلك المذكور
 مرتفع في وسط السماء
 يجري من أعلاه ولا يحيف
 وذاك من أقل صنع المقتدر
 والعكس في الطلوع فاعرف وصفها
 أسقطها في بحرها المألوف

بقدر هذا الغرق الذكور يكون في الشمس ذهاب النور
وتظهر الكواكب الخفية حتى تصير كلها جلية
وقيل غير ذلك في أسبابه فانظره في محله وبابه

باب في القسمة وفيه خمسة فصول

- الأول: في قسمة البروج على الدراري.
- والثاني: في قسمة المنازل على الدراري.
- والثالث: في قسمة المنازل على البروج.
- والرابع: في الأيام على الدراري.
- والخامس: في قسمة الدراري على الساعات.

الفصل الأول في قسمة البروج على الدراري

وتقسم البروج الاثني عشر
فأسد للشمس والسرطان
لزهرة والحمل ثم العقرب
للمشترى الحوت مع القوس أجل
على الدراري كلها كما ترى
للقمر والثور والميزان
لأحمر فهو المريخ ينسب
والجدى ثم الدلو فاعلم لزحل
جاءت بذلك عنهم الأنبياء
للكاتب الجوزاء والعذراء

الفصل الثاني في قسمة المنازل على الدراري

واقسم عليها أيضا المنازل وردها في جدول يا فاضل
وابدأ بشمس قمر فالأحمر فكاتب فالمشتري فالأزهر
فزحل وبعد ذاك تقسم فأربع لكل دري تسهم

الفصل الثالث في قسمة المنازل

وتقسم المنازل المذكورة على البروج قسمة مشهورة
لكل واحد بتقسيم جلي مترتان ثم ثلث منزل
من أجل ذاك البدر كان قد مكث في كل برج ليلتين وثلث
واعلم بأن عدة الدروج لكل واحد من البروج
بقدر نقط اللام في الحساب ومثل ذاك عدة الأبواب

الفصل الرابع في قسمة الأيام على الدراري

فاعط دريا لكل يوم وقس على ترتيبه في النظم
شمس تقمرت بأحمر كتب بمشتر زهر مقاتل حسب
فأحد للشمس ثم رتب عليه ما بقي كذاك فاحسب

الفصل الخامس في قسمة الساعات على الدراري

وكل دري من الدراري رب لساعة من النهار
والليل قس عليه في ذا النظم وابدأ بساعة لرب اليوم
زحل مشتري مريخ شمس زهرة كاتب القمر دون لبس
فزحل رب الأولى يوم السبت وقس على ترتيبه في البيت

فصل في السعود والنحوس من الدراري

والشمس والزهرة ثم المشتري سعد مريخ زحل نحس حري
وكاتب وقمر سعدان لكن مع النحس هما نحسان
وأعظم النحوس باتفاق مقاتل فاحذر ولا تلاق
وراقب الإله في كل عمل تنل من الإله أحسن الأمل
وكل من قد حرم المراقبه فماله في الخير من مطالبه
ومن أطاع الله رب العالمين أطاعه كل قوي ومتمين
وجاء في الحديث عن أسقط من خاف من شيء عليه سلط
ومن يخاف الله خوفا مؤلما خاف منه كل شيء فاعلما
واعمل بتقوى الله واعلم أنها قطب المعاملة فارقب حسنهما
أمرتك الخير وما أتمرته ولست عاملا بما ذكرته
لكن ربي غافر الزلات فمنه أرجو العفو عن فعلاقي

فصل في الكواكب

وجملة الكواكب المذكورة مضيئة بالذات مستتيرة
إلا القمر فإنه مقتبس من نور شمس نوره ملتبس

باب في شرف الداراي وسقوطها

وشرف الشمس بيت الحمل وسقوطها الميزان يا ذا العقل
وزهرة لها بحوت شرف سقوطها العذراء حقا يعرف
وشرف الكاتب في العذراء سقوطه الحوت بلا امتراء
والثور فيه شرف للقمر لكن بعقرب سقوطه حري
مقاتل يشرف بالميزان سقوطه بالحمل خذ بياني
والمشتري شرفه السرطان سقوطه بالجدى يا إنسان
وأحمر شرفه في الجدي سقوطه السرطان يا ذكي
الشمس تشرف في عشر من الحمل من بعد تسع حساب غير ذي خلل
والبدر بالثور يرقى منتهى شرفا وحل ثلاثة الأجزاء بلا مهل
وللمقاتل بالميزان مرتبة تعلق لعزتها الأملاك في الدول
إحدى وعشرين تمضي منه في درج مكانه الشرف المأثور عن زحل
فالنصف من سرطان الماء منزلة للمشتري شرف أربي على الأمل
وإنني لا أرى المريخ مرتفعاً في الجدي ذا شرف عال بلا مثل
وفي ثمان مع العشرين من درج ترى له صولة بالبيض والأسل

لزهرة السعد بطن الحوت إن نزلت تسير فيه بلبس الحلي والحلل
سبعاً وعشرين من أجزائه كملت تحجبت فيه بالآستار والكلل
والنصف من درج العذرا غدا شرفا له عطارد مسرورا أخوا جندل
وفي النظائر للأشراف يسقط ما سميت منه ضليعا شاكي العلل

باب في الأعداء والأصدقاء من الدراري

الشمس والكيوان أعدا أبدا نعم ولا يتفقان سرمدا
إن شرف الكيوان فالشمس ترى سقوطها والعكس هكذا جرى
وكاتب مع زهرة كذلك والمشتري مع أحمر يا سالك
وما لبدر من عدو فيهم وأحمر صديق شمس منهم
بدر صديق زهرة قد علما والمشتري صديقه قد انتمى
وأحمر صديقه الكيوان وكاتب للشمس يا إنسان

باب الأعداء والأصدقاء من البروج

وكلما للنار والريح انتمى من البروج أصدقاء فاعلما
وهكذا الماء مع التراب فاعلم صديقين بلا ارتياب
والعكس في التراب مع الهواء والنار أيضاً هكذا للماء

باب سعادة البروج وشقاوتها

فأول الحمل شقي يا فتى وآخر منه سعيد قد أتى
والثور بالعكس وما يليه بعكسه كذاك نستوفيه
فواحد أوله شقي وواحد بالعكس يا ذكي
من بعد أن تستني السرطان إذ كالذي من قبله قد كان

باب في نواحي الدراري

والشمس بالمشرق في النهار بمغرب في الليل باشتهار
والعكس في عدوها المقاتل فخذ وكن متبعا يا سائلي
وزهرة بالليل قل جوفيه وبالنهار يا أخي قبليه
والعكس في عطارد والقمر ما بين قبة وغرب اشتهر
وبين مشرق وجوف مشتري وبين شرق قبة للأحمر

فصل في قدر عظم الشمس والقمر

وعظم الشمس كقدر الأرض قصا ونيفا فخذها وامض
والبدر قدره كنقط فاء قد قيل في بعض من الأنباء
ويين كل فلك وفلك كنقط ثامن السنين قد حكي
وغلظ كل واحد كذلك سبحان ربنا القوي المالك

وفي الكتاب جملة الدراري في قوله بالخنس الجوارى
والكل في الأفلاك قد يجرون كما أتى في الذكر يسبحون

باب معرفة التربيع وهو مستخرج من علم الفلك

وإن ترد معرفة التربيع وتخرج الكمين بالتوزيع
فانظر إلى اسم طالع وكوكبه وكوكب الساعة فاعلم وانتبه
وزد عليهم هذه الأسامي نوح وحام يافث مع سام
ثم تعدهم بعد سبعة وتطرح الجميع طرح تسعة
وربع الأرض وبعد تنظر في أي ربع بات فيه القمر
فإن يكن في مشرق فالتبدي من قبلة فاعلم بما في العدد
وهكذا فيما بقي تبديه إن بات في ربع فبالذي يليه
فحيث ما انتهى لك التعداد فذلك الربع وهو المراد
وافعل به كما فعلت أولاً حتى ترى الكمين فيه قد جلا

باب في جهات البروج الإثني عشر

بيت الحية برج كل واحد والثانيكسسه فخذ مقاصد
فبيت الأخوة فبيت الأبوين فبيت الأبناء تفهم دون مين
يتلوه بيت مرض قد انجلى من بعده بيت النكاح فانقلا
فبيت موته فبيت السفر فبيت ملكه فخذ ولا تزدرى

فبيت سعدة بالأصدقاء فبيت الأعداء بالشقاء

فصل في نحوس القمر

ونحسه بعقرب قد ذكرا لأنها سقوطه كما جرى
وهكذا اجتماعه مع زحل وذنوب واحمر نحس جلي
وكونه في ثامن المطالع وثاني عشرة كذاك واقع
أو موضع محترق قد كان فيه وذاك بين عقرب وما يليه

فصل في معرفة الليل والنهار من البروج

الإثني عشر

أن البروج قل على قسمين الليل والنهار دون مين
النار والرياح نهاريان والماء والتراب ليليان
فكل ليلي مؤنث شهر وغيره بالعكس هكذا ذكر

فصل في البروج

فصل من البروج ذو تقلب وثابت مجسد فالتحسب
فالأول الحمل مع السرطان وهكذا الجدي مع الميزان
والثابت العقرب ثم الأسد والدلو ثم الثور والمجسد

والقوس والعدراء مع الجوزاء وهكذا الحوت فاستمع إلى أنباء
ويجمع المذكور شكل تثم لكل حرف أربع فلتعلم
والشمس والأحمر ناريمان عطارد والكيوان ريحيان
وزهرة وقمر والمشتري مائة فاعلم وخذ لا تزدرى

باب في بيان الأركان التي تقوم منها الأبدان وهي الطبائع

واعلم بأن عدة الأركان أربعة عناصر الأبدان
النار والهوا مخففان والماء والأرض مثقلان
فالحر واليبس لطبع النار والبرد واليبس لترب جار
رطوبة حرارة قل للهوا رطوبة برودة ماء حوى

فصل في قسمة الحروف والبروج على الطبائع

وإن أردت قسمة الحروف على الطبائع بلا تكليف
فضع حروف نهم في جدول واقسم عليها أبجد وكميل
وذا على طريق أهل الفلك والحكماء نهمه عنهم حكي
فنتهم معناه بإقراء نار تراب وهواء ماء
ولتقسم البروج مثل ذلك عليه كي تتبع المسالك

يبدو أن المنظومة لم تنتهي هنا. ومع هذا نكتفي بما حصلنا عليه - إلى الآن - من هذه المنظومة الرائعة في الفلك؛ التي سماها **عبد الرحمن الأخضري**: السراج في الفلك. نقلناها من كتاب مفيد المحتاج في شرح السراج؛ الذي أعده **سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد ابن أبي بكر الميदوي**. وهو منشورات المكتبة الثعالبة بالجزائر.

عاشراً: - ومنظومة "أزهار المطالب في علم بالإسطرلاب"¹.
يبدأ هذه المنظومة هكذا:

القول في تسمية الآلات²

ورسم الاسطرلاب حيث يأتي

¹ الأسطرلاب أو الأسطرلاب (Astralabe): آلة فلكية عريقة؛ تسمى عند العرب أيضاً باسم (ذات الصفائح). وربما عاد اختراعها الأول إلى الفراعنة أو البابليين؛ نظراً لعنايتهم واهتمامهم بعلم الفلك وتتبع النجوم ودراسة حركتها. وذكر اليعقوبي أن ثيون الإسكندري الذي عاش في القرن الرابع الميلادي ألف عملاً حول الأسطرلاب؛ غير أن عمله هذا لم يصل إلينا. كما تبين أن السريانيين كان لهم اهتمام بالأسطرلاب؛ إذ قام - في القرن السابع الميلادي - سفيروس سيبوخت بالكتابة حول الأسطرلاب. وفي العصر الإسلامي شاع استعمال الأسطرلاب وانتشر استعماله بين المسلمين؛ حيث ألف أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي (291-903م - 376هـ/986م)؛ كتاب العمل في عمل الأسطرلاب، وفي القرن الثامن الميلادي قام أبو إسحاق إبراهيم بتطوير الأسطرلاب. ومن ذلك الوقت تعددت المؤلفات المتعلقة بالأسطرلاب لدى المسلمين؛ خاصة في الأندلس والمغرب؛ منها منظومة الأخضري هذه.

² تعددت أشكال آلة الأسطرلاب؛ كما اختلفت المواد التي صنعت بها. فمنها الخشبية، ومنها النحاسية ومنها الحديدية...

بالأم ذات البطن والكرسي ما¹
علا وفيه عروة قد رسما²
وظاهر الأم به ميمز
دواير محيطه بالمركز³
أولها دايرة للأشهر⁴
ينقصها من كامل وأبتر
حاوية لكل أيام السنة
وهي التي بسطحه مبينة
وبعدها البروج الإثني عشرة⁵
قسم البروج فوقها قد سطر
فكل واحد من الأبراج
له ثلاثون من الأدرج⁶
وربع الارتفاع فوق سطر
بالجهتين فيه تسعون ترا
ووسط الظهر به ضلعان
فجهة الظلين موضوعان

¹ الأم: هي التي تشتمل الصفائح المثبتة في الوجه. أما الكرسي: فهو الخط المستقيم المار بمركز الدائرة والكرة المنتهي إلى الجانبين: الأيمن والأيسر.
² العروة: هي التي فيها الحلقة؛ وهي ماسكة للكرسي.
³ المركز: هو النقطة المفروضة في وسط الصفيحة.
⁴ أي محيط الدائرة الأولى في وجه الأسطرلاب تكون للأشهر.
⁵ البروج الفلكية هي: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، العذراء، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت.
⁶ أي لكل برج ثلاثون درجة.

قد عرف المبسوط والمنكوس
كل من الاصبح فيه اقتفي
فظله المبسوط بالإجماع
يزيد عند نقص الارتفاع
وحيث زاد الارتفاع نقصا
وعكسه المنكوس فيما نصحا
وما يدار فوقها عضاده¹
محدودة الرأسين للإفادة
وشطبتاه فوقها مثقوبتان
لأخذ لارتفاع قل مبعدتان
ووجه الأم فيه حجرة بدت²
فيها جميع الدرجات نزلت
والعنكبوت شبكة تدار³
على الصفائح لها اضطرار
وعدلت منطقة البروج
في وسطها بجملة الدروج
وحولها كواكب قد عدلت
وكلها على السموت عدلت⁴

¹ العضادة: هي المسطرة التي تدور على ظهر الأسطرلاب.

² الحجرة: هي الدائرة المقسومة.

³ العنكبوت: هي الصفيحة المشبكة الموضوعة فوق الصفائح المشتملة على منطقة الأبراج.

⁴ السموت مفردتها سمت: ويستعمل في علم الفلك للدلالة على طول القوس؛ وهو الزواية المحصورة بين أي مستقيم مرسوم في الأفق مارا بموضع الراصد، وبين الخط المرسوم من الشرق إلى الغرب. ويقصد بها أيضاً خطوط الطول.

وعند رأس الجدي باستواء
محدد يدعي مدى الأجزاء
تدرى به الأجزاء للساعات
وقوس ما ثبت من الأوقات
وتحتها صفائح الأعراض¹
لكل إقليم من الأراضي
في وجهها دوائر مرسومة
ثلاثة محيطية محكومة
فالدارة الكبرى لرأس الجدي
يمشي عليها دائما في الجدي
وسطاؤها للحمل والميزان
وبعدها الصغرى للسرطان
فدارة الميزان ثم الحمل
يدعوها بدارة المعدل²
وللشمال كل ما فيها اندرج
وللجنوب كل ما عنها خرج
وخطها المنصوب باستواء
يدعى بخط وسط السماء

¹ الصفائح سميت بها آلة الأسطرلاب؛ (ذات الصفائح)؛ وفي كل صفحة توجد ثلاث دوائر على مركز واحد.

² هكذا للضرورة الشعرية. ويقصد أن الدارة الوسطى؛ وهي دارة الميزان والحمل؛ هي مدار الاعتدال.

منشؤه من قبة الكرسي¹
يمر نحو الجانب السفلي
فإن تعد القطب سمة الوتد
وخط نصف الليل كل ذا ورد
وخطها المدعو بخط الأفق
من مغرب يمر نحو المشرق
ثم دوائر المقنطرات²
كاملة وغير كاملات
وعد الارتفاع بينها وضع
بحسب اصطلاح من قد يصطنع
والنقطة الوسطى بسمت الرأس قد
تدعى سمت السموت قد ورد
ومن هنالك السموت أخرجت
أعدادها بين الخطوط أدرجت
وخط للأعراض والساعات
في الجهة السفلى وللأوقات
وثقب في القطب تسمى المحور
وممسك بفرس قد شهروا

¹ الكرسي: هو الجزء البارز، محيط الحجره ومسمار العروة نافذ فيه.
² المقنطرات: هي خطوط العرض.

نكتفي بهذه المقدمة؛ لمنظومة أزهار المطالب في
الأسطرلاب؛ لأنها مازالت مخطوطة وتستدعي تحقيقاً
دقيقاً من قبل مختصين. لعل عرضها هنا يلفت
أنظار المهتمين بميدان الفلك؛ فيتناولونها بالتحقيق
والدراسة والشرح.

وما سبق ذكره - من مؤلفات الأخضري - لا
يتجاوز عشرة أعمال؛ وهو العدد الذي تمكننا من
الحصول عليه؛ على أننا سنواصل البحث عن بقية
أعماله؛ بغرض نشرها في المستقبل؛ فارجو من الله
العون والتوفيق. ومع هذا؛ نشير بلمحة خاطفة إلى
بعض الأعمال التي نتوقع الحصول عليها فيما بعد؛
منها:

- "الفريدة الغراء" في التوحيد؛ ما زالت مخطوطة؛
ويملك الشيخ عبد الرحمن الجيلالي نسخة منها.
- "الدرة البهية" في النحو. موجودة في بعض
الزوايا بولاية بسكرة.

وبهذا نصل إلى نهاية هذا الفصل؛ الذي درسنا
فيه بعض مؤلفات الإمام عبد الرحمن الأخضري التي
حصلنا عليها وهي عشرة أعمال رئيسة:

1 - رسالة في الحساب.

2 - الدرّة البيضاء.

- 3 - متن الأخصري في العبادات.
 - 4 - المنظومة القدسية.
 - 5 - الرائية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .
 - 6 - القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني.
 - 7 - الجوهر المكنون في الثلاثة فنون.
 - 8 - السلم المرونق في المنطق والحكمة.
 - 9 - منظومة السراج في الفلك.
 - 10 - أزهار المطالب في علم الأسطرلاب.
 - 11 - بالإضافة إلى القصيدة المنسوبة إليه عن النبي خالد. التي وضعت في الفصل الأول.
- وقد حاولت جهدي التعريف بهذه المؤلفات مع الشرح والتحقيق؛ ولكن الإلتزام بصفحات محددة وقف أمامي عائقاً وكابحاً في الاستمرار بالشرح الكامل. وعليه؛ أرجو من الله التوفيق لما فيه الخير والفلاح.

تم بحمد الله وحفظه

الملاحق

(صفحة أولى من مخطوط منظومة القدسية)

بسم الله الرحمن الرحيم
وصل الله على سيدنا محمد وآله -
هذه منظومة العارف بالله
سیدی عید الرحمن اللخضری المسماة
بالمنظومة القدسية
يقول راجي رحمة المقدر
المدني العبد الذليل اللخضري
بحمد رب العالمين ابتدى
تم صلواته على محمد
يا طالع عالمي عارف دسه
وقاصد الرعاع نفسه
اعلم بان الجوهر الانساني
وهو الذي يدعونه الروحاني
منشكوه في العالم العلوي
ومودع في القالب الجسمي
لانه في الاصل من جنس الملك
فصار مركزا في عالم الملك
فهذه جوهرة نفسيه
في الاصل في الدائرة القدسية
دائرة التطهير والكمال
وعانها عزاي الاتصال

وثيقة - 3 -

(الصفحة الأولى من رائية الأخضري في مدح رسول
الله صلى الله عليه وسلم)

سفر السعور شصيات

باسم الله الرحمن الرحيم في صلوات الله على سيدنا محمد وآله
 فقال الشيخ العلامة في مدح الجفامة عبد الرحمان بن حنيفة
 خضر بحر حق الله المتكامل من مسامح وياقوتة التوسيع
 الحمد لله طول النهار والنعم في ثم الصلاة على المنار من مظهر
 يات في النور ما استأذن في هذا طلعت على روضها وطر
 القبة صبر القوم يوم بقلتها جهلا بل آفة ما في العيون خور
 يا سابع الطرق يا للفرح بلحبي في تقدروا بقلتها ويا تشا من الفجر
 فله النهاية في العيون قد جعلت في ويا وجد في العيون من اشر
 ومن تغارفة الحمود قد بلغت في نيلج الترافج في لولا سابق القدر
 التي اوتيت من الاشواق في كمدنا وما سيمت من الختام والسفر
 بلعيب مثل من السقام من احد في اية السقامة العشاق من سفر
 قد هير بحر الصبا والقلب من حدنا ويا حط الصبا في العهد من حفر
 في حياح على ربح شجيرة بيضا ويا حياح سلايح الزمان في حياح
 حياح الحياح خيال الدار من حياح وخالق القلب في اشواق النكر
 ليارا حياح الدار من حياح في اشواق النكر في اولها شوق كسر
 تصور القلب من اشواقه اسبعا وعداد مثل تربي في الغفل من سفر
 فتن حياح السور بالشوق في حياح في حياح القلب نار الوجد بالبحر
 في القلب في حياح الروح في حياح وابتد حياح في قلبه في حياح
 وابتد حياح في حياح في حياح وابتد حياح في حياح في حياح
 حياح حياح في حياح في حياح في حياح في حياح في حياح في حياح
 حياح حياح في حياح في حياح في حياح في حياح في حياح في حياح

وثيقة - 4 -

(غرفة داخل ضريه العلامة عبد الرحمن الأخضرى)



وثيقة - 5 -

(مقام العلامة عبد الرحمن الأخضرى)



وثيقة - 6 -

(مقام العلامة عبد الرحمن الأخضرى)



وثيقة - 7 -

(مسجد عبد الرحمن الأخضرى بىانطىوس)



وثيقة — 8 —

(مسجد عبد الرحمن الأخضرى وضريحه ببانطوس)



المصادر والمراجع

— القرآن الكريم؛ مصحف الشروق المفسر الميسر، دار الشوق بالقاهرة، 1977م.

— تفصيل آيات القرآن الحكيم؛ لجُولْ لأبوم؛ ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي بيروت 1954م. ويليه المستدرك (وهو فهرس مواد القرآن) لـ إدوار مونتِيَه.

— المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشروق (كتاب الشعب).

— إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دار الفكر ومطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ط: 1، 1975م.

— الإصابة في تمييز الصحابة؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النميري القرطبي، مكتبة المثني ببغداد ومطبعة السعادة بمصر، ط: 1، 1328هـ.

— الأعلام؛ خير الدين الزركلي، مطبعة كوستا توماس وشركاه، ط: 2، 1954 – 1959 م.

- تاريخ الجزائر الثقافي؛ أبو القاسم سعد الله،
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1981م.
- تاريخ الجزائر العام؛ عبد الرحمن الجيلالي، دار
الثقافة بيوت، 1980م.
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق؛ زكي مبارك،
منشورات المكتبة العصرية بيروت،
- التلخيص في علوم البلاغة؛ محمد بن عبد الرحمن
القزويني الخطيب؛ شرح وضبط عبد الرحمن البرقوقي،
المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط: 2، 1932م.
- دائرة المعارف الإسلامية؛ محمد ثابت الفندي
وآخرون، القاهرة، 1933م.
- رياض الصالحين؛ يحيى بن شرف النووي، مكتبة
محمد علي صبيح بمصر.
- سنن الترميذي (وهو الجامع الصحيح)؛ محمد
عيسى بن سورة الترميذي؛ تحقيق عبد الوهاب عبد
اللطيف، دار الفكر، ط: 3، 1978م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى؛ شرح أحمد بن
يحيى الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر
بالقاهرة، 1964م.

— شرح قدسية الأخصري (مخطوط)؛ شرح الحسين
ابن أحمد زروق بن مصباح، مخطوط بالزاوية العثمانية
بطولقة.

— شفاء السائل لتهذيب المسائل؛ عبد الرحمن بن
خلدون؛ تعليق الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي،
المطبعة الكاثوليكية ببيروت، 1959م.

— صحيح البخاري؛ محمد بن إسماعيل البخاري، دار
الفكر ببيروت.

— صحيح مسلم؛ مسلم بن الحجاج بن مسلم
القشيري؛ شرح الإمام النووي، دار الفكر.

— الطبقات الكبرى؛ محمد بن سعد، دار بيروت
للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر ببيروت،
1960م.

— عمدة البيان في معرفة فروع الأعيان على
مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما.
وهو شرح لمختصر الأخصري في العبادات. لأبي محمد
عبد اللطيف بن المسبح المرדاسي؛ التوفي سنة
980هـ/1572م.

— الغرة في شرح فقه الدرّة (وهو شرح لقسم
الفقه من الدرّة البيضاء للأخصري)؛ محمد الصادق
الشطّي، المطبعة التونسية بتونس، 1936م.

— القصيدة الرائية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لعبد الرحمن الأخضري
— القصيدة القدسية في التصوف؛ لعبد الرحمن الأخضري.

— القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني؛ لعبد الرحمن الأخضري.

— القصيدة اللامية في النبي خالد بن سنان. لعبد الرحمن الأخضري.

— كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنانجيات؛ محمد بن الطيب الباقلاني؛ تصحيح الأب رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية بيروت، 1958م.

— كتاب شرح الدررة البيضاء؛ للأخضري؛ صححه علي بن أحمد العدوي الشهير بالهوارى.

— الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية. لشيخ الحسين الورثلاني؛ وهو شرح منظومة القدسية لعبد الرحمن الأخضري.

— متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس، عبد الرحمن بن الصغير الأخضري؛ تصحيح ومراجعة محمد حبيب الله الشنقيطي المالكي،

المكتبة الأهلية بواد مدني بالسودان والمكتبة المحمودية
التجارية بالقاهرة،

— **مجموع مهمات المتون**، مكتبة مصطفى الباي
الخليبي بمصر، ط: 4، 1949م.

— **محك النظر في المنطق**؛ أبو حامد محمد الغزالي؛
ضبط وتصحيح محمد بدر الدين النعساني، المكتبة
التجارية للطباعة والتوزيع والنشر ودار النهضة الحديثة
بيروت، 1966م.

— **مروج الذهب ومعادن الجوهر**؛ علي بن الحسين
المسعودي؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،
المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط: 3، 1958م.

— **معالم السنن** (شرح سنن الإمام أبي داود سليمان
ابن الأشعث السجستاني)؛ شرح أحمد بن محمد
الخطابي، المكتبة العلمية بيروت، ط: 2، 1981م.

— **معجم أعلام الجزائر**؛ عادل نويهض، مؤسسة
نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت، ط:
2، 1980م.

— **معجم البلدان**؛ ياقوت الحموي، دار صادر بيروت،
1977م.

— **معجم المطبوعات العربية والمعربة**؛ جمعه ورتبه
يوسف اليان سر كيس، مكتبة سر كيس بمصر، 1928م.

— مفيد المحتاج في شرح السراج؛ وهو شرح لكتاب السراج في علم الفلك لعبد الرحمن الأخضري؛ تولى شرح الكتاب سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر الميذوي.

— مقدمة ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1965 – 1968م.

— المقصد الأسنى (شرح أسماء الله الحسنى)؛ أبو حامد محمد الغزالي؛ تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي بالقاهرة، 1968م.

— منظومة الأسطرلاب؛ لعبد الرحمن الأخضري.

— المواريث في الشريعة الإسلامية؛ الشيخ حسن الخالد وعدنان نجما، دار لبنان للطباعة والنشر ببيروت، 1967م.

— موطأ الإمام مالك (برواية يحيى بن يحيى الليثي)؛ مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن الحارث الأصبحي الحميري؛ إعداد أحمد راتب عرموش، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع لبنان، ط: 2، 1977م.

— نشأة التصوف الإسلامي؛ إبراهيم بسيوني، دار المعارف بمصر، 1969م.

— مجلة الأصاله؛ وزارة الشؤون الدينية الجزائر، العدد:

53، جانفي 1978م.

LE SOULLAM; TRAITÉ DE LOGIQUE; tradouire de L'ARABE —

par J.D. Luciani; ALGER; 1921.

فهرس المحتويات

- المقدمة:.....
- سيدي عبد الرحمن الأخضرى:.....
- مولد الأخضرى:.....
- مكانته العلمية:.....
- عصر الضعف:.....
- الأخضرى والصوفية:.....
- النبى خالد بن سنان:
- القصيدة اللامية فى النبى خالد:.....
- وفاة الأخضرى:.....
- مؤلفات الأخضرى:.....
- 1 — رسالة فى علم الحساب:.
- 2 — الدرّة البضاء:.....
- 3 — متن الأخضرى للعبادات:
- 4 — منظومة القدسية:.....
- 5 — الرئية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:
- 6 — اللامية فى التصوف والإرشاد الدينى:
- 7 — منظومة الجواهر المكنون:....
- 8 — منظومة السلم المرونق:
- 9 — منظومة السراج فى علم الفلك:

10 – منظومة أزهار المطالب في علم الأسطرلاب:

– الملاحق:.....

– المصادر والمراجع...

– فهرس المحتويات:.....

ولد بمدينة طولقة (ولاية بسكرة) في 17 ماي 1939م.
نال شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة الجزائر سنة 1988م.
عضو اتحاد الكتاب الجزائريين.



بوزياني الدراجي

مؤلفاته المطبوعة:

1. تنظيم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية.
2. اغاني الصبا. "مجموعة شعرية".
3. هناك الأرض. "شعر نمطي".
4. القبائل الامازيغية.
5. دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والاندلس.
6. العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية "على ضوء الفكر الخلدوني".
7. ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية.
8. عبد الرحمن الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره.
9. اللعبة الخاسرة "مجموعة قصصية".
10. الكابوس "مجموعة قصصية".
11. نقالة صدري "في السياسة والتاريخ والثقافة".

الكتب المحققة:

- بقية الرواد في ذكر اللوك من بني عبد الواد (الجزء الثاني) ليحيى بن خلدون.
زهرة البستان في تاريخ بني زيان، مؤلف مجهول.
نزهة النظر في فضل التاريخ والاعخبار (رحلة الورتلاني)؛ للشيخ الحسين بن محمد الورتلاني.
الإحاطة في اخبار غرناطة؛ للسان الدين ابن الخطيب.

albordj.blogspot.com

رقم الإيداع : 2009-1478



© BLED EDITION



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة